أبراكادابرا

((ولي فيها مآرب أخرى))

كتاب يقارب مغالطات شائعة

د. غفار محمد

أبراكا دابرا ...

الإهداء :

إلى كل باحث عن الحقيقة يأبى الوقوع في فخّ مغالطات الحياة ..

أبراكا دابرا ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة الأصنام الفكرية (مطرقة نيتشه على رباعي بيكون)
- مغالطة قارّة الأحلام الذهبية (قناع ماسكيباثا)
- مغالطة عيد الحبّ (قلب يتسع للجميع)
- مغالطة وجه يسوع (أيقونة بلا أب)
- مغالطة فضائية (الكون تحت المجهر)
- مغالطة أبراكا دابرا (الكمّ و الحمامة)
- مغالطة شاتوراجا (يموت الجميع كي يحيا الملك)
- مغالطة ترويض النفس (فرويد الخيّال)
- مغالطة أكثر من عكّاز (و لي فيها مآرب أخرى)
- مغالطة مربّع ساتور (نسبية الصواب و الخطأ)
- مغالطة مسبحة التنازلات (أعظم النار من مستصغر الشرر)
- مغالطة المنايا خبط عشواء (من كتب له عمر لا تقتله شدة)
- مغالطة الأنا و الهوَ (تجربة القصر)
- مغالطة الشهر النسيء (اليوم استدار الزمان)
- مغالطة لعنة الفراعنة (خرافة الكارما)
- مغالطة داروين و التطوّر (وجه العلم و أوجه الدين)
- مغالطة أثر الكوبرا (الرمال المتحركة)
- مغالطة أصابع اليد (سواسية كأسنان المشط)

أبراكا دابرا ...

مغالطة الأصنام الفكرية

(مطرقة نيتشه على رباعي بيكون)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

نظر إليه الصديق نظرة فيها كثير من التهكم و السخرية و قال بتعجّب :

= مقالة عن بعض القبائل الإفريقية التي لا تزال تعبد الأصنام حتى يومنا هذا ، و يقول أنهم يخرجون الهياكل العظمية لأجدادهم كل **7** سنوات كي يرقصوا معها و يحتفلوا بها .. هل فقد هؤلاء عقولهم ؟! بالفعل كما يقال الدين أفيون الشعوب .. و أينما وجد الدين وجد التخلف و الخرافة !!

= و هل تعتبر نفسك في مأمن من تصريحاتك هذه ؟

= بالطبع .. أنا شخص ملحد لا اؤمن بالإله أو الدين من الأساس ..

= لكنني كما أرى قد حولت إلحادك إلى صنم بدوره ، تعبده بإخلاص و تفاني و تدافع عنه بضراوة مستهزئاً من كل شخص يخالفك قناعاتك ؟

= هل تمزح ؟! الإلحاد ليس بصنم !!

= الصنم ليس مادة ملموسة و محسوسة يعبدها البشر ، الصنم هو فكرة يجعل الإنسان عقله أسيراً لها ، و يسخر حياته و إمكانياته كي تنتصر و تنتشر .. عوضاً عن تسخير كل الأفكار قاطبةً لخدمته كي يحيا بحرية و يزدهر .. أما الاصنام المادية فليست سوى تجسيد لهذه الأفكار كي يراها الإنسان بنفسه .. تماماً كصور **ماركس و نيتشة و داروين** التي تعلقها على حائط غرفتك خلفك .. أوليست هذه الصور أصناماً بحد ذاتها كغيرها ؟! إنك تخالف وصية أحد هذه الأصنام و هو نيتشة عندما تركت عبادة أصنام معينة لتتورط بعبادة أصنام أخرى .. فانتبه جيداً لذلك يا صديقي !!

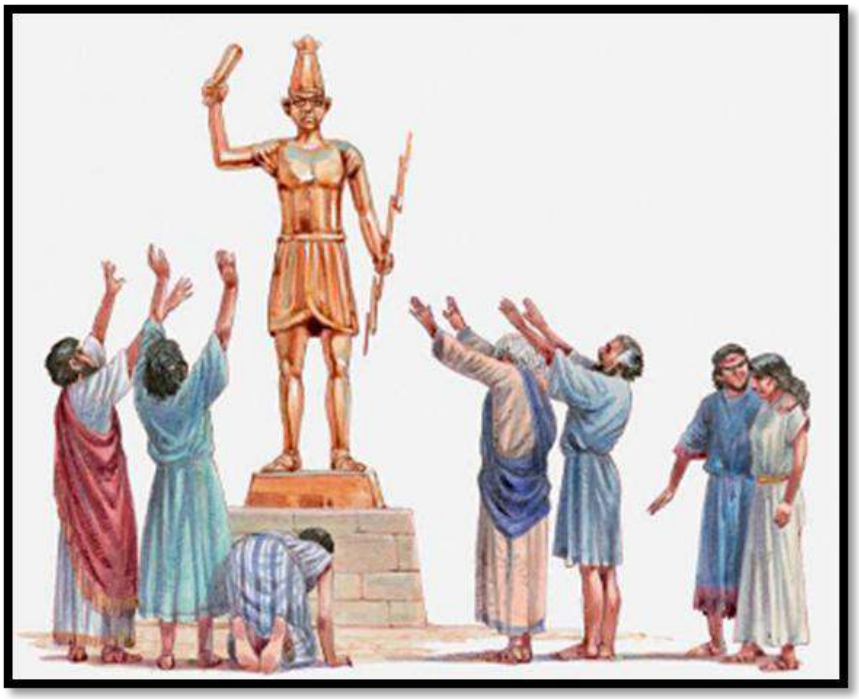

*****

يقال في التراث :

(من يصنع الأصنام لا يعبدها)

بمعنى أن من يدرك أنّ الأصنام صناعة بشرية يعي جيداً أنها لا تضر و لا تنفع ، لذا لا يقع في فخّ الإيمان بها ..

فهل هذه المقولة صحيحة على أرض الواقع ؟

في الحقيقة هذه المقولة ذات وجهين ، وجه منطقي بشكل مجرّد ، و وجه آخر غير صحيح البتّة على أرض الواقع و يجسّد إحدى أكبر و أشيع المغالطات بين البشر .. فالإنسان لا يصنع الأصنام كي يعبدها غيره كما تقول العبارة ، بل يصنع الأصنام بيديه لنفسه ، لأنه يحتاجها قبل أيّ شخص آخر ..

كيف يمكن لذلك أن يكون صحيحاً ؟ تعال عزيزي القارئ كي نفهم سوياً معنى هذا الكلام بعمق أكثر و تفصيل أكبر عبر تحليله من **4** زوايا بالغة الأهمية :

① **مفهوم الأصنام ..**

② **مطرقة نيتشة و تصنيف بيكون..**

③ **كيف تحطم أصنامك ؟ ..**

④ **أشهر الأصنام الفكرية ..**

فهيا بنا نحطم معاً أهم صنم في حياة البشر ألا و هو

صنم الفكرة ، الأب الشرعي لكل الأصنام المادية المحسوسة في كل مكان و زمان ..

أولاً ، مفهوم الأصنام :

إذن كما سبق و أوجزنا ، الأصنام بالأساس هي فكرة لا مادة ، ثم جسّدها الإنسان على شكل مادة كي تشترك كل حواسه بإدراكها فيصدقها أكثر و يشعر بأمان أكبر ..

و منذ بدأت الأصنام على زمن النبي **نوح** مروراً بأول صنم صنع في الجاهلية بيد **عمرو بن لُحَيّ الخزاعي** و كان **هبل** ثم تكاثرت هذه الأصنام إلى **اللات و العزّة و مناة الثالثة** و غيرها ، انتهاءً بأصنام العصر الحديث في غياهب أفريقيا .. كل تلك الأصنام لم تُعبد كمادة ، فالجميع يعي بشكل بديهي أنها حجر لا يفيد و لا يضر ، حتى أنّ أحد العرب في الجاهلية صمم لنفسه صنماً من تمر فلما جاع أكله ، بمعنى أنه يدرك جيداً ماهيتها .. لكن في الحقيقة البشر جسدوا فكرة وجود قوى غيبية (آلهة) تحكم العالم بتصميم مادي محسوس لا أكثر وعندما تعصّبوا بجاهلية له و قدسوه ، فهم بالأساس تعصبوا للفكرة التي يمثلها و التي يقدسونها ..

و هذا لا يختلف عن تعليق صورة لشخصية ما في غرفتك تدافع عنها بشراسة و لا تسمح لأحد بنقدها أو المساس بها، أو ارتداء قميص لنادي كرة القدم المفضل لديك و الدخول في عراك و مهاترات دفاعاً عنه .. باختصار

الصنم هو الانتماء الأعمى المتعصب لفكرة معينة يرمز إليها بشيء مادي ملموس و مرئي لا أكثر

أما درع الأصنام و حاميها عبر الأجيال فهو التواتر المقدس الخطير .. فكل جيل يقول لنفسه : **هذا ما وجدنا عليه آباءنا** .. و هكذا بحيث تستمر الفكرة و تتسع و تصبح أكثر صلابة و تتعشّق في عقول البشر بحيث تحتاج في النهاية إلى عملية جراحية كي يتم استئصالها ، كما فعل نبي الرحمة بأصنام قريش .. و هنا لم يحطم النبي الأصنام كمادة .. أبداً ، بل حطمها كأفكار مغلوطة في عقول البشر ، فالعرب في الجاهلية آمنوا بتعدد الآلهة في حكم الكون و محمد أثبت لهم بأنه إله وحيد لا إله غيره .. بمعنى أنه قدم معروفاً لهم بإيضاح الحقيقة المجردة لعقولهم عوضاً عن المضي أكثر في دروب الظلام الفكري و اتباع السراب و الأوهام .. و الأهم من ذلك كله ، أنه لم يمنع أي أحد من المحافظة على عقيدته بعبادة الأصنام و لم يحظر عليه وضع اصنام في منزله ، بل أتى القرآن ليقول :

(من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر)

و أيضاً :

(لا إكراه في الدين)

لكن محمّداً اعترض على وضع الأصنام في الكعبة كونها بيت الله ..

تماماً كما لو أن إفريقي جاء الآن إلى مسجد و أرغم المسلمين على وضع صنم فيه .. فالمسلمون لا يرغمونه على ترك عقيدته ، لكن لا يسمحون له بنفس الوقت أن يؤثر على عقيدتهم و يهين مقدساتهم ، فكل إنسان حر بقناعاته في منزله ، لا أن يفرض عقيدته في منازل الآخرين .. و أيضاً كما حدث عندما دخل المسلمون إلى فلسطين فأعطوا المسيحيين فيها الأمان و الحرية بعقيدتهم و كنائسهم و صلبانهم ، رغم أن المسلمين لا يؤمنون بصلب المسيح ، لكن لم يتدخلوا بحرية الآخرين بالإيمان أو تعليق الصلبان في منازلهم أو كنائسهم ، لكن بالطبع لا يجوز لمسيحي أن يفرض على المسلمين تعليق صليب في المسجد مثلاً !! و باختصار كل ما

سبق في عبارة واحدة معروفة و شهيرة :

(تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين)

فالكعبة كانت حرية الله و عندها انتهت حرية العرب الجاهليين عابدي الأصنام !!

و عوداً على بدء ، الأصنام هي أفكار بالأساس و على الإنسان تحطيمها في عقله أولاً قبل أن يحطم رمزها المادي ، لأنه ما إن يدرك الإنسان أن الفكرة التي يؤمن بها بشدة ، باطلة و وهمية سيقوم من تلقاء نفسه بإزالة الصنم المادي الذي يجسدها أو يحطمه إلى غير رجعة

ثانياً ، مطرقة نيتشة و تصنيف بيكون :

كي لا يتحول الفيلسوف الألماني **نيتشه** و أفكاره صنماً جديداً بحد ذاتها ، لا بد من الإشارة إلى الوجه المظلم لنيتشه ، و هو عدم الإيمان بأي شيء ، و تعميم صفة الباطل على كل المعتقدات و الجهل على كل البشر كما نستشفه من كثير من كتبه كحال كتاب (**هكذا تكلم زارادشت**) و كتاب (**أفول الأصنام**) حيث كرس فيها لفلسفة وحيدة و هي فلسفة القوة في عالم يجب ألا يسمح للضعفاء أو المختلفين بالوجود و الاستمرار ، و يحتقر المبادئ السامية و الأخلاق الرفيعة ، أما الجانب المضيء من نيتشه فهو كلامه المتسق مع ما سبق و ناقشناه حول الفكرة الصنم ، بحيث ابتدع مصطلحاً جديداً باسمه هو

(**مطرقة نيتشة**) التي تهدم الأصنام الفكرية قبل الأصنام المادية ، لأنها منبع الشر و الباطل

و كي لا يختلط وجها نيتشه معاً ، علينا أولاً أن نضع أي فكرة تحت مجهر البحث و التقصي بالمنطق و البراهين لنثبت هل هي صحيحة أم باطلة .. فإن كانت صحيحة فهي لوحدها ستدافع عن نفسها ، فلا شيء في الكون أقوى من الصواب المنطقي ، و إن كانت باطلة علينا تهشيمها بالمطرقة في عقولنا كما فعل نبي الرحمة بأصنام الكعبة .. قبل أن تتكاثر و تعشش في العقول بحيث يصبح نزعها من أقسى التجارب التي يعيشها الإنسان في حياته ..

و في الحقيقة قام فيلسوف آخر و هو الفرنسي **بيكون** بوضع تصنيف جميل و مميز للأصنام الفكرية بشكل عام فقسمها إلى **4** أصناف :

❁ **أصنام القبيلة**: وهي المفاهيم الخاطئة التي تنتج بسبب

الطبيعة البشرية، فالإنسان كالمرآة المعوجة التي تسبب انعكاسات مشوهة للأشياء وللموجودات التي تقع عليها.. و هذه التشوهات تصبح عرفاً في القبيلة التي تورثها لكل فرد جديد يأتي إليها بدون نقاش أو تفكير..

❁ **أصنام الكهف**: وهي مجموعة التصورات أو المعتقدات التي يؤمن بها الإنسان، دون امتلاك أي دليل على حقيقتها أو مصداقيتها، و يتحول عقل الإنسان بذلك إلى كهف من المعتقدات و القناعات الباطلة يأسره و يحتجز تفكيره و قراراته ..

❁ **أصنام السوق**: وهي المفاهيم الخاطئة المستمدة من التواصل مع البشر الآخرين، حيث تتسلل هذه المفاهيم إلى العقل بهدوء، ويتفاعل معها..

❁ **أصنام المسرح**: الانقياد الأعمى وراء المشاهير و الرموز في كل أفكارهم و أفعالهم و تصريحاتهم ، و لو كان قسم منها مغلوط بالكامل ..

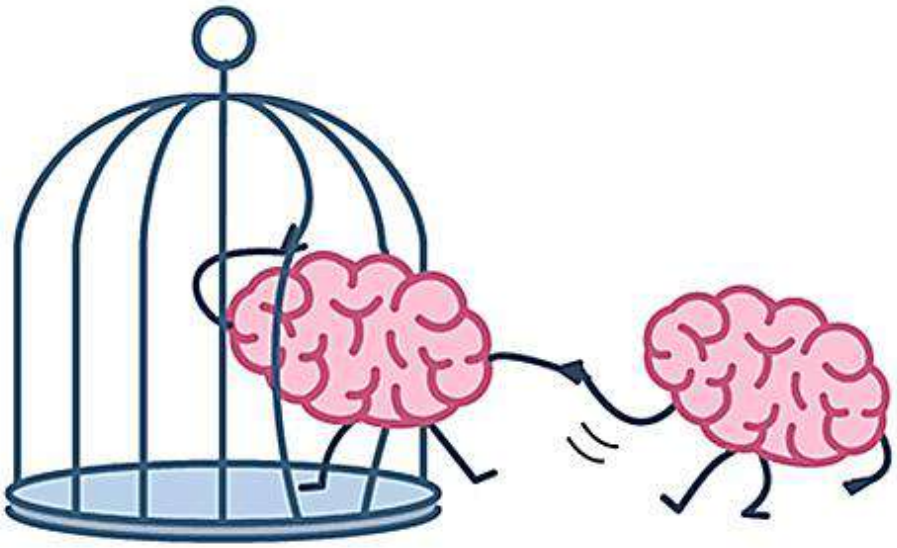

و علينا جميعاً أن نمسك **بمطرقة نيتشه** و نحطم بها هذا الرباعي الخطير كي تنتصر **فلسفة بيكون العلمية التجريبية التي تؤمن بالأدلة المنطقية فقط لا غير** ، عدا ذلك فهذا الرباعي سيعيدنا إلى جاهلية جديدة بدورنا ، و لنا في نبي الرحمة أسوة حسنة في مجابهة ذلك .. و هذا يقودنا إلى الشق الثالث من مغالطتنا ..

ثالثاً ، كيف تحطم أصنامك ؟

في الحقيقة هنالك بروتوكول فعال لتحطيم الأصنام الفكرية بل حتى وأدها في مهدها قبل أن تشيّد صروحها في عقولنا و تستعمرها ، و يقوم على **5** مبادئ هامة للغاية :

① البحث عن الحقيقة المجردة التي يبصم عليها العقل و المنطق

: ببساطة لا تقبل أي فكرة كانت و تتبناها إلا بعد أن تخضع لعملية فحص دقيق تحت مجهر المنطق الحيادي و بتجرّد بعيداً عن العاطفة أو المصلحة الشخصية أو القبلية ، فإن تبين لك أنها صحيحة اعتنقها ، وإن تبين لك أنها باطلة أرسلها إلى سلة المحذوفات ، و إن كانت مبهمة و غير مؤكدة تعامل معها على هذا الأساس ريثما يتم التأكد من صحتها .. بمعنى آخر لا تؤمن مباشرةً بأي فكرة تدخل دماغك من المحيط كمسلّمات ، بل تأكد بنفسك من صحتها ..

مثال : العمليات الحسابية صح مطلق ، ما لا تراه العين غير موجود خطأ مطلق ، وجود الفضائيين قد يكون صحيحاً أو لا ..

② **القراءة بكثرة** : لتحقيق البند السابق ليس هنالك أفضل من القراءة المكثفة و المطالعة لبناء أرضية معرفية تمكنك من دحض الأكاذيب أو تعلمك كيف و أين تبحث لتعريتها .. فالمعرفة قوة لا تضاهيها قوة ، و هي الضوء الذي ينير لك الطريق في الأنفاق المظلمة حتى تجد فوهة الخروج .. فالفكرة الخاطئة بحاجة لفكرة صحيحة تقف في وجهها كي تنهار ، أما إن وجدت نفسها بمفردها في الدماغ ستتكاثر و تتشعب و تستعمره و تستعبدك .. و القراءة هي مصدر الأفكار الجديدة المستمرة إلى دماغك للقيام بعملية تنظيف كالماء الجاري من كل ما هو خاطئ و يلوث المنطق ..

مثال : تناول السمك و اللبن يسبب التسمم فكرة سائدة في المجتمع و تدفع الناس إلى تجنب تناولهما معاً ، لكنّ أحدهم قرر التقصي علمياً عن حقيقة هذه الفكرة فقرأ مقالاً موثوقاً عنها ينفيها بالدليل و الإثبات ..

③ **نسبية الصواب و الخطأ** : كما أن هنالك أمور صحيحة بشكل مجرد ، فهنالك أمور صحيحة في مواضع معينة و خاطئة في مواضع آخر ، بحسب الزاوية التي تراها منها أو جملة المقارنة التي تستخدمها ، لذ حاول

ألا تقع في هذا الفخ ، بل أن تعتبرها صحيحة أو خاطئة بالنسبة للظروف الراهنة و ليس بشكل مطلق دائماً و أبداً

مثال : قتل النفس البشرية خطأ جسيم يتعدى فيه الإنسان على صفة يختص بها البارئ ، لكن قتلها في ظروف معينة كالموت الدماغي صواب و بتشريع من الله نفسه

④ **عدم التشبث بالرأي و الموروث** : أول خطوة لتحطيم الأصنام الفكرية أن تؤمن يقيناً أن **الأفكار التي تحملها في رأسك سواء بشكل موروث أو من البيئة أو من تجربتك الشخصية ليست كلاماً منزلاً و ليست أفكاراً مقدسة** ، بل تحتمل الصواب و الخطأ ، لذا اترك الباب مفتوحاً دوماً للأفكار الجديدة الأصحّ كي تدخل و تأخذ مكانها في دماغك في أي زمان و مكان ..

مثال : عندما أتى نبي الرحمة بالإسلام إلى قبيلته قريش ، تقبل البعض الدين الجديد برحابة صدر بعد رؤية المعجزات و البراهين ، أما البعض الآخر فتمسك بأفكاره الجاهلية و أوصد عليها الأقفال فحارب الإسلام و المسلمين بوحشية رغم أن الإسلام لم يحاربه شخصياً بالأساس بل طرح أفكاراً جديدة ليؤمن بها من يشاء..

⑤ **قبول الآخر و وجهات نظره** : الاقتناع التام بأنك تحتكر الحقيقة و أن الآخرين على خطأ ، أمر كارثي بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، لذا الأجدر بنا أن نترك قنوات اتصال و حوار و نقاش بناء بيننا و بين الآخرين كي

نتبادل وجهات النظر ، فقد يقنع كل منا الآخر و بالبراهين أن بعض أفكاره خاطئة فيقدم له خدمة العمر بإيضاح الحقيقة أمامه كي لا يتابع حياته يسير في الظلام و يلاحق سراباً لا وجود له ..

مثال : يميل الإنسان المتطرف و المتعصب دينياً أياً كان دينه إلى الإيمان التام بأنه يحتكر الدين الحقيقي و أن بقية البشر كفار، لذا يرفض الحوار معهم أو النقاش حول بعض أفكاره المتطرفة ، بمعنى أن الاصنام الفكرية في رأسه لن تتغير بل ستتكاثر في دماغه كالسرطان حتى تدفعه بالنهاية إلى الاقتناع بوجوب قتل جميع البشر المختلفين دينياً عنه ليتحول دون أن يشعر إلى مجرم يخالف جوهر الدين نفسه الذي يظن نفسه يدافع عنه ..

و شخصياً أرى الإسلام الحقيقي من أجمل الأديان على الكوكب ، فهو يحطم الأصنام الفكرية كلها باتباع البروتوكول السابق حرفياً ، فنجد مثلاً :

- الدعوة إلى التحقق من الصواب قبل تبنيه ، كما في الآية الكريمة التالية :

(إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا)

- الدعوة إلى القراءة المكثفة ، فكانت أول كلمة في تاريخ الإسلام هي **(اقرأ)** ..

● الدعوة إلى عدم الانقياد الأعمى خلف السائد و الموروث بدون تقصي و بحث تحت مجهر العلم ، فنجد الإسلام يذم فلسفة (**هذا ما وجدنا عليه آباءنا**) ، و يقدس العلم و العلماء (**العلماء ورثة الأنبياء**)..

● الدعوة إلى قبول الآخر و الحوار معه و الالتقاء في المنتصف .. كالآية الكريمة التالية :

(**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا و بينكم**)

و من يطبق كل هذا الكلام لن يبني في دماغه أصناماً فكرية تعيده إلى الجاهلية من جديد .. فنبي الرحمة حطّم الأصنام الفكرية قبل الأصنام المادية و منح كل مسلم مطرقة العلم كي يحطم أصنامه الخاصة من بعده ..

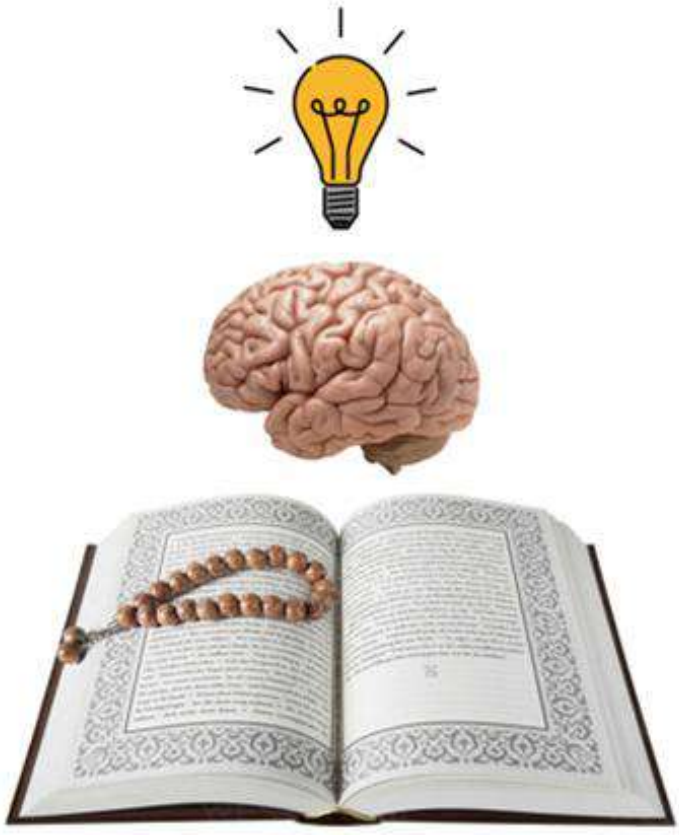

رابعاً ، أشهر الأصنام الفكرية :

الأصنام الفكرية كثيرة للغاية و تتغلغل في تفاصيل حياتنا اليومية و تتحكم بمصائرنا .. منها المحدود الذي يؤثر على حياة الفرد و منها الخطير للغاية الذي يهدد البشرية جمعاء ، و لعل أبرز الأصنام الفكرية الخطيرة هو :

❁ **الصنم من حجارة** : فكما سبق و ناقشنا في هذه المغالطة ، الأصنام ليست مادة محسوسة ، بل هي أفكار بالأساس و تم تجسيدها على شكل مادة كي يتواصل البشر معها حسياً فيصدقوها أكثر ، و معركتنا هي مع الأفكار و ليست مع الحجارة .. و هي معركة أعقد و اصعب فالمادة تحطم بمطرقة أما الأفكار فبحاجة لعملية شاقة من التقصي و البحث العلمي ..

❁ **المرأة عورة ناقصة عقل و دين** : بحيث تعامل كإنسان درجة ثانية ، فتحرم من حقوقها الأساسية و يحرم المجتمع من إمكانياتها و حكمتها و تحول مكانتها المرموقة كأم تهب البشرية الحياة إلى جارية بقصد المتعة في الدنيا و الآخرة ..

❁ **طبقات المجتمع** : من أشيع الأصنام الفكرية حول العالم أن أصابع يدك ليست كبعضها أو أن الناس مقامات مما يخلق طبقية في المجتمع تخالف الحق الإنساني بالمساواة بين الجميع على مبدأ الأخلاق و فقط كما قال نبي الرحمة : (**لا فضل لعربي على أعجمي و لا للون**

بشرة على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح) .. فالناس سواسية كاسنان المشط ..

❁ **الدين عبادة لا أخلاق و معاملة** : يحاول البعض في جميع الأديان السماوية و الأرضية أن يروج للدين كطقوس و عبادات و لو اقترن ذلك بتفريغ الدين من مضمونه الأسمى و هو الأخلاق القويمة و المعاملة الطيبة مع الآخرين ، فالدين بالأساس ألا تغش و ألا تسرق و ألا تعتدي لفظياً أو جسدياً و أن تمد يد المساعدة للآخرين و تنشر السلام حيثما وطأت قدماك ، و ليس الدين عبادات مكثفة و طقوس مفرغة من جوهرها لا تقدم للحياة سوى الرياء و المزاودة ..

❁ **العلم يكفي و لا حاجة للروحانيات** : فعلى المقلب الآخر ، اقتناع البعض أن الأديان و الروحانيات عبارة عن خرافات و أنّ قمة الذكاء و المنطق هو الإلحاد ،هو صنم فكري بحد ذاته ، فالدين هو الذي يمنح العلم غاية نبيلة سامية بوجود خالق للأكوان و وجود حياة أبدية بعد الموت .. عدا ذلك سيتحول الإنسان إلى جسد مادي يأكل و يشرب و يتكاثر بلا مبادئ و لا أخلاق فتنهار المجتمعات و تفنى البشرية .. فالدين و العلم توأم سيامي

ملتصق بلا انفصام ، كما وصف العالم **ألبرت أينشتاين** ذلك بإيجاز و إبداع :

(الدين بدون علم أعمى و العلم بدون دين أعرج) ..

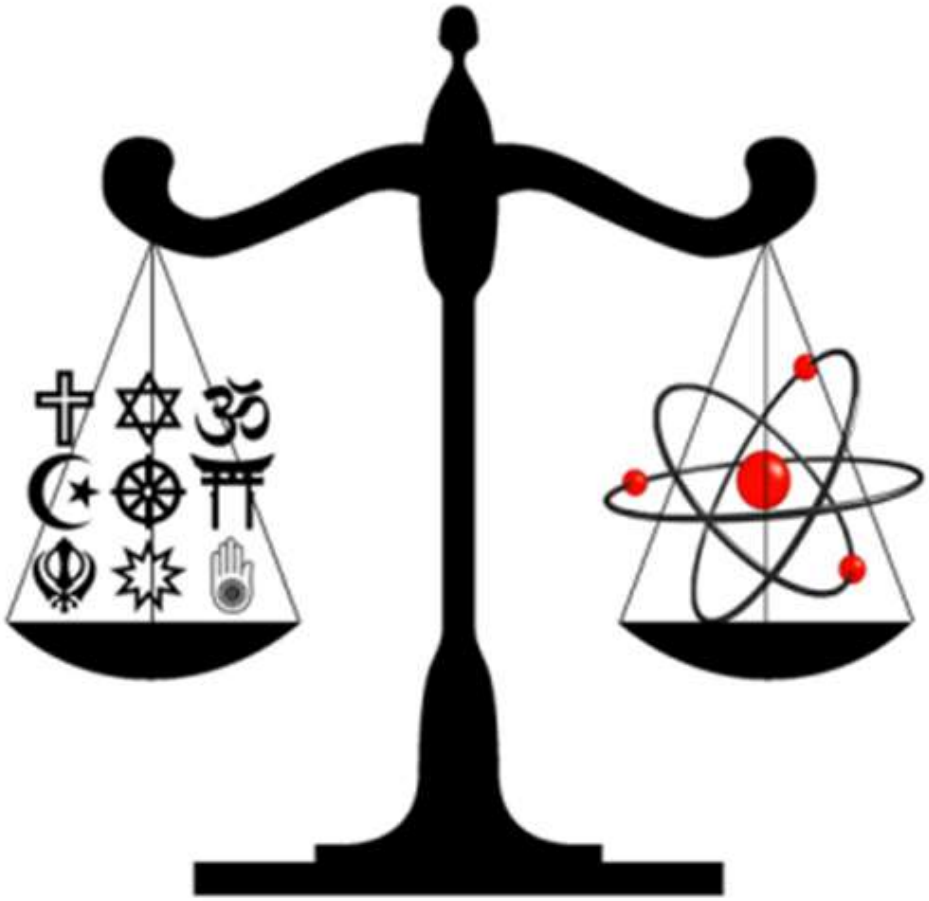

❁ **القوي يفرض كلمته و منطقه** : البقاء للأقوى هو من أخطر الأصنام الفكرية .. إذ يحول البشر إلى حيوانات تحكمها شريعة الغاب .. و الصواب الذي يجب أن يسود هو البقاء للأصلح الذي يفيد البشرية و يعمل على تقدمها و ازدهارها بالعلم و الأخلاق ، كما فعل الفيزيائي المبدع **ستيفن هوكينغ** مثلاً و هو ضعيف جسدياً للغاية بشلل تام ، أو ما فعلته الأديبة الكبيرة **هيلين كيلر** و هي عمياء و صماء و بكماء ، فإن طبقنا صنم البقاء للأقوى عليهما

سيتم إعدامهما لأنهما عبء جسدي على البشرية ، لكن إن طبقنا صنم العلم و الاخلاق فيجب على البشرية أن تقدسهما لكفاحهما المهول و ترك بصمات إيجابية لهما في الحياة رغم وضعهما الصحي العسير للغاية ، فما فعلاه يعجز أقوى الأصحاء عن فعله ..

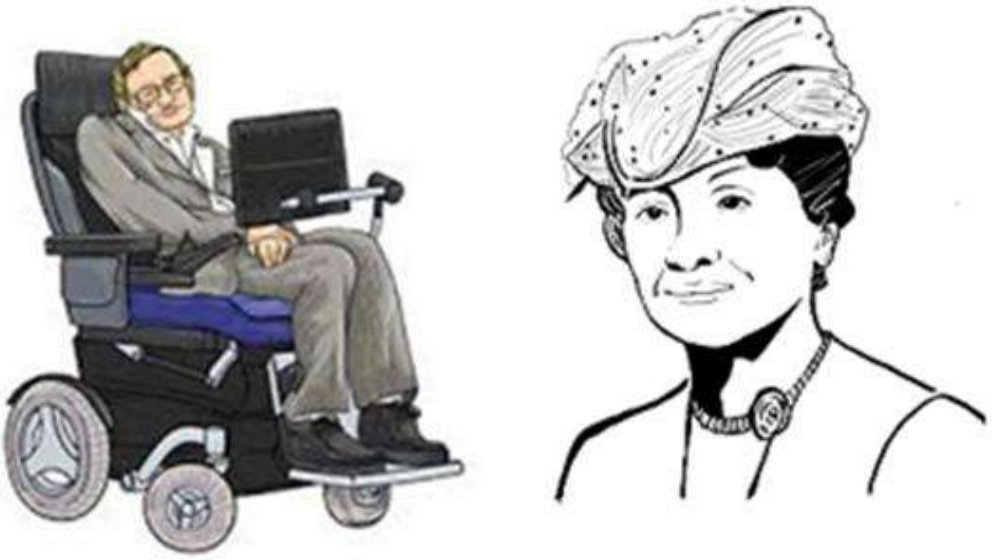

❁ **الشيوع يمنح الشرعية** : و هذا من أشهر و أخطر الأصنام الفكرية ، عندما تؤمن يقيناً بأن انتشار فكرة على نطاق واسع يؤكد صحتها ، فمثلاً آمنت جميع شعوب الأرض في فترة من التاريخ بوجود آلهة متعددة تحكم الكون ، ليتبين لاحقاً أنهم كانوا جميعاً على خطأ ، و هذا خير مثال واضح و بسيط يؤكد أن الشيوع لا يفرض المصداقية ..

❁ **الشرف و الجنس وجهان لعملة واحدة** : فربط الشرف بالجنس أمر خطير للغاية ، لأنّ الشرف ليس مفهوماً قزماً لهذه الدرجة ، بل هو كائن عملاق من

الأخلاق الرفيعة ، فالشرف ألا تغش و ألا تفسد في الأرض و ألا تقتل الآخرين .. و غيرها من المبادئ الأخلاقية السامية التي تنهض بالفرد و المجتمع معاً ..

❁ **المشهور معصوم** : أن تكون شخصاً مشهوراً فذلك يمنحك الحصانة و العصمة ، فيمكنك قول ما تريد و فعل ما تشاء ، لأن الشهرة تعني الصواب دائماً من منظور البعض الضيق ، و هذا الصنم الفكري الشائع خطير للغاية لا سيما في زمننا الراهن مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي و سهولة تحقيق الشهرة ، فيمكن مثلاً ليوتيوبر مشهور أن يستغل العدد المهول لمتابعيه كي يمرر أجندات ذات أهداف خبيثة يغسل بها عقول متابعيه بغياب الرقابة الشخصية أو العائلية أو الجماعية

❁ **الإكراه على الدين** : فاقتناع البعض أن السماء منحتهم شرعية فرض الدين على الآخرين بل خولتهم محاسبتهم و معاقبتهم هو افتراء على السماء و رمي لتعاليمها الواضحة و الصريحة عرض الحائط من حيث حرية المعتقد و القناعة طالما أنها تحقق الثنائي الذهبي ، (**لا تؤذي الغير ، و لا تفرض نفسها على الغير**) ..

❁ **التواتر كلام منزل** : و قد سبق و ناقشنا هذا الصنم الفكري الخطير في مغالطة مستقلة ، فالإيمان التام أن ما ورثناه من أفكار عن الأجداد هو صواب مطلق أمر خطير للغاية يجعل الجماعة برمتها محتجزة داخل قفص الأجداد دون أن تدرك ذلك ، و جميعنا يعلم تبعات ذلك على الفرد

و الجماعة و المجتمع و البشرية جمعاء ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الأصنام الفكرية**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الأصنام حجارة لا تفيد و لا تضر و علينا تحطيمها.

بل أن نقول :

= الأصنام ليست مادة محسوسة ، بل أفكار مغلوطة أتتنا من **الأجداد** بالتواتر و من **البيئة** بالمحاكاة و التقليد الأعمى و من **أعماقنا** بقصور معرفتنا و من **الآخرين**

بالترويج للأفكار الظلامية الخاطئة بنوايا خبيثة ، و تحطيم كل هذه الأصنام الفكرية يتم بوضعها تحت مجهر العلم و المنطق بحيادية و تجرد و الالتزام بما تقوله الأدلة و البراهين بدون كبرياء أو عصبية جاهلية

بالعودة إلى مقدمة مغالطتنا ، فإن الفكرة المضادة للفكرة الصنم لا تعني الصواب بالضرورة ، بل ربما كانت صنماً جديداً بحد ذاتها كما ظنّ صديقنا الملحد بأنه تحرر من أصنامه بإلحاده أو كما روّج بعض الفلاسفة كنيتشه مثلاً ، بل ربما كانت الحقيقة تقف في المنتصف تماماً بين الفكرتين ، فالدين الذي يتم تطبيقه بشكل خاطئ هو صنم فكري ، و الإلحاد التام في مواجهته صنم آخر ، أما الفهم الصحيح للدين و تطبيقه بشكل سليم فهو **المطرقة التي تحطم الصنمين معاً** بمنتهى البساطة ..

مغالطة قارّة الأحلام

الذهبية

(قناع ماسكيباثا)

= كيف قضيت أمسيتك بالأمس يا صديقي ؟

= بأجمل صورة ممكنة ..

= و كيف ذلك ؟

= هل تتذكر مسلسل الرسوم المتحركة الذي عرض عندما كنا أطفالاً بعنوان (**الأحلام الذهبية**) ..

= بالطبع ، كان يتحدث عن يافع اسمه **استيبان** و **مدن الذهب المفقودة** في أمريكا الجنوبية على ما أذكر ..

= تماماً استيبان و زيا و تاو .. لقد كان مفعماً بالإثارة و التشويق و الغموض ..

= بالفعل .. و ما حاله ؟

= لقد انتهى المسلسل حينها بنهاية مفتوحة لم تحسم كثيراً من الأمور العالقة إن كنت تذكر ..

= أذكر بالفعل ..

= و بالأمس اكتشفت بينما كنت أقلب فيديوهات اليوتيوب أنه تم إنتاج ثلاثة أجزاء جديدة منه ..

= ياه !! بعد أكثر من **3** عقود ؟!

= بالفعل ..

= و ما سرّ هذا التأجيل الغامض ؟

= لا أعلم .. و لا يهمني .. ما يهم بالفعل أنني قضيت

سهرتي كلها أشاهد تلك الأجزاء بسعادة و حماسة أعادت لي شيئاً من روائح الطفولة العبقة ..

= و هل هذه الأجزاء بجودة الجزء الأول ؟

= بلا شك ، لكن كل جزء منها يدور في قارة أخرى تضم مدينة ذهب جديدة ، لذا يبقى الجزء الأول هو الأجمل ، كونه يدور في قارة أمريكا الجنوبية ، فهذه القارة لها سحرها الخاص و هي بالأساس التي ربطت بقصة مدن الذهب ..

= محق .. يراودني نفس الشعور حيال هذه القارة ، إنها قارة غامضة و حالمة و تكتنفها الأسرار من كل الجهات .. و سأقوم بمشاهدة الأجزاء الجديدة من مسلسل الأحلام الذهبية بدوري هذا المساء بلا ريب..

= أما أنا فقد أثار حوارنا هذا فضولي لمعرفة قارة أمريكا اللاتينية أكثر ، لذا سأقضي المساء سائحاً بين صفحات

الكتب و الإنترنت لجمع أكبر قدر من الحقائق و المعلومات الغامضة عنها ..

*****

ربما يعتقد البعض أن قارات العالم متشابهة ، و أن قارة أمريكا اللاتينية ليست سوى إحدى هذه القارات ، لكن في الحقيقة هذا الافتراض ينطوي على مغالطة حقيقية .. فهذه القارة لا مثيل لها .. قارة مجبولة من السحر و الغموض .. المكان الذي تلتقي فيه الأرض مع السماء فتتغلغل فيها الروحانيات رغم أنها لم تشهد أي نبي أو رسول من قبل .. و حتى **في ذروة وثنيتها عبدت السماء** و قدمت لها قافلة من القرابين لترضى، نبغ سكانها الأصليون في العلوم و هم معزولون حرفياً عن البشرية و لم يحتكوا بأي حضارة أخرى ، و كأنّ **الإبداع معجون بجيناتهم** .. و قدسوا الذهب بالفطرة رغم أنه لم يكن نادراً عندهم و لم يفدهم حتى بالتجارة أو تكوين الثروات .. بل استشعروا سحره الخاص الذي يشعّ غموضاً و جاذبية .. حتى شاع عنهم أنهم أسسوا مدناً كاملة من هذا المعدن الغريب .. و إن كان كل ذلك لم يقنعك عزيزي القارئ بأنها قارة مختلفة عن البقية ، تعال لأقص عليك أكثر قصة أمريكا اللاتينية ، القارة الحالمة المذهلة بأسرارها الدفينة المدهشة التي تفجر العقل حيرةً و خيالاً .. و سأروي حكايتها هذه عبر **4** محاور شيقة :

1. نبذة عن تاريخ أمريكا اللاتينية ..
2. أكثر الأمور غموضاً في أمريكا اللاتينية ..
3. مكانة الشمس عند الهنود الحمر ..
4. أشهر المعالم السياحية في أمريكا اللاتينية ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نمخر عباب المحيط كي نعيد اكتشاف هذه القارة الساحرة من جديد سوياً ..

أولاً ، نبذة عن تاريخ أمريكا اللاتينية :

يمكن تلخيص تاريخ هذه القارة الحالمة عبر عدة نقاط :

- السكان الأصليون وصلوا الى الأمريكيتين من آسيا

عبر مضيق بهيرينغ و يقول البعض عبروا المحيط الهادي بقوارب من الأشجار و الجلد .. و أصل هؤلاء السكان من منطقة **جبال الألتاي** (التي تشكل نقطة التقاء الحدود المغولية و الصينية و الكازاخستانية و الروسية اليوم) و هاجروا إليها قبل **15-30** ألف عام ..

❁ أقدم و أعرق حضارة فيها : **نورتي شيكو** في البيرو **3500** قبل الميلاد ..

❁ حضارات لاحقة : **ناسكا & انكا & الأزتيك & المايا & الأولمك** .. و برعوا بالزراعة و علم الحساب و الفلك و البناء خاصة الأهرامات الفريدة ..

❁ اكتشفها الأوروبيون أول مرة بقيادة **كريستوفر كولمبوس** عام **1492** ،أثناء رحلته البحرية نحو الهند للتجارة بالتوابل ، و ظن أنها الهند لذا أطلق على السكان الأصليين فيها الهنود الحمر ، أما من اكتشف أنها عالم جديد فهو **أميريكو فسبوتشي** بعد كولومبوس بسنوات و

تم تسمية الأمريكيتين على اسمه .. و تقول بعض الدراسات أن الفايكينغ سبقوا كولمبوس إلى اكتشاف أمريكا الشمالية و الفينيقيون سبقوه إلى اكتشاف أمريكا الجنوبية تبعاً لبعض الآثار المكتشفة هناك ..

❁ أصل التسمية : معنى اسم القارة أمريكا اللاتينية الجنوبية :

= **أمريكا** : نسبة إلى أميريكو فسبوتشي ..

= **اللاتينية** : صيغ هذا الاسم في فرنسا تحت قيادة نابليون الثالث، ولعب دوراً هاماً في حملته، إذ لمّح إلى القرابة الثقافية بين هذه القارة و فرنسا اللاتينية ، لتحويل فرنسا إلى زعيم ثقافي وسياسي في تلك المنطقة، فتم تثبيت ماكسيميليان من قبل فرنسا كإمبراطور للمكسيك ..

= **الجنوبية** : لأنها تقع في نصف الكرة الجنوبي إلى الجنوب من أمريكا الشمالية ..

❁ وصل إليها الأوروبيون في القرن **16** ،أولاً الاسبان بقيادة **فرانشيسكو بيزارو و إنان كورتيز** حيث دارت معركة **كاخا ماركا** و أدت إلى سقوط مملكة الانكا ، ثم تبعهم البرتغاليون ..

❁ استعبد الإسبان و البرتغاليون السكان الأصليين ، و قتل أغلبهم في الحروب و التمرد و الأوبئة كالجدري و الحصبة و الطاعون التي انتقلت إليهم من أوروبا ..

❁ قام الأوروبيون بنقل العبيد من إفريقيا للعمل فيها خاصة في المناطق التي لا يتواجد فيها سكان أصليون

❁ **المستيزو** : هو جيل نشأ من تزاوج الأوروبيين مع الهنود الحمر ..

❁ عندما غزا نابليون الفرنسي إسبانيا في القرن **19** استغل إسبان أمريكا الجنوبية الفرصة و أعلنوا الاستقلال عن إسبانيا بقيادة الفنزويلي **سيمون بوليفار** & الأرجنتيني **خوسيه دي سان مارتن** ..

فأسس بوليفار أول دولة مستقلة عن التاج الاسباني باسم (**كولومبيا الكبرى**) التي ضمت دول شمال أمريكا الجنوبية ثم تفككت الى الدول المعروفة حالياً

في حين أسس خوسيه اتحاد (**ريو دي لابلاتا**) و ضم دول غرب أمريكا الجنوبية و تفكك لاحقا ايضاً ..

ثم تلا ذلك استقلال البرازيل عن البرتغال ..

- آخر دولها استقلالا في القرن **20** هي دول شمال القارة (**غيانا** عن بريطانيا & **سورينام** عن هولندا في حين لا تزال **غيانا الفرنسية** تابعة لفرنسا إلى اليوم)
- من أشهر شخصياتها في العصر الحديث : خوزيه موخيكا و تشي غيفارا و غابرييل غارسيا ماركيز و بابلو نيرودا و خوخيه بورخيس و فريدا كالو و بيليه و مارادونا و ميسي .. و القائمة تطول ، فما ذكر على سبيل المثال لا الحصر بالطبع ..
- رموز خاصة بالقارة : مشروب المتة & رقص السامبا & حيوان اللاما ..

ثانياً ، أكثر الأمور غموضاً في أمريكا اللاتينية:

في هذه القارة كوكبة من الاكتشافات الغامضة التي تتوزع على مختلف دولها و بعضها يمثل لغزاً حقيقياً عصياً على التفسير حتى يومنا هذا ، و نذكر من هذه الاسرار أشهرها..

① مدن الذهب الغامضة :

واحدة من أكثر الأساطير شهرة و غموضاً حول العالم و التي قتل في سبيل استكشافها المئات من المغامرين و الحالمين بالثراء .. و في الحقيقة أثبتت الدراسات و المخطوطات الأثرية ، أن وجود مدن كاملة من الذهب غير مرجّح ، لكن الأكيد هو وجود مدينة في أمريكا الجنوبية كان يقطنها الهنود الحمر منذ قرون بعيدة ، و كان يدعى زعيمها (**إلدورادو**) أي (**الشخص المطلي بالذهب**) حيث كان يطلي جسده يومياً بالذهب ليغتسل لاحقاً في مياه بحيرة مقدسة في المدينة .. و اليوم حرّف اسم إلدورادو إلى مدينة الذهب .. و أظهرت الاكتشافات أن الزعيم كان خلال الاحتفالات الدينية يحيط نفسه بأربعة من كبار الكهنة يزينهم الريش والتيجان الذهبية إلى جانب زينة جسدية، وكان عارياً إلا من غبار الذهب، ثم يُقدم قرباناً من القطع الذهبية والزمرد والقطع النفيسة الأخرى للآلهة من خلال القاءها في البحيرة المقدسة.. و كانت شواطئ البحيرة المستديرة تمتلئ بالجمهور المتفرج الذي كان يحرص على وضع الزينات وعزف الموسيقى

.. و هذا يؤكد أن قاع تلك البحيرة يحوي كنزاً حقيقياً من الذهب و المجوهرات لا يقدر بثمن ، مما يعني بأن مدن الذهب ليست خرافة بل أسطورة لها ما يدعمها على أرض الواقع ..!! و لا نزال نرى آثاراً من تلك الاحتفالات في كرنفالات البرازيل لاسيما في ريو دي جانيرو حيث يتزين السكان و يرقصون و يهتفون للسماء مع استبدال الإلدورادو الذهبي بالمسيح الفادي مع انتقال شعوب القارة من الوثنية إلى المسيحية ..

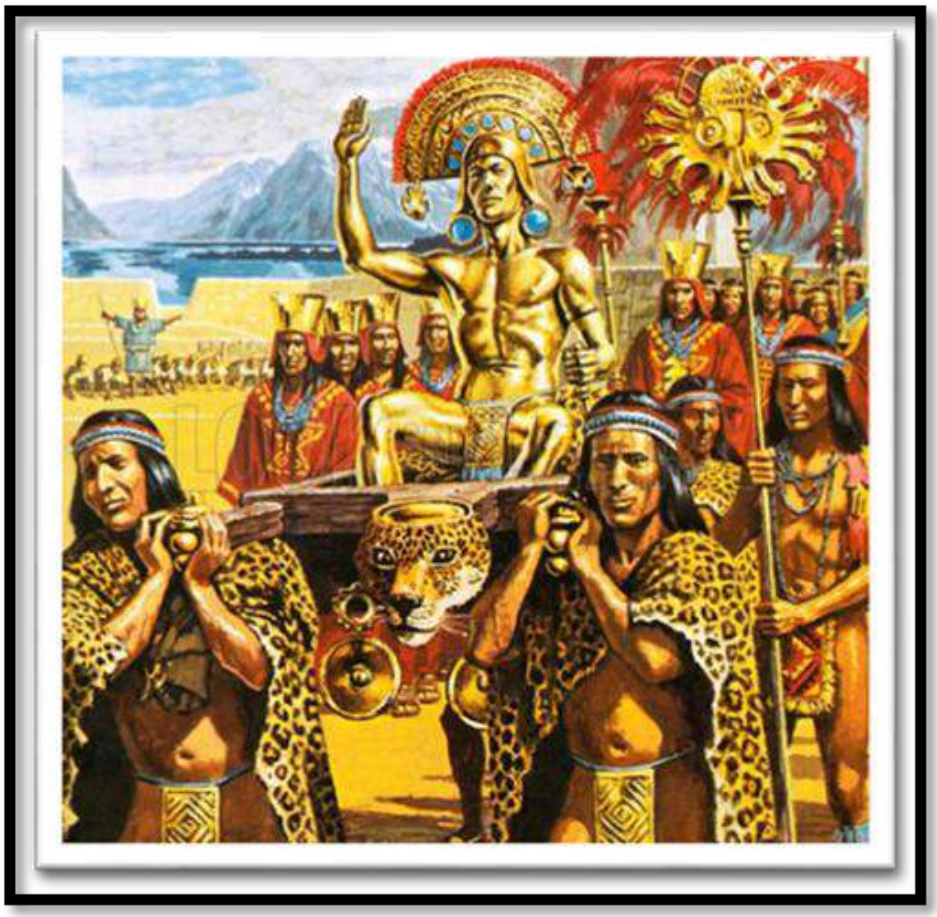

② أهرامات الشمس :

قد يظن البعض أن الأهرامات حكر على الحضارة الفرعونية ، لكن في الحقيقة الأهرامات منتشرة في كل

قارات العالم ، إذ عثر على أهرامات في السودان الذي يحوي أكبر عدد من الأهرامات في العالم و روما و جزر الكناري و إندونيسيا و الصين و اليابان و القارة القطبية الجنوبية **و** البوسنة و غيرها ، لكن تبقى الأهرامات الأكثر شهرة بعيداً عن أهرامات مصر هي أهرامات الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية خاصة عند حضارات المايا و الإنكا و الأزتيك .. و التي شيدت على نحوٍ غريب بطريقة مشابهة لأهرامات مصر رغم عدم وجود أي احتكاك ممكن بين الحضارتين ، فهل هذا مجرد تخاطر ذهني أو تشابه في الخيال ، أم أن هنالك جهات غامضة أخرى ساعدت الحضارتين على تشييد هذه الأهرامات كالفضائيين بحسب زعم البعض ؟!!

و الغاية من تشييد أهرامات الهنود هي أن تكون مسكناً للآلهة و مكاناً لإجراء طقوس الأضاحي و القرابين البشرية في سبيل تلك الآلهة .. و غرف الأهرامات تعج بالرسومات الغريبة بعضها مفسر و يوضح تلك الطقوس و بعضها الآخر لا يزال لغزاً حتى اليوم .. و يعتبر أشهر تلك الأهرامات هو **هرم الشمس** في المكسيك و **هرم معبد ساسكوامان** في البيرو .. و يعتقد البعض أن مدن الذهب المخفية عبارة عن اهرامات مصنوعة برمتها من الذهب.

③ خطوط نازكا :

سلسلة من النقوش في أرض الصحراء الحصوية أو ما يعرف باسم (جيوغليف) تقع في صحراء نازكا في جنوب **البيرو**، اكتشفت صدفة عام **1926** من أعلى تل ، ليتم دراستها لاحقاً عبر طائرة من السماء لتظهر الحقيقة العجيبة الصادمة ، عدد هائل من الرسوم تمتد لأكثر من **80** كيلومتر بين بلدتي **نازكا** و **بالبا**.. وتمثل أشكالاً هندسية و بشرية و حيوانية وأكبرها يمتد لمسافة **200** متر، ويعتقد العلماء أنها نحتت لأغراض دينية. وبسبب المناخ الجاف، لم تختف تلك النقوشات عبر الزمن ، و يعتقد أنها تعود لحضارة نازكا التي ازدهرت بين عامي **400** و **650** ميلادي .. و لا تزال الآلية التي رسمت بها بدقة على هذه المساحات الشاسعة أحد أكبر الألغاز البشرية إذ أنّ هذا الرسم الدقيق يتطلب رؤية واسعة من

السماء لم تكن متوفرة بالطبع في تلك الفترة التاريخية ، فهل للفضائيين دور في رسمها مجدداً ؟!! ، كما أن الغاية الدقيقة منها بالأساس لا تزال مجهولة بدورها ..

④ جزيرة القيامة :

أو تعرف أيضاً باسم جزيرة الفصح تقبع جنوب شرق المحيط الهادئ بعيداً عن شواطئ دولة تشيلي التي تتبع لها بحوال **3700** كم ، و تعج بمئات التماثيل لرؤوس عملاقة ، حوالي **1000** تمثال ضخم تسمى **مواي**، و التي أنشأها شعب **رابا نوي** الأوائل الذين زفوا إلى هذه الأرض العذراء منذ مئات السنين حوالي عام **800** م ثم توسعوا فيها ليبلغ تعدادهم حالياً **7750** شخص.. أما سبب تسميتها جزيرة الفصح أو جزيرة القيامة فيعود

لأول زائر أوروبي للجزيرة، وهو المستكشف الهولندي **جاكوب روجيفين** ، الذي صادف وصوله إليها يوم الأحد عيد الفصح أو القيامة عام **1722** م .. و لا تزال هذه الرؤوس لغزاً عصياً على التفسير سواء من حيث سبب نحتها أو طريقة فعل ذلك فهي ضخمة بالفعل و لا يمكن للأدوات و المعدات المتوفرة في تلك الآونة أن تنجز مثل هذا العمل الفني الضخم و المتقن !!

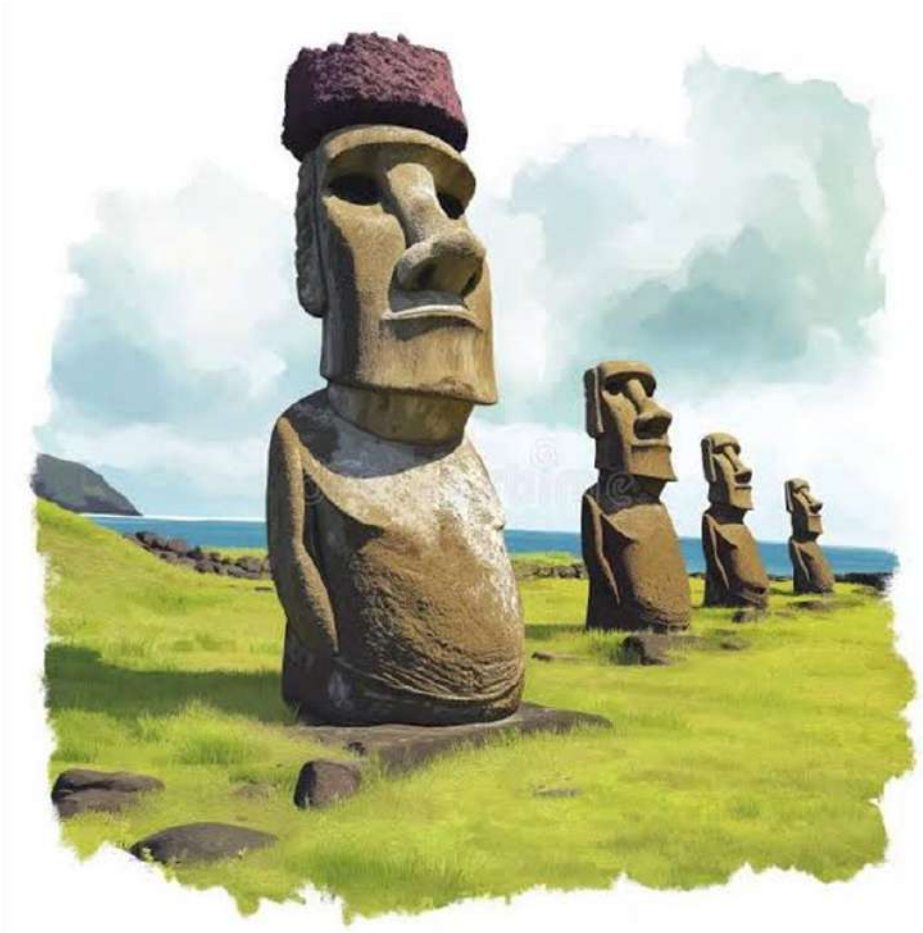

⑤ مدينة ماتشو بيتشو :

أو تعرف أيضاً باسم **قمة الجبل القديم** أو **القلعة الضائعة** و بنيت من قبل شعب الإنكا في القرن **15** ميلادي،

اكتشفت عام **1911** ثم صنّفت بعدها من عجائب الدنيا السبع الجديدة بسبب بنائها الهندسي المذهل الذي لا ينسجم أبداً مع الأدوات و الإمكانيات التي كانت متوفرة في تلك الحقبة من التاريخ ، وتقع في منطقة **كوزكو** في دولة البيرو ، حيث يحيط بها جبلان من سلسلة جبال الأنديز، وترتفع لأكثر من **2000** متر فوق سطح البحر .. و تعتبر أهم ثلاث مناطق فيها هي **جبل هوبانا المقدس** و **معبد الشمس** و **معبد القمر** .. و كان يتم فيها تقديم القرابين البشرية للسماء خاصة من الإناث ..

⑥ اكتشافات صادمة :

في أرجاء هذه القارة الغامضة تم العثور على اكتشافات غامضة حيرت العلماء و أثارت عاصفة من الأسئلة بلا أجوبة ، نذكر منها :

❁ **هيكل أتاكاما** : هيكل عظمي طوله **15** سم فقط ، عثر عليه في حافظة جلدية في **صحراء أتاكاما** في تشيلي .. أثار زوبعة من التصريحات و الأسئلة و الافتراضات و اعتبره كثيرون كائناً فضائياً ، و يقول العلماء أن تحليله الجيني يرجح أنه بشري لكن مصاب بعدد كبير من الطفرات الجينية معاً ، في حين يعتقد البعض أنه فضائي بالفعل و تم تزييف حقيقته كالعادة !!

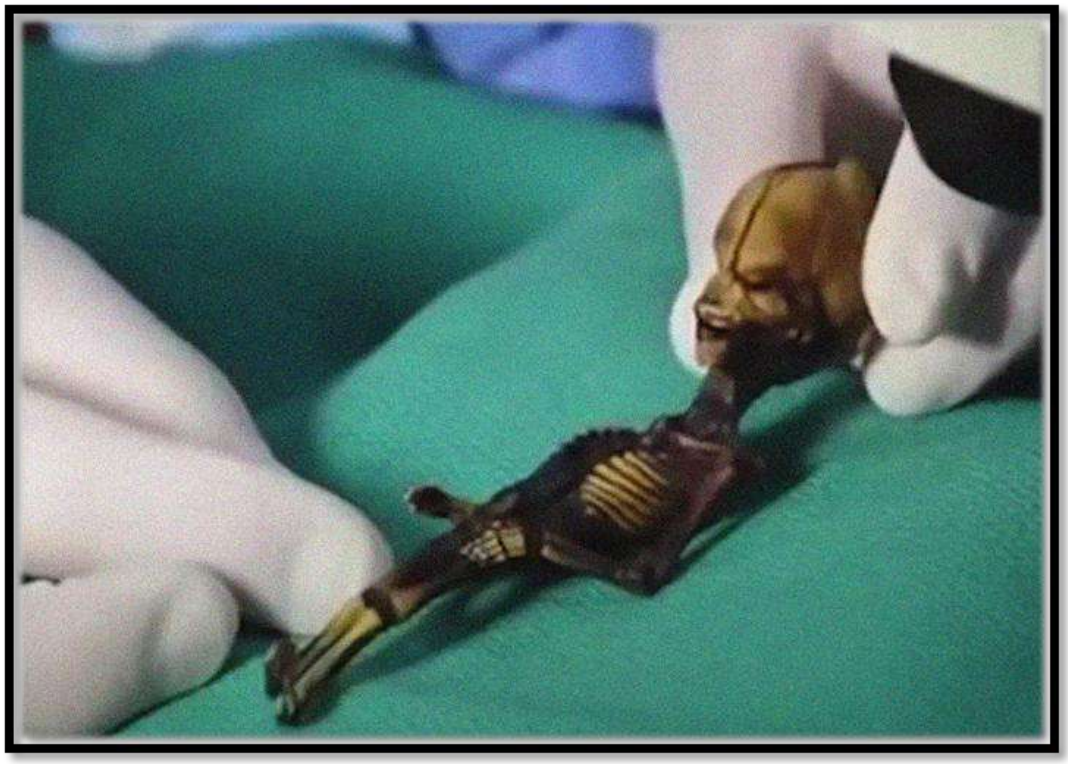

❁ **تحف كويمبانا** : تصاميم صغيرة لطائرات عثر عليها في دولة **كولومبيا** ، و أثبت التحليل أنها تعود لقرون بعيدة عندما كانت الطائرات غير موجودة ، مما طرح فرضية الفضائيين مجدداً ، إذ كيف لحضارة معزولة كالهنود الحمر أن يبتكروا تصاميم لطائرات بالأساس ؟! كما ربطت هذه الهياكل بخطوط نازكا ، فهل نجح الهنود

الحمر بالطيران بالفعل ؟!

۞ **هياكل باراكاس** : هياكل عظمية شبيهة بالكائنات الفضائية بجماجمها المتطاولة ، عثر عليها في دولة **البيرو** ، كما عثر أيضاً في **الأوروغوي** و **الباراغوي** بحسب زعم البعض على مومياوات ذات ثلاثة أصابع فقط و مغطاة بمسحوق أبيض بالكامل .. و الأكثر غرابة أن البرلمان **المكسيكي** عرض عام **2023** و بشكل رسمي مومياوات قال بأنها لكائنات فضائية !!

❁ **بوابة الشمس** : بوابة حجرية صنعتها حضارة **تايوانكا** في **بوليفيا** قبل حوالي **1500** سنة.. قرب **بحيرة تيتي كاكا** على أرتفاع حوالي **4000** متر فوق سطح البحر بشكل موازي للعاصمة البوليفية **لاباز** ، طولها **3** متر و عرضها **4** متر ويقدر وزنها بعشرة أطنان كقطعه حجرية متصلة .. و عليها مجموعة رموز يصل عددها إلى **48** رمزاً بالإضافة إلى رمز واحد مركزي.. تمثل **32** من هذه الرموز وجوهاً بشرية أما **16** رمزاً المتبقية فتمثل رؤوس طائر الكندور، وجميع هذه الوجوه تنظر للرمز المركزي الذي يعتبر بمثابة رمز مقدس يخرج من حوله **24** شعاع قد تمثل أشعة الشمس، يعتقد بعض المؤرخين وعلماء الآثار أن الرمز المحوري يمثل **إله الشمس**.. و قد ربط البعض رموز بوابة الشمس بمدن الذهب الغامضة المخفية و ربطها آخرون بخطوط نازكا في البيرو ..

❁ **صفارات الموت** : عثر علماء الآثار أثناء التنقيب في أواخر تسعينيات القرن الماضي، على رفات شاب يبلغ من العمر **20** عاماً مقطوع الرأس، ويجلس في وضعية القرفصاء عند قاعدة الدرج الرئيسي لمعبدٍ دائري يخصّ **الإله إيكاتل**، إله الريح عند شعب الآزتيك.. و الهيكلٍ العظمي يعود لأحد قرابين ممارسات التضحية البشرية، و كانت بيده صفارات صغيرة مزيّنة بوجهٍ غريب قال البعض أنه وجه فضائي و البعض الآخر قال أنه لجماجم بشرية ..

لكنّ علماء الآثار أثبتوا لاحقاً أن صورة الوجه تُمثل **الإله كولمزتلي** ، إله العالم السفلي عند الآزتيك .. و على نحو يفسر كل ذلك اكتشف العلماء في إحدى صفحات **مخطوطة كوديكس بورجيا** العائدة لتراث حضارة الإزتيك رسماً للإلهين **إيكاتل** و **أكولمزتلي** يقفان و ظهراهما لبعض، بحيث يحرسان مدخل العالم السفلي

بحيث يُمثّلان ثنائية الموت والحياة معاً .. مما يفسر العثور على الصفارات قرب ذلك المعبد .. و لا تزال وظيفة هذه الصفارات المرعبة مجهولة حتى اليوم ..!!

❁ **تماثيل أكامبارو** : **33** ألف تمثال اكتشفت عام **1944** من قبل **فالديمار** في بلدة **أكامبارو** المكسيكية الصغيرة قرب العاصمة مكسيكو سيتي، و التي تجسد بشراً يروضون ديناصورات مع مجسمات لسفن فضائية ، ظن البعض أولاً أنها دفنت حديثاً في المنطقة ، لكن العلم أثبت أنها تعود لقرون خلت قبل اكتشاف الديناصورات أو وضع فرضية وجود فضائيين ... مما يطرح العديد من الأسئلة العجيبة عن هوية مصممها !!

❁ **فالي دو جافاري** : وادٍ اكتشف في ولاية **أمازوناس**

في **البرازيل** و هي مناطق من غابات الأمازون لم يزرها بشري من قبل و تحوي سكاناً أصليين لم يحتكوا بالحضارة البشرية الحديثة بعد .. و يعتبر هذا الوادي أحد أكبر ألغاز العالم ..

❁ **آثار سومرية قديمة في بوليفيا :** عُثر ضمن آثار موقع تيوانكو الأثري في بوليفيا على أوانٍ أثرية سومرية من **العراق**، تعود إلى العام **3500** قبل الميلاد، مما يوضح لنا وجود علاقات بين العالمين القديم و الجديد بشكل أبكر بكثير ممّا نتخيّل!!

ثالثاً ، مكانة الشمس عند الهنود الحمر :

كان للشمس دور محوري في تاريخ هذه القارة الغامضة ، فقد آمن الهنود الحمر قديماً أن **إله الشمس** (**آه كين**) هو من خلق الكون و هو في عقيدتهم الإله الشاب الذي يتقدم لخطبة **إلهة القمر أكنا**، و في الوقت نفسه يحمي البشر من قوى الشر المرتبطة بالظلام ، لذا لا عجب أن نجد القرابين كلها كانت تقدم له..

و لا عجب أنّ بناء أهراماتهم تم تبعاً لمواقع الشمس و النجوم في السماء و أطلقوا عليها أهرامات الشمس..

و لا عجب أن اشهر طقوسهم هي رقصة الشمس ..

و لا عجب أن بوابة الشمس في بوليفيا نقش في مركزها إله الشمس الذي تتجه إليه نقوش البشر و الكوندور من حوله ..

و لا عجب أن أهم موقع في أهم مدنهم (مدينة السماء ماتشو بيتشو) هو معبد الشمس حيث تقدم القرابين ..

و لا عجب أن أهم أعيادهم كان عيد الشمس (**انتي رايمي**) ويتم الاحتفال به في **21** حزيران من كل عام وهو التاريخ الذي اختاره حكام امبراطورية الأنكا القديمة للاحتفال بالعيد الديني الأهم و هو عيد إله الشمس ..

و لا عجب أنهم اعتمدوا التقويم الشمسي (الروزنامة

الشمسية) و برعوا بعلوم الفلك و قراءة السماء ..

و لا عجب أن تفرض التقاليد على الملك ارتداء قناع ذهبي على شكل شمس اسمه (**ماسكيباثا**) ..

و لا عجب أن يطلق على الرهبان و الكهنة لديهم برهبان الشمس ..

و لا عجب أنّ خلق الإنسان في عقيدتهم تم من نبات الذرة المقدس لديهم و كأنّ كل حبة ذهبية من العرنوس تمثل إنساناً مستقلاً ..

و لا عجب أن للذهب قيمة كبيرة بالنسبة لهم فتم تقديم التحف الذهبية بالتحديد لإله الشمس و ولدت عندهم أسطورة مدن الذهب الغامضة و الكوندور الذهبي و الملك الإلدرادو المطلي بالذهب ..

و بالمحصلة لا عجب أن نجد الشمس أو النجم متواجداً بكثرة في أعلام دول القارة حديثاً ..

رابعاً ، أشهر المعالم السياحية في أمريكا اللاتينية :

هذه القارة الغامضة تعجّ بالمعالم السياحية التي تستحق

المشاهدة ، و نكتفي بذكر أشهرها على مستوى العالم :

- جزيرة القيامة في **تشيلي** ..
- مدينة ماتشو بيتشو في **البيرو** ..
- تمثال المسيح الفادي و شاطئ كوبا كابانا في ريو دي جانيرو في **البرازيل** ..
- شلال كايتيور في **غيانا** و هو أعلى شلال مفرد في العالم ..
- نهر بيريتو مورينو الجليدي في **الأرجنتين** ..
- جزر غالاباغوس الساحرة في **الإكوادور** ..
- شلالات آنجل في **فنزويلا** ..
- غابات الأمازون المذهلة المنتشرة في عدة دول ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**قارة الأحلام الذهبية**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أمريكا الجنوبية قارة كغيرها ، ما المثير فيها ؟!

بل أن نقول :

= أمريكا الجنوبية قارة ساحرة غامضة و حالمة تعجّ بالأسرار و يكتنفها الغموض من كل الجهات ، و يكفينا كدليل على ذلك عدد مرات ذكر الفضائيين في هذه المغالطة كي نعرف أن أغلب الاكتشافات فيها لا تزال لغزاً عصياً على التفسير من قبل العقل البشري رغم تطور العلوم و التكنولوجيا ..

لطالما ارتبطت هذه القارة الغامضة و الساحرة بالأحلام الذهبية .. فكم من مغامر اقتحم غياهب المحيطات و واجه العواصف الهوجاء كي يصل إليها بحثاً عن حلم الثراء بالعثور على مدن الذهب المخفية .. لكنّ الحقيقة الأهم التي جهلها هؤلاء أنّ الذهب كان يقبع في أعماقهم طول الوقت ، فالإنسان بحد ذاته تحفة ذهبية نفيسة لا يضاهيها أي شيء آخر في الكون ، حبة ذهبية من عرنوس ذرة ذهبي ، فإن وعى الإنسان إلى حقيقته هذه و زرع في تراب الحياة أثراً طيباً له ، نبت من حبتة المفردة بيادر ذرة كاملة .. و من أراد تقديم قربان للشمس على خطى الهنود الحمر فليضحي بنصفه المظلم للسماء كي يشرق

نصفه المضيء على من حوله و تزدهر الحياة البشرية برمتها ..

مغالطة عيد

الحب

(قلب يتسع الجميع)

= لقد اقترب عيد الحب يا صديقتي ..

= لا أكترث ، فأنا لا أؤمن به ؟

= و لماذا ؟ لأنك لم ترتبطي بعد ؟! لو سمعت نصيحتي لكنت الآن متزوجة و تعيشين عيد الحب بتفاصيله ..

= بل لأنني لا أؤمن بأن هنالك يوماً في العام للحب ، بل أؤمن بأن على البشر أن يعيشوا كل لحظة من حياتهم يحبون .. كما أنّ الحب ليس للعشاق فقط كي تكون المشكلة أنني لم أرتبط .. بل الحب لكل شيء من حولنا ، عائلة ، أصدقاء ، وطن ، و حتى الله نفسه ..

= يا سلام .. حب الله .. و هل هنالك من يؤمن بقصة حب خرافية من طرف واحد ؟!

= أنا لا أتدخل في إلحادك ، فلا تتدخلي في إيماني .. أنا أؤمن بالعشق الصوفي فهو أنبل و أسمى أشكال الحب ، و من يبلغه لن يحتاج أي حب آخر .. لكن بلوغه ليس بالأمر اليسير .. و وصله قلة فقط من البشر ..

= مثل من ؟

= مثل **الحلاج** و **ابن الفارض** و بالطبع مثلي الأعلى في الحياة **رابعة العدوية** ..

= و لماذا هي مثلك الأعلى ؟ ماذا فعلت ؟

= أنثى طاهرة نذرت نفسها لله ، فعاشت حياتها بالزهد و التنسك ، بل جعلها حبها لله تعزف عن الزواج .. وبقيت

عذراء حتى ماتت.

= ربما لم يتقدم لها أحد لا أكثر !!

= بل تقدم لها كثر و معروفين بالأسماء و منهم أحد العباد الصالحين ويسمى **عبد الواحد بن زيد** ، إذ عرض عليها أن يتزوجها و يقال أنها ردت عليه:

يا شهواني... اطلب شهوانية مثلك !

كما تذكر بعض الروايات الأخرى أن أمير البصرة **محمد بن سليمان الهاشمي**، صاحب النسب الهاشمي الرفيع، والمال والجاه، أُعجب بها إعجاباً زائداً، و سعى بدوره إلى الزواج منها حيث قال لها:

لي غلّة عشرة آلاف في كل شهر أجعلها لك

فكتبت إليه:

ما يسرّني أنك لي عبد ،و أنّ كل ما لك لي و أنك شغلتني عن الله طرفة عين

فقد أرادت رابعة طريق الله ومحبته وحده، لا يشغلها عنه رفيق أو زوج أو مال أو ولد أو متاع ولو كان مباحاً حلالاً سائغاً للعابدين ! و أنشدت في حبه الأبيات الشهيرة :

أحبّك حُبين؛ حبّ الهوى

وحبّاً لأنك أهلٌ لذاكا

فأما الذي هو حُبّ الهوى

فشُغلي بذكرِك عمّن سواكا

وأما الذي أنتَ أهلٌ له

فكشفُك للحُجب حتى أراكا

= لا أراها سوى حمقاء تخلت عن متع الحياة المباحة و المضمونة من أجل إله غير مؤكد لن يفيدها بشيء..

لم تسكت صديقتها هذه المرة عن هذه الإهانة فردت ببرود :

= لا عجب أن يكون رأيك بها كذلك ، فأنت تخليتي عن

حبيبك الأول لأنه لم يكن ثرياً و لم تكتفي بذلك بل حرقت قلبه أكثر بأن تزوجت صديقه الثري بعد أن تآمرتما عليه .. فالدنيا بالنسبة لك متجر بيع و شراء للمتعة و الرفاهية.. أما الحب فلا وجود له في قاموسك.. و أنا أتحدث عن حب العشاق بالأساس فكيف ستفهمين حب الله تالياً .. لا أفهم ما الذي يعنيه لك عيد الحب أصلاً و أنت رميت بالحب على قارعة الطريق في سبيل تحقيق أحلامك المادية من متعة و مال و جاه ؟! من يلهث وراء الجنس و المال ، لن يرفع نظره للسماء أبداً ، فهذان ضدان لا يلتقيان ..

*****

يقول الفيلسوف الألماني المشهور بفلسفته المتشائمة **أرثر شوبنهاور** :

(إن كلّ نوع من الحب، مهما بدا جميلاً و أثيراً،

ينبع تماماً من غريزة الجنس)

فهل كلامه واقعي وصحيح ؟ هل الحب هو مرادف للجنس ؟ و هل عيد الحب هو بالفعل كما يؤمن كثيرون هو عيد العشاق أي أنه يصب بالنهاية في خانة العلاقة الحميمية لا غير ؟!

في الحقيقة هذا التصور القزم و الممسوخ عن الحب يعتبر واحداً من أكبر المغالطات البشرية الشائعة .. فالحب أكبر

بكثير من حصره بالعشاق أو الجنس .. الحب هو غاية الحياة الأساسية و من أجله خلق الكون الأصغر كمرحلة وسيطة قبل انتقال البشرية إلى الكون الأكبر كي يعيشوا هناك للأبد بالحب و لا شيء آخر ..

ما الدليل على هذا الادعاء ؟

هذا ما سنحاول إثباته سوياً بتفصيل أكبر خلال الصفحات التالية عبر **3** زوايا هامة و حسّاسة :

① **جذور عيد الحبّ ..**

② **ما هو الحبّ ؟**

③ **الحبّ لا يقاس ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ لنتعرف أكثر بمنتهى الحب على الوجه الحقيقي للحب و بالمنطق و البراهين ..

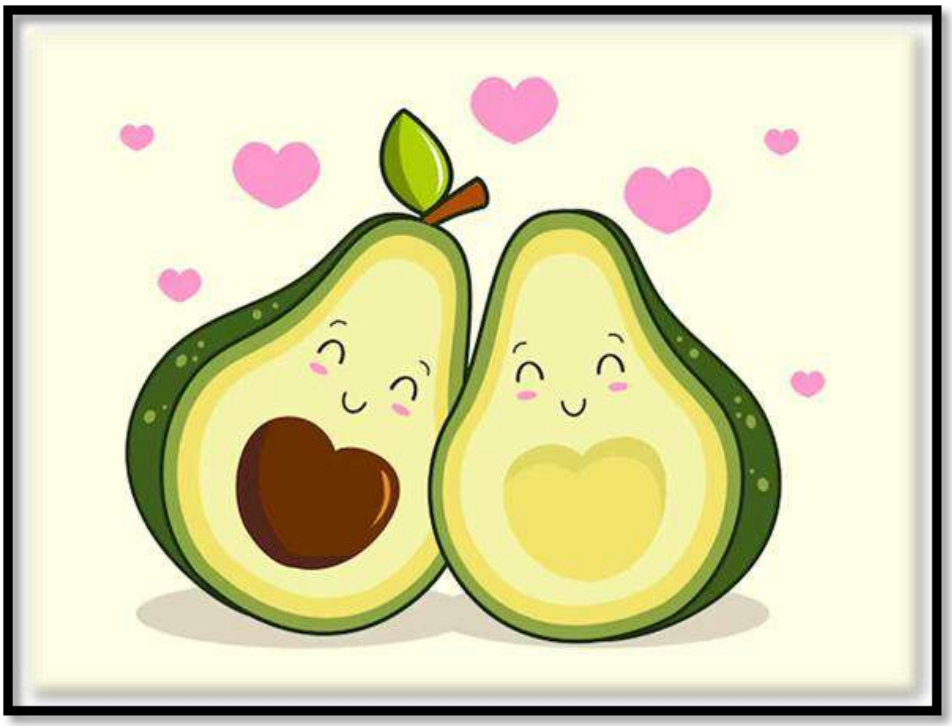

أولاً ، جذور عيد الحبّ :

اصل الاحتفال بهذا العيد مختلف عليه .. و في الحقيقة هنالك ثلاث روايات شهيرة بخصوصه :

❁ عيد الحب تقليد وثني روماني :

اعتادت **روما القديمة الوثنية** على القيام باحتفال سنوي يسمّى **لوبركاليا**، يقام بين **13** و **15** شباط من كلّ عام. و كان جوهر الاحتفال هو محاولة **طرد الشرّ** و **زيادة نسبة الخصوبة** عند الأزواج.. حيث يقوم الرجال بالتضحية بماعز ، ثمّ يقومون بضرب النّساء ضرباً خفيفاً بجلود هذه الأضاحي .. فقد كانوا يعتقدون بأنّ هذا الفعل يزيد من الخصوبة ..

❁ القديس فالنتينوس يتحدى الامبراطور:

في القرن **3** الميلادي ، أمر الإمبراطور الروماني

كلوديوس الرّومانيين بأن يعبدوا **12** إله، كما حرّم التّعامل مع الأشخاص الذين يدينون بالمسيحيّة، وعدّها جريمةً يُعاقَبُ عليها بالقتل ، إلّا أنّ **راهباً مسيحياً** يدعى **فالنتينوس** لم يرضخ لهذه الأوامر ، فقد وهبَ حياته للمسيحيّة و للعيشِ في ظل مُعتقداتها متبعاً أوامر المسيح فحسب ، فكان يُمارس كلّ عباداته و ما يؤمن به جهاراً، ولم يكن يهابُ أحداً في ذلك ، لذلك قُبِضَ عليه و وُضِعَ في السِّجن بانتظار تنفيذ حكم الإعدام بحقه..

في حياته الأخيرة في السِّجن، طلبَ سجّانه منه أن يُعلِّم ابنته العمياء بالولادة بعض العلوم، بعدَ أن عرفَ مقدار علمه، فوافق فالنتينوس على ذلك .. و بدأ يحدثها عن العالم و أسراره ، و قصّ عليها تاريخ روما عبر قصص ممتعة ، و بالطبع حدثها عن وجودِ الله، فوثقت به

وتأثَّرت بما علَّمها، فقد كان عينها التي ترى بها العالم من حولها.. سألته ذاتَ يوم عن حقيقة سماعِ الإله لصلواتها وهيَ تُصلّي، حيث كانت تدعوه في صلاتها أن تستعيد بصرها لترى ما تعلّمته بعينيها، فأجابها فالنتينوس بأنَّها إن آمنت بالإله بحقّ، فإنّ الإلهَ سيفعلُ الأفضل لها، فقالت إنّها تؤمن به من صميم قلبها ، فقام معها بعد ذلك و صلّى، وأثناء الصّلاة أبصرت لأول مرة في حياتها ..

في آخر ليلةٍ قبلَ وفاة فالنتينوس، كتَب لها مُلاحظةً حثَّها فيها على أن تبقى قريبةً من الله، و وقّع في نهاية الرِّسالة :

(من فالنتاين (الحُبّ) الخاصِّ بك)

ثمّ نُفِّذ به حُكم الإعدام في يوم **14** شباط من عام **270** ميلادي ، بجانب بوابّة سُمِّيت فيما بعد باسم **بورتا فالنتيني** تخليداً لقصّته، ثم دُفِن في كنيسةٍ مشهورة في روما عُرِفت آنذاك باسم **براكسيديس**، و بجوا قبره زرعت ابنة السجان شجرة لوزٍ لتتفتّح بزهرٍ ورديّ كل ربيع ، حيثُ تَرمزُ هذه الشّجرة للحبّ و الإخلاص ..

❁ القديس فالنتين يدعم الحبّ سرّاً :

أصدر الإمبراطورالروماني **كلوديوس** قراراً يقضي بمنع زواج الشّباب المقاتلين، و برّر ذلك بأنّ الجُنود غير المتزوجّين أفضلُ وأكثر كفاءةً في أداء عملهم من الجنودِ المُتزوّجين؛ لأنّ المخاوف تُسيطرُ على أذهان الجنودِ

المُتزوّجين حول ما قد يحدُث لعائلاتهم إن ماتوا في الحرب .. إلّا أنّ كاهناً اسمه **فالنتاين** لم يقتنع بهذا القرار و اعتبره جائراً ، لذا عمل على تزويج بعض الجنودِ بالسرّ ، ولسوء الحظّ علمَ الإمبراطور بذلك، فأُلقِي القبضُ على فالنتاين، ووُضِعَ في السّجن وعُذِّب، ثم حُكِم عليه عام **269** بالإعدام بسبب وقوفه ضدّ قرار الإمبراطور.. و أعدم في **14** شباط ..

ثانياً ، ما هو الحبّ ؟

يميل الناس بشكل عام إلى قرن الحبّ بالجنس في مغالطة مزدوجة ، تربط الحب بالعشق بين المغرومين فقط من جهة ، و تربط العشق نفسه بالعلاقة الحميمية من جهة ثانية .. و الحقيقة أنّ الحب أكبر من ذلك بكثير و رغم أنه لا يمكن الإحاطة فعلياً بالحب فهو دائرة مركزها في كل مكان و محيطها ليس في أي مكان ، لكن يمكن التركيز على **3** نقاط أساسية تجلّي الوجه الحقيقي للحبَ :

❁ **أطراف الحب** : الحب ليس شعوراً مقتصراً على علاقة بين ذكر و أنثى .. بل الحب هو مشاعر بين أي طرفين في الحياة (إنسان أياً كان جنسه و أياً كانت قرابته .. جماد .. وطن .. قضية .. فكرة و خالق و هذا هو أسمى أشكال الحب أي العشق الصوفي عندما تسكرك الخمرة الإلهية عن كل شيء سواها) ، كما يقول **جبران خليل جبران** في هذا الصدد:

(و قبل أن تعظني نفسي كان الحب خيطًا دقيقًا مشدوداً بين وتدين متقاربين، أما الآن فقد تحول إلى هالة أولها آخرها و آخرها أولها، تحيط بكل كائن و تتوسّع ببطء لتضم كل ما سيكون)

❁ **جوهر الحبّ** : **الحبّ هو فعل أي شيء من أجل سعادة شيء آخر** ، فعندما تحب جهة ما بصدق ، فأنت ستسخر حياتك كلها في سبيل سعادتها و راحتها بل تستعدّ أن تموت كي تحيا هي .. و ليس الحب مجرد **كلام أو هدية أو علاقة جنسية** .. فكل ذلك مجرد تعبير مادي ممسوخ عن عملاق معنوي حقيقي معمّد بسلسلة من التضحيات و المواقف الصادقة عندما يختبر الوفاء بنيران التجارب ليظهر معدن الحب الحقيقي كحب صادق بالفعل أو مجرد استغلال جسدي و روحي و جنسي للطرف الآخر ..

❁ **قوة الحبّ** : الحبّ ببساطة مجترح المعجزات ، فعندما تحب جهة ما بصدق ستخرج من أعماقك طاقات كامنة جبارة لم تكن تعلم بوجودها كي تدافع عن هذه الجهة و تحميها و تحقق أحلامها و لا مثال أبلغ لوصف ذلك من الأب الذي يتعرض ابنه للخطر فيتحول في غمضة عين إلى كائن أسطوري من القوة و الحزم كي يحميه و كل أب حقيقي يفهم تماماً ما أقصده.. فحب الآباء لأبنائهم لا يعادله حب في الكون ..

من جهة ثانية فالحب هو الطريق المعبّد نحو السلام .. فطالما أن القلوب سوداء تغلي بالحقد و البغض فلا تتوقع أن يسود السلام في أي مكان .. أما عندما تصفو القلوب و تبيض ستحلق حمائم السلام البيضاء في سماواتنا. كما يقول الموسيقي الأمريكي **جيمي هندريكس**

بتلخيص كافٍ و وافٍ :

(عندما تتغلّب قوة الحب على حب القوة ،

سيشهد العالم السلام)

وفي الحقيقة لا يمكن معرفة قيمة الحب بوعي إلا بتذوق علقم الحقد و البغض ، لذا فقد خلقت الدنيا و فيها مليار سبب كي يكره الناس بعضهم و أسباب قليلة كي يحبوا بعضهم ، كي يقعوا في فخ البغض ليدركوا بأنفسهم الفرق بين الثرى و الثريا .. بين عالم يسوده الحب بسلام و عالم يسوده الكره بحروب و دمار و تشرد و ضحايا ، فألماسة الحب المشعّة تتربع على عرش تلة من الفحم الأسود من الحقد و البغض .. لكن يبقى الحب شيء تتزين به و

الحقد شيئاً آخر كوقود تغذي به نيران الفتنة و تؤججها .. لذلك فإنّ تعريف العقلاء في الدنيا ببساطة هم الساعون للسلام بين الشعوب ، الذين يدفنون الأحقاد و يروجون لفلسفة التسامح و الغفران و فتح صفحات بيضاء جديدة ، بمعنى أن نفعل ما تحدث عنه الأديب الكبير **أمين الريحاني** :

(في بحيرات النور، و الإرادة، و الحُب سأعمّد الجنس البشري بأكمله)

فالحب نور ، و الحقد نفق مظلم حالك .. و عندما لا تقدر الحب حقّ قيمته ستدخل ذلك النفق المعتم بإرادتك لتتحسّر على تلك الأيام الجميلة التي عشتها بظلال الحب و سلامه ، و أنت ترى كل ما حولك سواداً بسواد كما لوكنت أعمى عن الوجود ، لذا عندما تخرج من هذا النفق إلى نور

الحب مجدداً ستفهم حكمة الحياة العظمى من خلق الكون الأصغر كجسر عبور إلى الكون الأكبر:

(الفرق بين الحب و الحقد كالفرق بين النور و الظلام ، فلا عاقل يفضل الثاني على الأول)

ثالثاً ، الحب لا يقاس :

يقول الأديب الإنجليزي الشهير **ويليام شكسبير** :

(ما أتعس الحب الذي يقبل أن يقاس)

فاختزال الحب إلى يوم في السنة أمر مؤسف يمسخ الحب و يقزّمه ، بل على الإنسان أن يحاول قضاء كل لحظة

من حياته على امتداد سنوات عمره بالحبّ بكل أشكاله .. فما فائدة أن تحب ليوم و تبغض لعام ؟

و الحب الذي يقتصر على جنس محدد مقاس ، و على علاقة جنسية مقاس ، و على البشر فقط مقاس ، و على أي شيء بعينه مقاس .. الحب شيء أكبر من أن يقاس فلا يمكن الإحاطة بحدوده ..

الحب برج ساعة جرسها يدق مع كل تكة ثانية لها .. مسجد يعلو أذانه في كل لحظة ..

غمامة تمطر في كل مكان لا على شجرة واحدة ..

لا يختزل بوقت أو شخص أو جماد أو فكرة أو أي شيء محدد ..

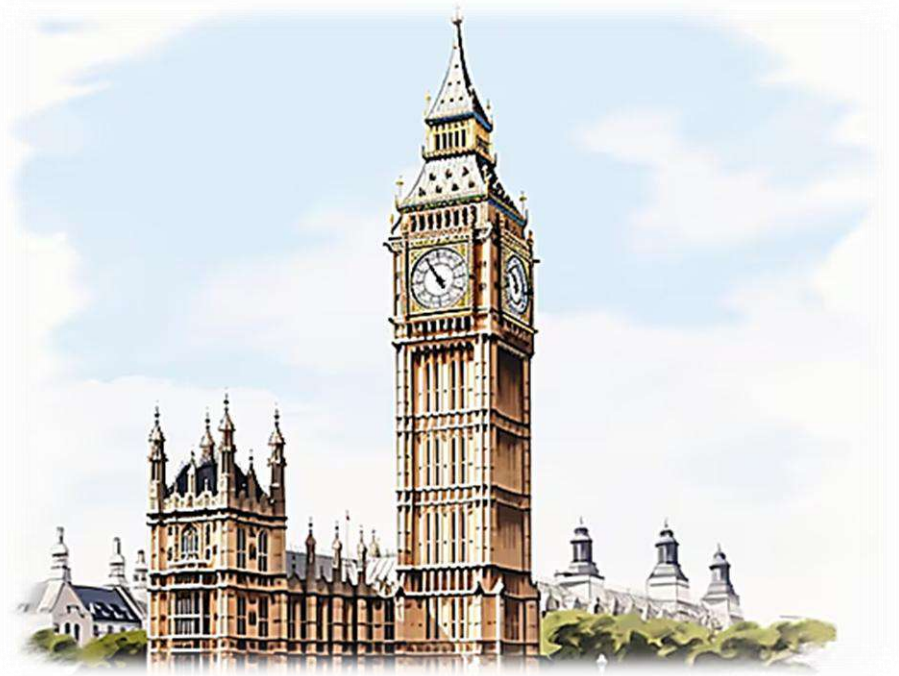

و خير من وصف شمولية الحب و عدم إمكانية تقزيمه أو اختزاله هو الفيلسوف **محي الدين بن عربي** بأبيات

شعره الأيقونية التالية :

كنت قبل اليوم أنكر صاحبي

إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة

فمرعى لغزلان و دير لرهبانِ

و بيت لأوثانٍ و كعـــــبة طائــف

و ألواح توراة و مصحف قرآنِ

أدين بدين الحب أنّى توجهت

ركائبه فالحب ديني و إيماني

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**عيد الحبّ**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= سأحتفل مع شريكي الجنسي بعيد الحب ..

بل أن نقول :

= هذه عبارة مفعمة بالمغالطات .. فالحب **أولاً** لا يقتصر على يوم في السنة بل يجب أن يعاش مع كل تكة ثانية .. و الحب **ثانياً** لا يقتصر على العلاقات الحميمية بل لا علاقة له بالجنس بالأساس بل هو حالة وجدانية يقدم فيه الإنسان كل شيء من أجل سعادة الطرف الآخر .. و الحب **ثالثاً** لا يقتصر على العشاق بل قد يكون الحب تجاه قريب أو صديق أو فكرة أو قضية أو وطن أو بأسمى أشكاله تجاه الله بالعشق الصوفي .. و **أخيراً** الحب ليس شيء مادي من كلام و هدايا و جنس .. بل هو سلسلة من التضحيات و المواقف و التجارب التي تميز الصدق و الوفاء و الإخلاص عن الاستغلال الجسدي و الروحي و الجنسي

الإنسان في الحياة الدنيا أشبه بالذهب الخام ، يتم صهره بنيران الحقد و الكره و التجربة ليتلاءم مع قالبه المرغوب ثم يبرّد بنسيم الحب و التسامح كي يأخذ شكله النهائي كجسد سماوي تليق به جنان الحياة الآخرة فيعيشها بحب حقيقي مع نفسه و مع الآخرين و مع خالقه إلى أبد الآبدين

كلغة رسمية وحيدة هناك يفهمها الجميع بتنوع ألوانهم و أديانهم و ألسنتهم الأرضية ..

مغالطة وجه يسوع

(أيقونة بلا أب)

ألمانيا / ميونخ

غارميش بارتن كيرشن / بحيرة إبسي ..

تموز 2021 م ..

● مذهل ، لا يمكن لهذا اليوم أن يكون أجمل من ذلك سيد ماتيوس..

قالها الشاب و هو مستغرق بالعزف على الكمان مائلاً مع الإيقاع بابتسامة عجزت عن إخفاء الحزن الدفين في عينيه ..

ابتسم مساعده ماتيوس و هو منهمك بإعداد الجمر الملتهب في آلة الشواء أمامه ..

○ محق لأبعد الحدود سيد **أوليفر،** فالجو غاية في الهدوء والدفء، وطوال سنوات حياتي الستين كلها لم أشاهد **بحيرة إبسي** أبداً بهذا الجمال والصفاء ..

● يا له من منظر مهيب و ساحر ، لكأنه هاربٌ من لوحات الفنان الكبير عاشق الطبيعة **كلود مونيه** .. أسراب البط المحلقة ، انعكاس الجبال الشاهقة على سطح البحيرة ، قوارب الصيد و السياحة المبعثرة هنا و هناك ، الأشجار الكثيفة الوارفة المحيطة بالبحيرة كإكليل

العروس .. كل شيء باعث على البهجة و الحبور في هذا اليوم المثالي و الاستثنائي ..

○ إنه خير مكان لإراحة الأعصاب من صخب المدينة و توتر حياتها..

● صدقت ، و ستكتمل الصورة بهاءً إذا ما اصطدنا قليلاً من السمك .. لقد مضى نصف ساعة دون أن تهتز الصنارة سيد ماتيوس .

○ صيد السمك يحتاج قليلاً من الحظ و كثيراً من الصبر سيد أوليفر...

تابع أوليفر عزفه لمقطوعة الراهب الأحمر **فيفالدي**

الشهيرة(**لا فوليا**) تلك المقطوعة ذات الإيقاع المجنون كحال أوليفر منتشياً بعظمة الأجواء من حوله، في حين استمر مساعده الشخصي **ماتيوس** بتجهيز عدة الشواء و هو يرمقه بابتسامة بين الفينة و الأخرى .. معجباً بعزف و حماس سيده الشاب ذي الأربعين ربيعاً ، بقامته متوسطة الطول و شعره الأقرب إلى البني مع العينين العسليتين و اللحية الخفيفة ، إضافةً إلى **الشامة المميزة على خده الايسر** ..

أوليفر مواطن ألماني يقيم في بلدة **غارميش بارتن كيرشن** التابعة لمدينة ميونخ في مقاطعة **بافاريا** جنوب ألمانيا.. اعتاد في أيام العطل الذهاب الى بحيرة إبسي التي تبعد حوالي **6** كم عن البلدة ليمارس هوايته المفضّلة بصيد السمك والعزف في الطبيعة على آلة الكمان التي يجيدها كما آلات البيانو والغيتار، فقد درس الموسيقى في شبابه ويعشقها بشكل جنوني...

أما ماتيوس فهو رجل طويل القامة ، نحيل و أصلع عدا بعض الشعر الأشيب من الخلف، ذو لباقة مميزة بالحديث .. و هو بالنسبة لأوليفر أكثر من مساعد شخصي، فبعد وفاة والديه **لوثر** و **فاطيما** بحادث سير مروع منذ **10**

سنوات، أصبح ماتيوس الشخص الوحيد المتبقي من ذكرياته السابقة ومن طفولته، فهو لا يملك أخوة ولا أخوات، إذ أنجبه والده **تاجر الألماس** الجنوب أفريقي ووالدته **الطبيبة** الألمانية من أصول عربية عبر **تقنية طفل الأنبوب** بسبب مشاكل بالإنجاب، ليرث بعد وفاتهما المفجعة ألماً داخلياً عميقاً يكسره قليلاً بالموسيقى، وثروة هائلة يديرها باجتهاد ويحافظ عليها...

أوليفر لم يتزوج بعد لعدم لقائه بالفتاة المناسبة حتى الآن، و له اعتبارات

خاصة جداً في موضوع الزواج، إذ لا ينظر إليه كفرض لا مفر منه، بل

كمشروع أبدي يستمر حتى الوفاة، لذا فهو بحاجة لتروٍّ وتحليل دقيق قبل الإقدام عليه.. هذه على كل حال نقطة محيرة في شخصية أوليفر، ليس معروفاً إن كانت إيجابية أم سلبية.. فأوليفر **مهووس بالتحليل والتمحيص والبحث الدائم عن حقيقة الأمور وأصل الحكاية في كل شيء**، و لطالما سبب له ذلك الكثير من الإشكالات...

صاح به ماتيوس فجأة ..

● سيد أوليفر انتبه ، إن صنارتك تهتز ..
وضع أوليفر الكمان جانباً وهرع الى صنارته فسحبها ليجد في نهايتها سمكة فضية كبيرة الحجم نسبياً تتلوى وتبرق بانعكاس ضوء الشمس عليها ، فالتفت إلى ماتيوس بسعادة ..

○ انظر سيد ماتيوس، بدأت ملامح غدانا اليوم تتضح تدريجياً ..

رمى السمكة في السلة وأعاد وضع الطعم في الصنارة، ثم ألقاها من جديد في البحيرة وسط تعليق ماتيوس على الصيد الثمين ...

● و يبدو لي أنها ملامح ساحرة ..

صمت للحظات ثم أردف ..

● بمناسبة هذ الحديث هل اتضحت ملامح زيارتك القادمة إلى إيطاليا سيد أوليفر ؟

توقف أوليفر عن العزف ليجيب مساعده بوضوح ..

○ بالطبع سيد ماتيوس ، لقد حسمت قراري نهائياً و السفر في الشهر القادم شهر آب أي بعد اسبوع ، لقد حجزت أمس تذكرة السفر مع غرفة في أحد فنادق ميلانو، إذ كان ضغط العمل شديداً في الفترة المنصرمة و من حقي إراحة أعصابي بإجازة استثنائية أستحقها كهذه ...

عاود العزف رافعاً صوته كي يسمعه ماتيوس :

● فإيطاليا من البلدان التي لم أزرها بعد وأسمع عنها الكثير من القصص حول جمال طبيعتها، بساطة أهلها ومحبتهم للحياة، وكثرة المعالم السياحية فيها خاصة ميلانو، و في حال أعجبني الوضع في ميلانو سأكمل الرحلة بالسفر إلى روما، نابولي، فلورنسا وفينيسيا.. فأنت تعرف شغفي بالسياحة و التعرف على البلدان والحضارات الأخرى سيد ماتيوس ..

ماتيوس بابتسامة ..

○ إذاً ما يزال هدفك هو زيارة جميع بلدان العالم ؟

● بالطبع ، و هل هنالك أجمل من اكتشاف العالم و معالمه و أسراره ! لقد زرت حتى الآن ثلاثاً وثلاثين دولة ما بين عمل وسياحة، و سأتابع الطريق على هذا النحو، زد على ذلك أن لهذه الرحلة بشكل خاص وضع استثنائي يميزها عن كثير من الرحلات السابقة ماتيوس بفضول ..

○ وما هو سيد اوليفر؟

● هنالك إحساس داخلي قوي يدفعني إلى هذه الرحلة سيد ماتيوس ، لا أدري ما هو بعد ، كما أعجز عن تفسيره بالضبط إذ لم أختبره قطّ في أي رحلة سابقة ، لكنني بحكم تجربتي في السنين السابقة اعتدت على

اتباع إحساسي دائماً، فطالما أوصلني إلى نتائج غاية في الأهمية، و لعله هذه المرة أيضا سيوصلني إلى حقيقة جديدة و لن يشذ عن القاعدة ...

○ أرجو لك ذلك سيد أوليفر، سأبدأ بتوضيب الحقائب إذاً فور عودتنا .. فهي كما تعلم تستغرق بعض الوقت كي لا ننسى شيئاً...

● بالطبع .. فالسفر قريب ويجب أن أكون على أتم الجهوزية قبل موعده .. انظر سيد ماتيوس إنّ الصنارة تهتز مجدداً، سيكون غداؤنا اليوم بكل تأكيد سمكاً مشويّاً

العودة إلى المنزل ...

بعد غداء سمك مشوي شهي في الطبيعة قفل أوليفر ومساعده ماتيوس عائدين الى منزله في غارميش بارتن كيرشن..

شرع ماتيوس بتوضيب قسم من أغراض أوليفر تاركاً الحاجيات الخاصة به لينظمها بنفسه.. في حين جلس أوليفر إلى البيانو يعزف إحدى مقطوعات **موزارت** التي يعشقها (**ليلة موسيقية قصيرة**) في غرفة الموسيقى حيث أن منزله مكون من طابقين :

الأرضي و يضم صالة استقبال الضيوف، المطبخ و

غرفة ماتيوس .. في حين يشتمل **العلوي** على غرفة نومه، غرفة للمطالعة حيث أن الكتاب هو الصديق الدائم لأوليفر، غرفة للموسيقى تحوي بيانو و آلات أخرى و كل ما يخص عالم الموسيقى إضافة إلى حمّامه الخاص لاحقاً في تلك الليلة جلس أوليفر و مساعده ماتيوس في الشرفة العلوية لغرفة المطالعة يحتسيان كأساً من (**المتّة**) بالعسل لأوليفر مع كأس بيرة لماتيوس، و رغم أن المتة ليست مشروباً معروفاً في ألمانيا إلا أن أوليفر تعرف عليها في زيارة سابقة إلى الأرجنتين من خلال صديق فأحبها و اعتاد عليها.. و المتة كما يصفها أوليفر

ككل شيء في هذه الحياة يبدأ صعباً ومراً ثم مع الصبر يسهل ويحلو شيئاً فشيئاً ...

انهمك أوليفر على الشرفة بمطالعة كتاب شيّق عن مقارنة الأديان و كان كلما قرأ فكرة جديدة أخبر ماتيوس عنها كي يتناقشا حولها ، و في حين كان أوليفر أكثر مرونة وتقبلاً للحقائق الدينية من ماتيوس بحكم كونه هجين تجري في عروقه دماء من أعراق متعددة إضافةً إلى انحداره من عائلة هجينة دينية فمن أجداده المسلمون والمسيحيون واليهود، فقد كان ماتيوس أكثر تشدداً و صرامةً في أفكاره **لذا كان أوليفر أميل إلى البحث عن الحقيقة الجديدة في حين كان ماتيوس أميل إلى الدفاع عن (حقائق) سابقة مفترضة**.

*****

مرت الأيام التالية مسرعةً و كأنها تسابق بعضهما حماساً لزيارة إيطاليا حتى جاء يوم السفر إلى ميلانو..

● رافقتك السلامة سيد أوليفر...

○ شكراً لك سيد ماتيوس، بلغ زوجتك تحياتي ...

● سأفعل .. استمتع برحلتك حتى الذروة ، فجسدك و ذهنك يستحقان ذلك بعد إرهاق العمل .. ابتسم أوليفر له ثم استقل سيارته منطلقاً الى مطار مدينة ميونخ، فرحلته الساعة العاشرة صباحاً وعقارب الساعة الآن تشير إلى الثامنة صباحاً، و سيستغرق حوالي الساعة

حتى يصل الى المطار ...

مضت السيارة تشق الطريق الواسع ملتهمةً الكيلومترات الواحد تلو الآخر وأوليفر مستسلم لأفكاره ، لا يزال ذلك الإحساس الغريب القوي يختلج في صدره بأنّ أمراً هاماً سيحدث له في هذه الرحلة لكن ما هو؟

في الحقيقة اعتاد أوليفر على الإيمان بأن **السماء تتكلم مع جميع البشر عبر طرق شتى، كشخص تلتقيه، حادثة تتعرض لها، قصة تسمعها أو كتاب تقرأه،** لذا على الإنسان إن استشعر أن السماء تريد أن تخاطبه أن يصغي بكليته لكل شيء يدور حوله ، فمن يدري عند أي زاوية تكمن الفكرة الجديدة التي قد تغير حياته إلى الأبد ؟

وصلت السيارة أخيراً إلى مدينة ميونخ ثم بلغت مطارها ، فجلس أوليفر في قاعة الانتظار ريثما يسمح له بركوب الطائرة، فتح جهازه الخلوي ليتابع بشغف القراءة عن إيطاليا بشكل عام وعن ميلانو على وجه التحديد ..

إن أهم ما يميز ميلانو عاصمة **إقليم لومبارديا** أنها مركز إيطاليا الصناعي و التجاري والمالي بشكل عام ، كذلك فهي تعتبر عاصمة الموضة في العالم، و هي حديثة العهد بالانضمام إلى الدولة الإيطالية في عام **1859** م،

أما أهم معالمها السياحية فهي كاتدرائية ميلانو التي ستكون بلا شك أول أهداف زيارته .. أُذِنَ للركاب أخيراً بالصعود إلى الطائرة فجلس أوليفر في مقعده المريح بجوار النافذة و أغلق عينيه سارحاً في أفكاره .. إن الطائرة تستغرق تقريب الساعة لتصل إلى وجهتها وأفضل شيء الآن هو النوم .. فقد سهر أمس حتى ساعة متأخرة و هو غارق في قراءة كتاب شيق يدعى : (**تاريخ الكون وأصل الحياة**) ، لقد شعر بعيد الانتهاء من الكتاب بوجود ثغرة ما في الأفكار التي يطرحها لكنه لم يدرك بالضبط ما هي ؟

بقي يفكر بهذه الثغرة المبهمة و الغامضة في مقعده حتى استغرق تماماً في النوم ...

*****

إيطاليا / ميلانو ...

استيقظ أوليفر إثر اصطدام عجلات الطائرة بمدرج الهبوط في مطار ميلانو .. نزل من الطائرة فاستلم حقائبه ثم استقل سيارة أجرة الى الفندق .

كانت غرفته التي حجزها قابعةً في الدور **16** مطلةً على مدينة ميلانو بمشهد مهول مكنه من معاينة أغلب معالم المدينة من شرفتها .. شرع بعدها بتنظيم أغراضه بعناية و هو يغني بحماس حتى فرغ من ذلك ثم نظر في ساعته .. لا يزال هنالك بعض الوقت قبل موعد الغداء في الفندق .. لذا قرر مغادرته و السير قليلاً في طرقات ميلانو ..

شق طريقه بين المارة و هو يتلفت حوله بذهول و سعادة .. فمدينة ميلانو تضج بالحياة، ازدحام مروري، بشر كثيرون من مختلف الجنسيات و الأعراق .. الشوارع تعج بالمحلات الأنيقة الفخمة .. و رغم إتقان أوليفر للغة العربية، الألمانية، الإنجليزية، الفرنسية والإسبانية، فلم يكن يجيد الإيطالية، لكن لحسن حظه أن قسماً كبيراً من الشعب الإيطالي يجيد الإنكليزية بحكم أنها لغة العالم الحالية ...

أصبح يعلم الآن من خلال الشبكة العنكبوتية (الانترنت) أن أهم معالم ميلانو هي **كاتدرائيتها** ، **كنيسة ماريا ديليه غراتسيه**، **دار أوبرا لاسكالا و قلعة سفورزيسكو**...

لم يكن لديه الآن متسع من الوقت لزيارة أحدها ، فقرر متابعة السير في الشوارع حالياً على أن يبدأ بزيارة المعالم عصراً انطلاقاً من كاتدرائيتها الشهيرة ...

في تمام الساعة الثالثة ظهراً جلس أوليفر يتناول طعام الغداء في الفندق وكان عبارةً عن سمك مشوي ، فتذكر على الفور بحيرة إبسي في ميونخ منذ أسبوعين وغداء السمك المشوي مع مساعده ماتيوس فقال في نفسه : لا سمك بعد سمك الوطن خاصةً إن كان ثمرة جهدك ومع صحبة طيبة كمساعدي العزيز ماتيوس .. تمدد في فراشه بعد الغداء لساعة أخرى من الوقت يشاهد بعض القنوات التلفزيونية ، و ينظم أفكاره في ذهنه حتى وضع خطة كاملة لما سيفعله عصر ذلك اليوم ، ثم غادر بعدها الفندق الى المدينة مجدداً قاصداً كاتدرائيتها كأول أهداف السياحة بحسب خطته ..

استقل أول سيارة أجرة صادفها أمام الفندق ليصل إلى كاتدرائية ميلانو بعد حوالي ربع ساعة ، ترجل من السيارة ليقف في مواجهة الكاتدرائية يتأمل روعتها من الخارج ، فهي تعتبر ثالث أكبر كاتدرائية في أوروبا ، و قد ذكرته على الفور **بكاتدرائية نوتردام** التي سبق له و أن و زارها في مناسبة عمل ، إذ كان التشابه بينهما كبيراً.. ولج بعدها باب الكاتدرائية الضخم ليذهل في الداخل بأنها لا تقل جمالاً و رهبةً عن خارجها، فقد كانت

تضم الكثير من اللوحات لأشهر الرسامين على جدرانها، إضافةً إلى تماثيل وأعمال فنيةً مذهلة انتصبت هنا و هناك .. وعلى حدود القاعة من اليمين شاهد توابيتاً زجاجيةً تبين بعد السؤال أنها تحفظ بداخلها جثمان بعض الأساقفة السابقين للكاتدرائية.. كما لفت نظره وجود بيانو ضخم جدا نُقش بنقوش فنية متقنة و مبهرة فتملكته على الفور رغبة جارفة بالعزف عليه، إذ أنّ الموسيقى هي نقطة ضعفه الكبرى ..

استغرقت زيارة الكاتدرائية المذهلة ساعتين من الزمن ، ثم خرج بعدها إلى طرقات ميلانو ليتمشى مجدداً بينما الشمس في طريقها إلى المغيب صابغةً الأفق و الساحات بلون قرنفلي حالم .. و عندما استدار في نهاية أحد الشوارع فوجئ بميدان متوسط الحجم تتوسطه نافورة

مياه في مركزها بعض التماثيل مع موسيقى هادئة ساحرة انسابت إلى أذنيه المرهفتين من أحد المقاهي المطلة على الميدان فجذبته كمغناطيس إليه ..

انتقى إحدى طاولات المقهى في الخارج على مشارف الميدان ثم طلب فنجان (كابتشينو) بنكهة إيطالية أصلية و أخذ يرشفه بتلذذ ضاعفته الموسيقى مع منظر النافورة و الميدان القرمزي المؤنس بعشرات المارة من مواطنين و سياح و عشاق ..

و على حين غرّة اقتحمت غمامة أفكاره الشاردة ابتسامة سيدة متقدمة بالعمر أنيقة تجلس إلى الطاولة المجاورة له ، فابتسم لها من باب الذوق وحياها، دعته إلى الجلوس إلى طاولتها فلبى الدعوة مندهشاً من اهتمامها غير المفسّر

بشخص غريب عليها ، عرّفت عن نفسها بأنها **جوفانا** ذات **65** عام وهي تدير دار أزياء في ميلانو بمساعدة بناتها الثلاثة ..

اعتادت على زيارة هذا المقهى يومياً منذ شبابها، و هنا تعرفت على زوجها الراحل **جيوفاني** الذي ذكرتها ملامح أوليفر و نظراته الشاردة به مما أعادها سنيناً طويلةً إلى الوراء لتستعيد شبابها و لو للحظات ، وهذا ما فسر لأوليفر دعوتها الغريبة له ، فعرّف عن نفسه بأنه

سائح غريب عن البلد .. سألته بفضول عن موطنه وسبب زيارته لميلانو ليدور بينهما حديث شيّق تشعب كثيراً ليشمل ميلانو و معالمها وتاريخها حتى مضت ساعات دون أن يشعر...

نظر إلى ساعته مع انتهاء الحوار فكانت تشير إلى الحادية عشر ليلاً، لذا اعتذر منها و ودعها معرباً عن سعادته و شرفه بلقائها ..

قبل انصرافه نصحته بشدة بأن يزور غداً كنيسة ماريا ديليه غراتسيه قبل أي مكان آخر، فلها ميزتها الخاصة في المدينة وقداسة من نوع مختلف .. **أصرت عليه كثيراً أن يفعل ذلك**..!! ثم قفل عائداً إلى الفندق وهو متعجب من إصرارها الغريب هذا !!

فهل بدأت السماء تتكلم؟

*****

مضى أول يوم لأوليفر في ميلانو على نحوٍ مثالي واعد بدأ بزيارة كاتدرائيتها المذهلة و انتهى بأمسية لطيفة مع السيدة جوفانا بروحها الشابة التي انتصرت على عمرها المتقدم ، لذا استيقظ في صبيحة اليوم التالي مغموراً بالحماس مع همة عالية لاستقبال ثاني أيامه الإيطالية .. فأخذ حمّاماً سريعاً ثم جلس بعدها يحتسي كأس المتة

كعادته الصباحية في شرفة الفندق متأملاً مدينة ميلانو من الأعلى كيف تستيقظ بدورها تدريجياً فتنبعث الحياة في طرقاتها ، أما ذهنه فكان غارقاً في التفكير بالخطوات التالية من رحلته السياحية سواءً في ميلانو أو غيرها من مدن إيطاليا الأخرى ..

من المقرر اليوم بحسب خطته أن يزور قلعة سفورزيسكو ، لكنه بعد لقاء السيدة جوفانا ليل أمس ونصيحتها الملحة بزيارة كنيسة ماريا ديليه غراتسيه قرر تغيير الخطة ليبدأ السياحة من هذه الكنيسة..

غادر الشرفة بعد حوالي الساعة فارتدى ملابسه، ثم نزل إلى الأسفل لتناول طعام الإفطار .. اتجه بعده مباشرةً نحو الكنيسة فاستقل أول سيارة أجرة رآها مكتفياً بجملة مقتضبة للسائق مع ابتسامة ..

- ماريا ديليه غراتسيه كييزا ..

أومأ السائق برأسه ثم انطلق .. و خلال دقائق قليلة كانت السيارة واقفةً أمام الكنيسة فلم تكن بعيدة عن موقع الفندق ، فأشار السائق إليها بسبابته .. منحه أوليفر الأجرة شاكراً..

- جراتسي (شكراً بالإيطالية) ..

ترجل منها ، وقف قليلاً في مكانه يتأمل الكنيسة الجديدة لم تكن من الخارج بفخامة ومهابة الكاتدرائية التي زارها

بالأمس، بل كانت بسيطة التصميم توحي بالهدوء والسكينة و أقرب ما تكون لحياة يسوع المسيح المتواضعة المتقشفة مقارنةً بكاتدرائية ميلانو .. ابتسم و قال لنفسه :

((إن المظاهر كثيراً ما تكون خادعة **فأجمل اللآلئ تختبئ في محارات جافة قاسية**، و لعل الكنيسة من الداخل تحوي لآلئ فنيةً...))

دخل الى الكنيسة وتساءل عن أهم المعالم الفنية فيها ليجد نفسه مصيباً ومخطئاً في آنٍ واحد ، فبساطة الكنيسة الخارجية تنعكس عليها من الداخل.. إذ أنّ معالمها قليلة

لكنها تحتوي درّة فنية و هي **جدارية العشاء الأخير** للفنان ليوناردو دافنشي التي تتصدر جدران الكنيسة ..

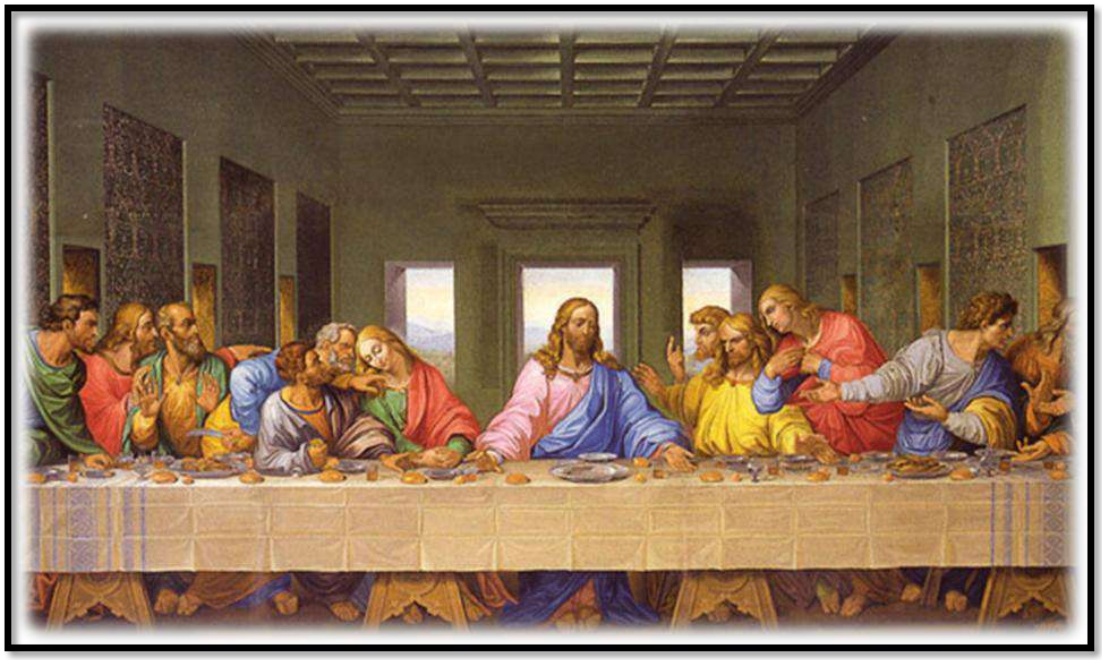

لقد سبق له و أن رأى اللوحة كثيراً من قبل كصور على الشبكة العنكبوتية، ولكنها في الحقيقة كجدارية وعلى أرض الواقع أجمل بكثير..

وقف أمام الجدارية يتأمل أدق التفاصيل بإعجاب ورهبة و هو غارق في الخيال و التفكير ..

● إنها تحفة فنية أليس كذلك؟

جاءه الصوت هادئاً وعميقاً كرصاصة اخترقت جدار خياله الصامت، فالتفت إلى الخلف بدهشة ليرى رجلاً متقدماً في السن متوسط طول القامة، أشيب الشعر بالكامل ، ذا نظرات ثاقبة يبتسم له..

○ كيف حالك؟ أنا السيد **عزيز**..

● أهلاً سيد عزيز.. أنا أوليفر ..

○ أوليفر .. أوليفر .. يا له من اسم مميز .. يبدو أن الجدارية أعجبتك ؟!

● بلا شك .. رسم متقن و تناسق ألوان مذهل ..

○ إنّ وجهك يشبه وجه السيد المسيح في الصورة ..

● تقصد أنه أشقر كحالتي ؟!

○ لا .. أنت لست أشقر سيد أوليفر .. الأشقر هو لون الذهب و شعرك أقرب ما يكون إلى البني تماماً كصورة يسوع في الجدارية .. في الحقيقة هذه من أكبر المغالطات المنتشرة بين الناس ..

● أي مغالطة تقصد ؟

○ مغالطتين لا واحدة .. مغالطة أن كل شخص ليس أسود الشعر هو أشقر ، و مغالطة أن المسيح يصور في الأيقونات أنه أوروبي أبيض البشرة و أشقر الشعر .. لكن كما ترى بنفسك هو حنطي البشرة و بني الشعر تقريباً ..

● و لماذا إذن يوصف على نحو مغاير لما هو مجسد في الأيقونات ؟!

○ لأسباب كثيرة .. فعلى الدوام هنالك جهات خبيثة تعمد إلى تزوير حقائق و بديهيات الحياة لتحقيق مكاسبها المادية و المعنوية .. و في الحقيقة هنالك إثباتات كثيرة تؤكد أن وجه يسوع المسيح هو مطابق بالفعل لما صوّر عليه في الأيقونات حول العالم في كل زمان و أن كل ذلك لم يأتِ من فراغ بشكل بديهي ..

● إثباتات من قبيل ماذا ؟

○ هذا حديث طويل و المكان هنا غير مناسب لذلك ، أترغب باحتساء فنجان قهوة في أحد مقاهي ميلانو بعد انتهاء الجولة السياحية و متابعة حديثنا أكثر ..

● بالطبع فالموضوع شيق ، هام و خطير..

*****

هل صورة المسيح كما تظهر في جميع الايقونات حول العالم من حقب تاريخية مختلفة غير حقيقية كما يدعي البعض ، باتهام خطير للغاية يقسّم البشر على الكوكب بين متآمرين منتشرين حول العالم و أغبياء بلا عقول تفكر أو تسأل ؟ أم أنّ هذا لادعاء و الاتهام مجرد مغالطة متعمدة و مقصودة لغايات أبعد من ذلك بكثير

هذا ما سنعمل على تحليله خلال الصفحات التالية بالبراهين و المقاربة المنطقية .. دون أن نغفل عن الحقيقة الأهم ، و هي أن **الإنسان إرث و ليس شكل** ، فما يهم بالفعل من المسيح و الأنبياء عموماً هو إرثهم الإنساني و الأخلاقي للبشرية .. أما الشكل فموضوع ثانوي لا يقدم و لا يؤخر ، و لا يهتم به بالأساس إلا كل دماغ مسطح يمسك بظواهر الأمور و يترك بواطنها و غالباً لغايات خبيثة معروفة ، لكن وجب التوضيح في هذه المغالطة للضرورة الظرفية و التاريخية .. و سنعتمد في سبيل توضيح الحقيقة على **7** بنود هامة للغاية ..

① المسيح أبيض البشرة أشقر الشعر :

في البداية المسيح في الأيقونات المعروفة لا يجسد أبداً بهذه الصورة ، بل هو في جميع الأيقونات حنطي البشرة مع شعر أقرب إلى البني .. و من جهة أخرى فإنّ تقسيم البشر إلى قسمين أشقر و أسمر هو تقسيم وهمي و ساذج و غير صحيح علمياً على الإطلاق ، و يعتمده فقط أنصار

النظريات الشمولية كالعادة ، فلون البشرة عند الناس متنوع أكثر من ذلك ، فهنالك الأسود و الخلاسي و الأسمر و الحنطي و الأبيض و الأحمر و الأصفر ، و لا يشبه أي منهما الآخر ..

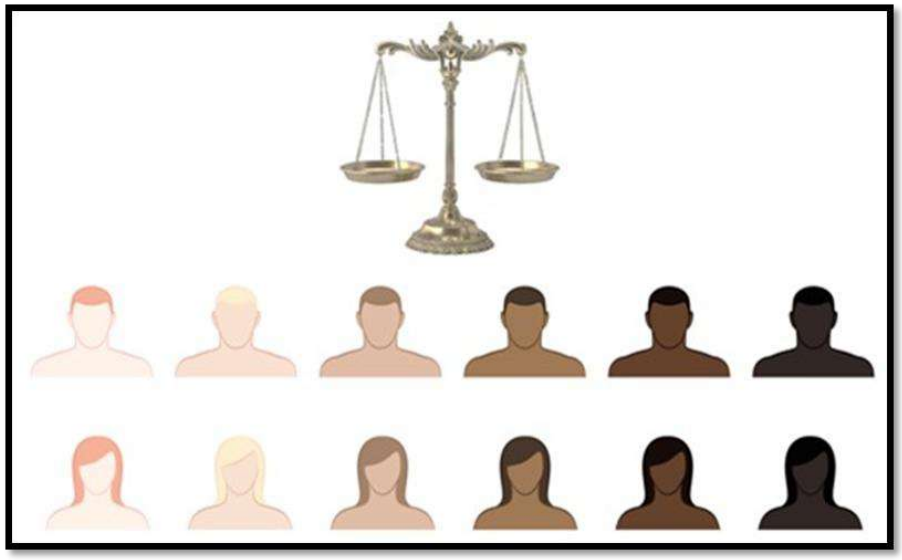

فالقول أن لون البشرة الأسود هو نفسه الأسمر و نفسه الأصهب أو الأصفر خطأ علمي بديهي و كبير فلا تشابه أساسي بينها ، بل أكثر من ذلك ، قد تجد شخصاً أسمر البشرة بشعر أشقر كما يشيع في بعض الدول ، و قد تجد شخصاً أبيض البشرة بشعر أسود ، فأيهما أشقر و أيهما أسمر ؟!، كذلك القول أن لون البشرة الأبيض هو نفسه الأصفر أو الأحمر خطأ كبير بدوره .. فلكل لون بشرة خصائصه الفريدة و المستقلة لذا تم تصنيفهم هكذا بالأساس !! ..و من هذا المنطلق العلمي البديهي نجد أن توصيف صورة المسيح في الأيقونات المنتشرة حول العالم بأنه أبيض الوجه و أشقر الشعر ، خطأ بديهي ، ساذج و و واضح ، فالأشقر هو لون الذهب ، أما المسيح

فيجسّد بشعر أقرب إلى البني مع بشرة حنطية في جميع الصور بحيث يقع وجهه كما يظهر في جميع الأيقونات في منتصف تصنيف ألوان البشرة بتدرجاته تماماً .. فليس أسود بالكامل كالأفارقة و لا أبيض بالكامل كالفنلنديين مثلاً .. و ليس شعره أسود كالقطران و لا أشقر كالذهب

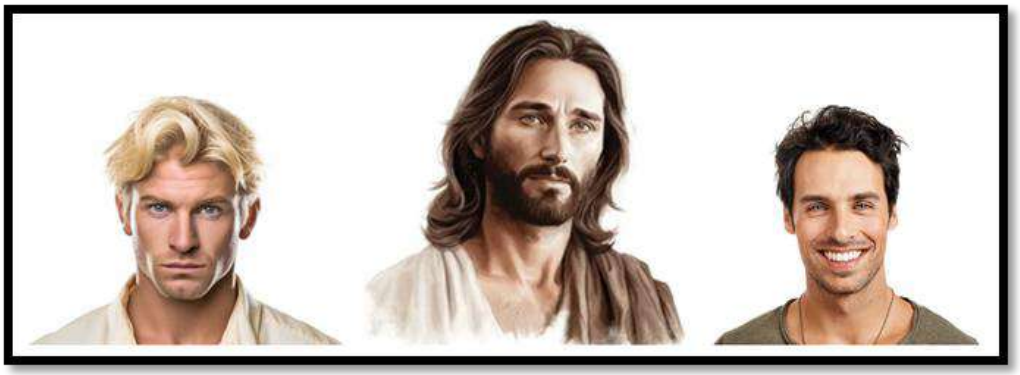

و هذا يليق أكثر بالمسيح الذي يلقب بالحمامة ذات الجناحين (الشرق و الغرب) ، فهو يحمل في ملامحه أثراً منهما ، و لا ينتمي إلى جهة واحدة فقط ، بل هو يجسد في هيئته الجميع بدون استثناء ..

و بذلك يكون أول بند خاطئ علمياً بالكامل ، فالمسيح في الأيقونات ليس أبيض البشرة و لا أشقر الشعر ..

② الوراثة و البيئة :

يقول البعض على نحوٍ يغتصب العقل و المنطق معاً ، أنّ المسيح ولد في الشرق الأوسط إذاً فملامحه يجب أن تتوافق مع بيئته هذه ، و بمقاربة بسيطة للغاية يعرفها تلاميذ المدرسة الابتدائية ، فإن تأثير البيئة على الشكل مرتبط بتأثير الوراثة عليه ، فربما أثرت البيئة قليلاً على

لون البشرة ، لكنها بالطبع لا تؤثر على لون العيون و الشعر ، فالوراثة هنا هي من تتكلم فقط .. و الجميع يعلم بأن المسيح ولد من غير أب ، أي أنه صورة الإله على الكوكب ، و بالتالي فلا وجود لأي دور للوراثة في صورة المسيح الخارجية .. و لو أنه ولد في الصين أو عند الإنويت أو الهنود الحمر لما تغير شكله أبداً .. فإذا تزوج اثنان أفارقة في اليابان و أنجبا ولداً هنالك فهل ستكون ملامحه يابانية ؟! أمر سخيف و مثير للسخرية ..

و هذه هي معجزة المسيح التي قهرت علوم الوراثة قاطبةً كونه جاء إلى الدنيا بلا أب ، و من يقول غير ذلك فهو يشكك بهذه المعجزة بالأساس و هذا افتراء خطير على العذراء و مهين للغاية لها و للبارئ ..

③ لا وجود لأيقونة واحدة مخالفة :

لنفترض جدلاً بأن أيقونات المسيح حول العالم في كل مكان و زمان مزورة في مؤامرة كونية عليه و على البشر الساذجين كما يصفهم البعض ضمنياً .. لماذا لا توجد أيقونة واحدة قديمة تظهر المسيح بصورة مخالفة لما نعرفه في أي مكان بالعالم ؟ أو على أقل تقدير في الشرق الأوسط حيث نشأ ، أو بتنازل أكبر في فلسطين وطنه الأم .. بل لنقل في بيت لحم حيث ولد ؟!

هل يعقل ألا تجد ايقونة وحيدة تظهر صورته مغايرة لما هو معروف ، بل ألا تجد شعراً أو مقولة أو رواية واحدة تظهره بخلاف ذلك .. لا سيما إذا أخذنا الموضوع من

زاوية أخرى ، أي عندما بدأ الرومان كما يدعي البعض بتزييف صورة المسيح ، لماذا لم يناهض مسيحيو الشرق ذلك كي يظهروا الصورة الحقيقية لنبيهم لا سيما أنّ الفرق بين الصورة النمطية المعروفة للمسيح و الصورة التي يدعيها البعض واسع و فاضح و لا مجال للسكوت عنه في حال كان واقعياً و صحيحاً بالفعل ؟! اللهم إلا إذا كانوا موافقين ضمنياً على صحتها و لا وجود لمؤامرة من الأساس ، و هذه هي صورة المسيح بالفعل كما عرفها الجميع .. فشكل شخص هام كالمسيح لا يمكن تزويره أو تغييره بهذه البساطة و السذاجة لأن الناس المحيطين به يعرفون شكله و سينقلونه إلى الأبناء و الأحفاد ، و إن قامت جهة بتزويره ستتعرض للمواجهة و التصحيح بقوة بلا أدنى شك ، و هذا ما لم يحدث أبداً في أي فترة تاريخية منذ ميلاد المسيح حتى هذه الأيام التي ظهرت فيها بعض الغربان كي تنعق بخلاف ذلك لغايات رخيصة و خبيثة و معروفة تثير الشفقة و السخرية !!

④ حضارات ما قبل المسيح :

إذا أخذنا البعض على حجم عقولهم و قلنا بأن المسيح لم يولد بلا أب و بأنه بالوراثة أخذ جينات شرق أوسطية تفرض عليهم ملامح معينة ، ففلسطين قبل المسيح تعرضت لاحتلالات و استيطانات متنوعة من الكنعانيين و الآراميين و الفرس و الإغريق و غيرهم .. بمعنى أن

الأنساب اختلطت و الدماء امتزجت ، فكيف يمكن أن نجزم بأن جينات المسيح لم تخضع لهذا التعديل لتفرض هيئات جديدة بعيدة عن الهيئة الشرق أوسيطة .. إلا إن وصلت السطحية و السخافة عند البعض إلى الاقتناع بأن كل شعوب الشرق الأوسط بدون استثناء فرداً فرداً كانوا على هيئة واحدة في زمن المسيح ، و هذا الكلام الشمولي خطير للغاية من شدة سذاجته و تجاهله لبديهيات العقل و العلم ..

يدعي البعض أن بعض العلماء قاموا بدراسة على جمجمة تم العثور عليها في فلسطين في زمن المسيح فتبين أن شكلها الخارجي المرمم لا يشبه صورة المسيح في الأيقونات ، مما يؤكد بحسب سطحية تفكيرهم أن هذه الأيقونات مزورة .. لكن لحظة .. ما الذي يعنيه وجود

شخص لا يشبه المسيح في بلده و زمنه ، بما أنه ليس المسيح و لا صلة جينية له به ، و لا وجود لحمض نووي للمسيح بالأساس .. ما الذي يعنيه عدم التشابه إذن ؟

احترموا عقول الناس قليلاً ..!!!

⑤ التلاميذ في العشاء الأخير :

لنفترض جدلاً أن جميع أيقونات المسيح مزورة بهذه البساطة ، لماذا نجد أيقونات تلامذته متنوعة الأشكال ، فمنهم الأسمر و الأبيض و الأحمر و الحنطي ، كما في لوحة العشاء الأخير لدافنشي أو أيقونات صخرة الكنيسة بطرس الموحدة التي يظهر فيها أسمر البشرة ..

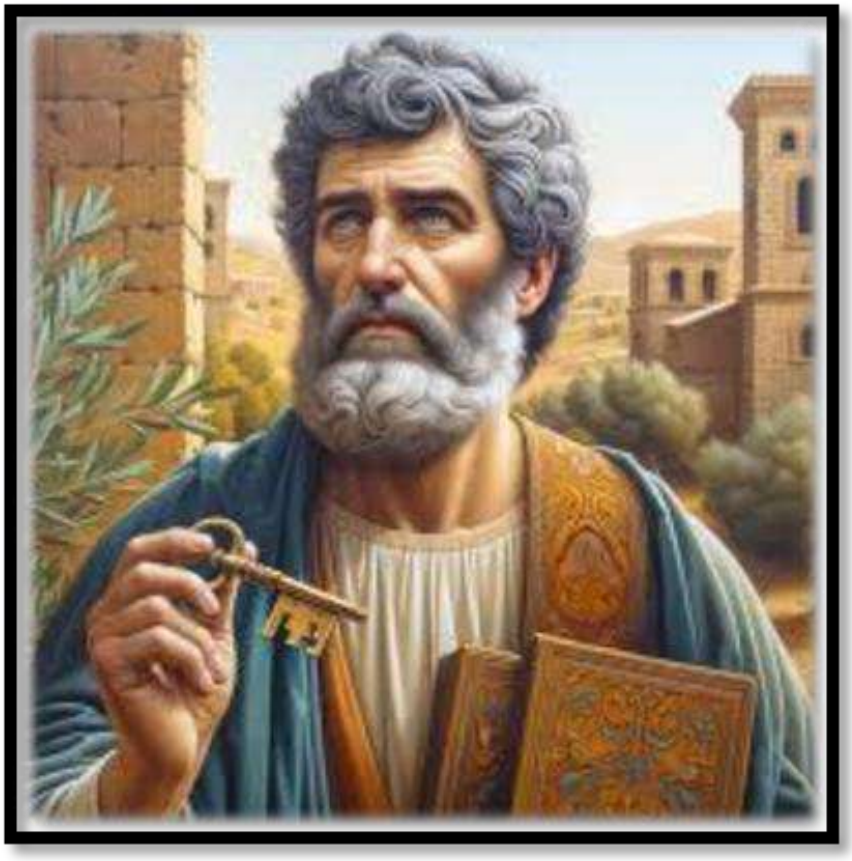

فلماذا لم نجد مؤامرة عليهم أيضاً .. و من قال بأن أشكالهم هي كذلك ؟ بالطبع الجواب الوحيد على هذه الأسئلة هو أن ملامحهم معروفة من قبل الجميع و تناقلتها الأجيال كما هي ، كحال صورة المسيح نفسه ..

⑥ ما قيل في الأديان :

يتمسك البعض بأقوال مأثورة تصف المسيح كي يثبتوا صحة كلامهم .. لكن لحظة ، لا وجود لوصف المسيح في العهدين القديم و الجديد ، و أما في الإسلام فهنالك حديث يتيم غير مؤكد الصحة يصف المسيح بأنه أحمر ، فهل المسيح كان أصهب إذاً ؟! أم أنّ كلمة أحمر تعني أسمر مثلاً بحسب سطحية عقول البعض الذين يفسرون كل شيء بما يتناسب مع رغباتهم و مكاسبهم و يخدم عقائدهم و أيديولوجيتهم .. دون أن نغفل حقيقة أنّ هذا الحديث منسوب لأبي هريرة الذي ترك خلفه إرثاً من آلاف الأحاديث التي كانت بحاجة لأن يعيش لمئات السنين كي يتمكن من سماعها كلها .. و هو بنفسه يصف نبي الرحمة محمد بالقول :

(ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ، كأنّ الشمس تجري في وجهه)

فهل هذا يعني أن نبي الرحمة كان أشقر بحسب عقول البعض المسطحة ؟!

⑦ مريم العذراء :

أما النقطة الختامية و التي أعتبرها شخصياً الأكثر سفاهةً و سخرية .. فهي هيئة مريم العذراء والدة المسيح ، فإن سألت أنصار نظرية المؤامرة الكونية على صور المسيح عن شكل مريم العذراء ، فسيقولون لك : (كانت شقراء) ، لتذهب كل مقومات نقاشهم و حججهم أدراج الرياح ، فمريم العذراء من الشرق الأوسط بالوراثة و هي تبعاً لحجج هؤلاء ينبغي أن تكون سمراء .. فكيف تغير المنطق في غمضة عين ؟! و هذا لوحده كفيل بإثبات النوايا الخبيثة لهؤلاء .. و في الحقيقة الغالبية الساحقة من أيقونات العذراء حول العالم تظهرها بصورة مشابهة تماماً للمسيح أي ببشرة حنطية و شعر أقرب للبني ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**وجه يسوع**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= هنالك مؤامرة كونية لتزوير صورة المسيح حول العالم

بل أن نقول :

= كل الدلائل و البراهين المنطقية تثبت أن وجه يسوع صحيح كما يظهر في الأيقونات ، فهو لا أسمر واضح و لا أشقر فاضح ، و ولد بلا أب فلا دور للوراثة في شكله ، و لا وجود لأيقونة وحيدة تظهره بخلاف ذلك و لا حتى شعر أو رواية أو مقولة ، و تلامذته يصورون بهيئات مختلفة كما كانوا ، و الأهم أن العذراء تشبهه بالملامح بأخذ اختلاط الأنساب و الدماء في الشرق الأوسط عبر آلاف السنين قبل ميلاد المسيح بعين الاعتبار ..

إن مفهوم الانحياز النفسي و فلسفة سرير بروكرست تلقي بظلالها على تقييم البعض لصورة المسيح و أمه العذراء ضاربين بالمنطق و البراهين عرض الحائط ، لكن الحقيقة تنتصر لنفسها على الدوام عند **اتباع الحد الأدنى من العقلانية و الحيادية** .. و أما من يحتقر العقل و المنطق كي يزيف الحقيقة على هواه ، فهو يهين نفسه بالأساس بأنه إنسان جاهل و غير عقلاني و منافق و مراوغ و يكيل بمكيالين كي تنسجم الأمور مع الإيديولوجيا التي يعتنقها لا أكثر ..

و تبقى معجزة يسوع الكبرى أنه ولد بلا أب ، ليقهر بذلك قوانين العلم و الوراثة و يكون صورة الله على الأرض .. حمامة بجناحين (الشرق و الغرب) و في ملامحه أثر من كليهما ..

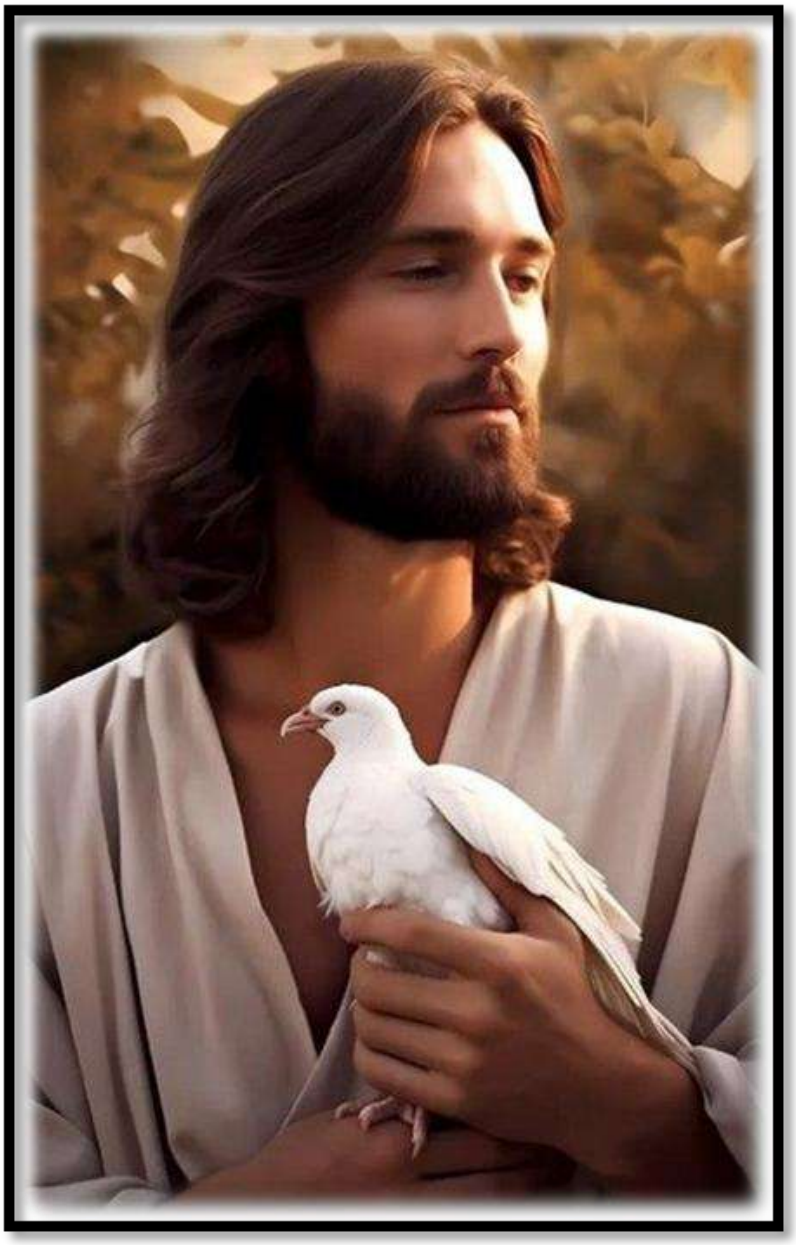

مغالطة فضائية

(الكون تحت المجهر)

حزيران 2024 :

= هل سمعت بأن الصين هبطت بمسبار جديد على سطح القمر ؟

= بالطبع .. إنه إنجاز علمي مذهل .. سيمكننا من تحليل تربة و صخور القمر كما صرحت الصين ..

= إذن أنت لا تشكك بهذه القصة كحال قصة هبوط مركبة أبولو الأمريكية على القمر عام **1969** ..

= عندما قال رائد الفضاء **نيل أرمسترونغ** و هو يخطو كأول إنسان على سطح القمر : (**إنها خطوة صغيرة لإنسان ، و قفزة عملاقة للبشرية**) ؟!

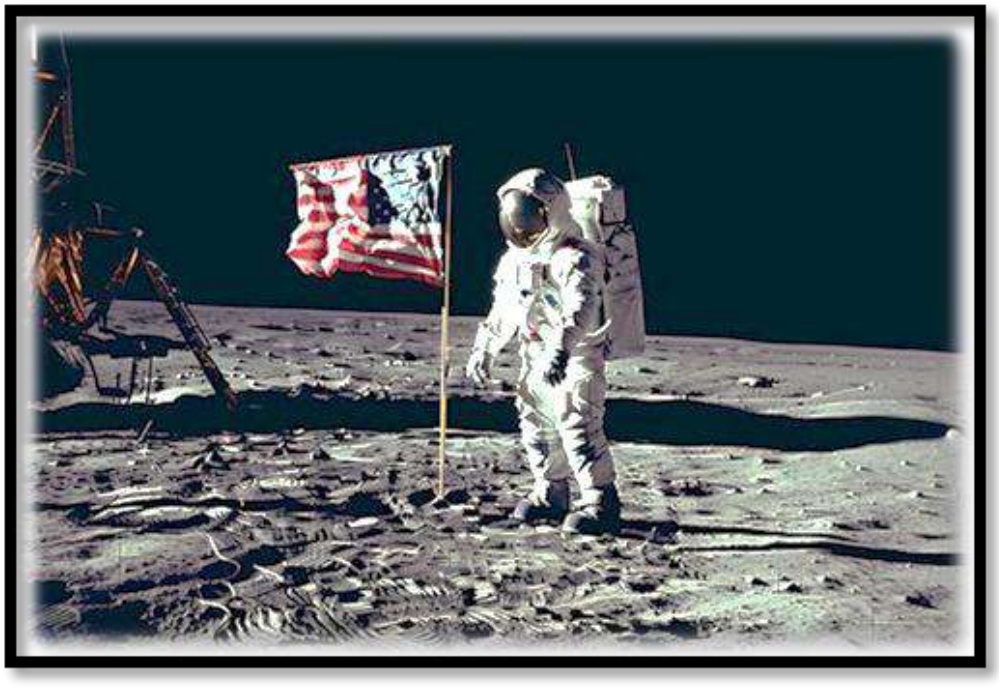

= أجل ..

= لا شك أن وجهة نظر مؤيدي نظرية المؤامرة المشككة

بحدوث ذلك لها ما يبررها ، فغياب الغلاف الجوي على سطح القمر يجعل صورة علم أمريكا المرفرف عليه كما ظهر في الصور موضع شك كبير ، إذ لا رياح على سطح القمر كما يفترض العلم!!

= إذن فأنت تشكك بالقصتين ؟

= بالطبع ، لكن مسبار الصين الحالي قد يجيبنا على هذه الأسئلة كلها إن كانت قصته صحيحة ..

= و كيف ذلك ؟

= يمكنه مسح سطح القمر بحثاً عن ذلك العلم أو عن آثار رائدي الفضاء الذين مشيا عليه ، فلا مصلحة للصين بإثبات هبوط أمريكا على القمر من قبل ..

= لكنّ آثار الأقدام تعود لأكثر من نصف قرن .. هل يعقل أن تبقى موجودة حتى يومنا هذا ؟!

= بلا شك .. تبقى آثار أقدام روّاد الفضاء وآثار المركبات على سطح القمر مطبوعة لمدّة **100** مليون عام، ويُعزى ذلك إلى ذات السبب السابق ، و هو افتقار القمر لوجود الغلاف الجوّي، ممّا يعني عدم وجود رياح أو مياه، وبالتالي فإن أي أثر مطبوع لن يتعرّض للتآكل وسيبقى ثابتاً دون أن يتأثر بشيء ، مما يعني أن قصة هبوط الإنسان على القمر يمكن التأكد من صدقها في أول زيارة جديدة للقمر كحال المسار الصيني مثلاً.

= يا لغرابة هذا الكون الشاسع !! إنه يثير اهتمامي و فضولي للغاية ، و أشعر بنفسي أمّي تماماً بأسراره .. فكيف يمكن لإنسان أن يلمّ بحقائق الكون و قد أعيتنا أسرار كوكب الأرض بمفرده ..؟!

= لا يا صديقي .. هذه مغالطة شائعة للغاية بين البشر ، إذ يعتبرون كون الكون شاسع و الأرض مجرد نقطة مجهرية فيه ، أن أسرار الكون تفوق أسرار الأرض بمستوى يكافئ فرق الحجم ..

= و ما الصحيح إذن ؟!

= الصحيح أنّ الأرض كوكب معقد للغاية بوجود الحياة و خاصة الإنسان عليه مما يجعله مرتعاً لأسرار هائلة متجددة .. أما الكون فيقتصر بحسب معلوماتنا الراهنة على الجماد .. و الجماد علم محدود يمكن الإحاطة به ..

= تقصد أن بإمكان الإنسان أن يتعرف على كل أسرار

الكون بمفرده ..

= بالطبع لا .. فلا تزال هنالك أسرار كثيرة نجهلها ، لكن ما توصلنا إليه من أسرار يمكن تبسيطه و تلخيصه ببضعة صفحات لا أكثر ..

= هل أنت جاد ؟

= بالطبع .. هل تود أن تتعرف أكثر على هذه الأسرار؟

= بلا أدنى شك ،و هل هذه تحتاج سؤال ؟ لكن كيف ؟!

= تعال لأقصّ عليك حكاية كوننا الشاسع الشيقة للغاية من خلال بضعة صفحات لا أكثر ..

*****

الكون الشاسع ..

ملهم **الفلاسفة و الأدباء و العلماء** على حد سواء .. المكان الذي تصبح فيه قيم **المسافة و السرعة و الزمن** بلا معنى من هول حجمه .. لدرجة يخال معها الإنسان أنه سيحتاج لمليارات السنين كي يحيط بأسرار فضائه .. و في الحقيقة تعتبر هذه من أشيع المغالطات بين الناس ، فلا شك أن أسرار الكون ستتكشف لنا تواليا خلال العقود القادمة مع تطور العلم و التكنولوجيا ، لكن لحسن الحظ أن الأسرار الأساسية للكون معروفة الآن و يمكن تبسيطها و تلخيصها ببضعة صفحات شيقة تعطيك انطباعاً عاماً عن

الكون كبوصلة فكرية تحملهابيدك فتوجهك إلى الاتجاهات في الفضاء ..

لذا ارتدِ بدلة الفضاء خاصتك عزيزي القارئ ، و هيا بنا نسبح في الفضاء الشاسع قليلاً لنتعرف على أشهر أسراره الدفينة عبر **3** محاور كونية : **أهم الظواهر الفلكية** ، **أغرب الأجرام السماوية** ، و **حقائق كونية مذهلة للغاية.**

أولاً : **أهم الظواهر الفلكية** :

① **الانفجار العظيم**: هو الحادث الذي يفترض العلماء نشوء الكون من خلاله ، و قد صاغ هذه النظرية العالم البريطاني **فريد هويل** عام **1949** بغرض الاستخفاف من نظرية كانت ذائعة في ذلك الوقت عن نشأة الكون وتمدده.. و هو ليس انفجاراً بالمعنى الحرفي للكلمة بل تمدد نقطة مفرطة الصغر في الحجم و مفرطة الكثافة و الحرارة بآلية مبهمة كانت شرارة البدء بولادة الكون و

مع التمدد السريع بدأ الكون بالبرود تدريجياً مما سمع للمادة بالسيطرة على مضادات المادة فتكونت بذلك الجسيمات الأولية دون الذرية ثم مع ازدياد البرودة تكونت الذرات الأولى كالهيدروجين و الهليوم و بعدها بقية العناصر وثم تكونت النجوم و الكواكب و الأقمار و المجرات ككل و بالطبع الانتقال من مرحلة لأخرى تم عبر ملايين السنين و ليس حدثاً آنياً أو سريعاً من منظورنا الزمني ، و ما يزال الكون في حالة توسع مستمر مع موت نجوم و ولادة أخرى ، و اندماج مجرات مع بعضها و غيرها من الديناميكية الفلكية .. و يقدر العلماء حدوث الانفجار العظيم قبل **13.8** مليار سنة .. و يمكن في يومنا هذا رصد الإشعاعات الكهرومغناطيسية الناجمة عن هذا الانفجار و الذي يدعى بإشعاع الخلفية الكونية عند تشغيل جهاز التلفاز ، فالتشويش الذي نراه هو بسبب هذه الإشعاعات !!

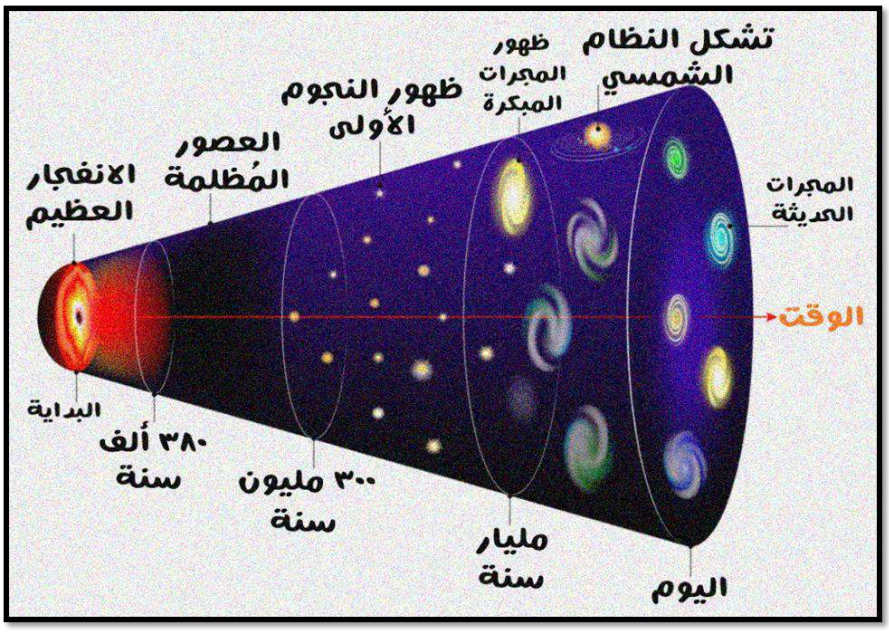

② **توسع الكون**: وصف أول مرة في عام **1927** من قبل عالم الفيزياء الفلكية البلجيكي **جورج لوميتر** ، ثم تم تسليط الضوء عليه أكثر في عام **1929** من قبل عالم الفلك الأميركي **إدوين هابل** الذي أثبته علمياً و عملياً عبر ظاهرة الانزياح الأحمر و لسنا في صدد شرحها بتفصيل أكثر هنا ، لكن الأكيد أن كوننا يتوسع و بسرعات خيالة تفوق سرعة الضوء نفسه بكثير ، علماً أن سرعة الضوء هي أعلى سرع مسجلة ضمن حدود الكون نفسه حتى الآن .. و في الحقيقة الكون لا يتوسع بالمعنى الحرفي للكلمة بل هو أشبه بنفخ البالون بحيث تتوضع المجرات الكونية على سطح البالون خلال نفخه ..

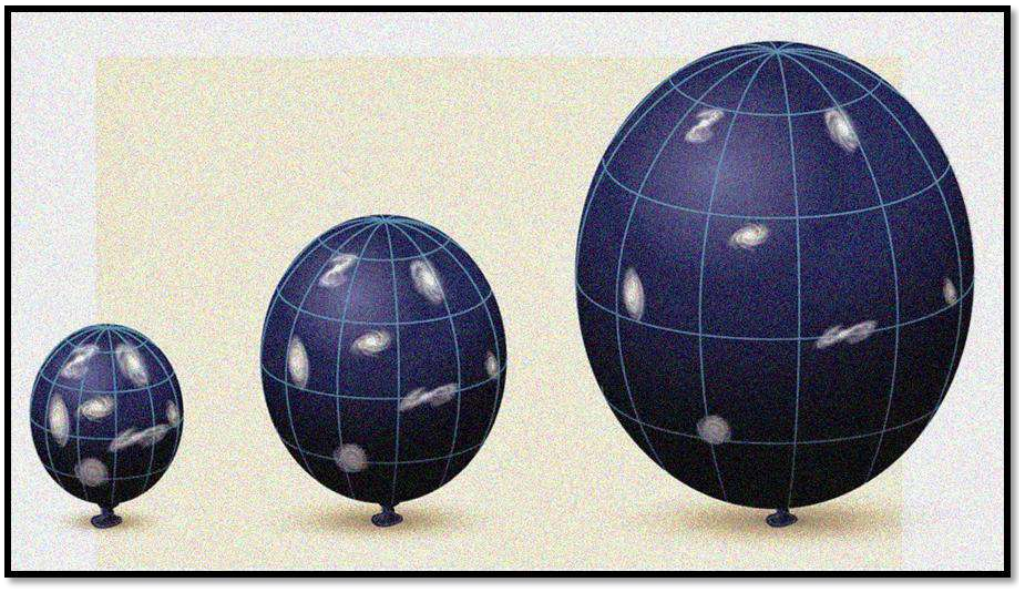

③ **المادة المظلمة و الطاقة المظلمة**: هما مصطلحان نظريان حتى الآن إذ لم يتم كشفهما عملياً و إن كانت آثارهما على ما حولهما إضافة إلى القوانين

العلمية تؤكد وجودهما حقيقةً .. و **الطاقة المظلمة** هي قوة غامضة يُعتقد أنها العنصر المسؤول عن التوسع المتسارع للكون الذي تحدثنا عنه منذ قليل و تشكل هذه الطاقة **69** % من الكون .. أما المادة المظلمة فهي نوع من المادة التي لا تنبعث منها أو تمتص أو تعكس أشعة كهرومغناطيسية، مما يجعلها غير مرئية ولا يمكن اكتشافها و تشكّل **25** % من الكون ..

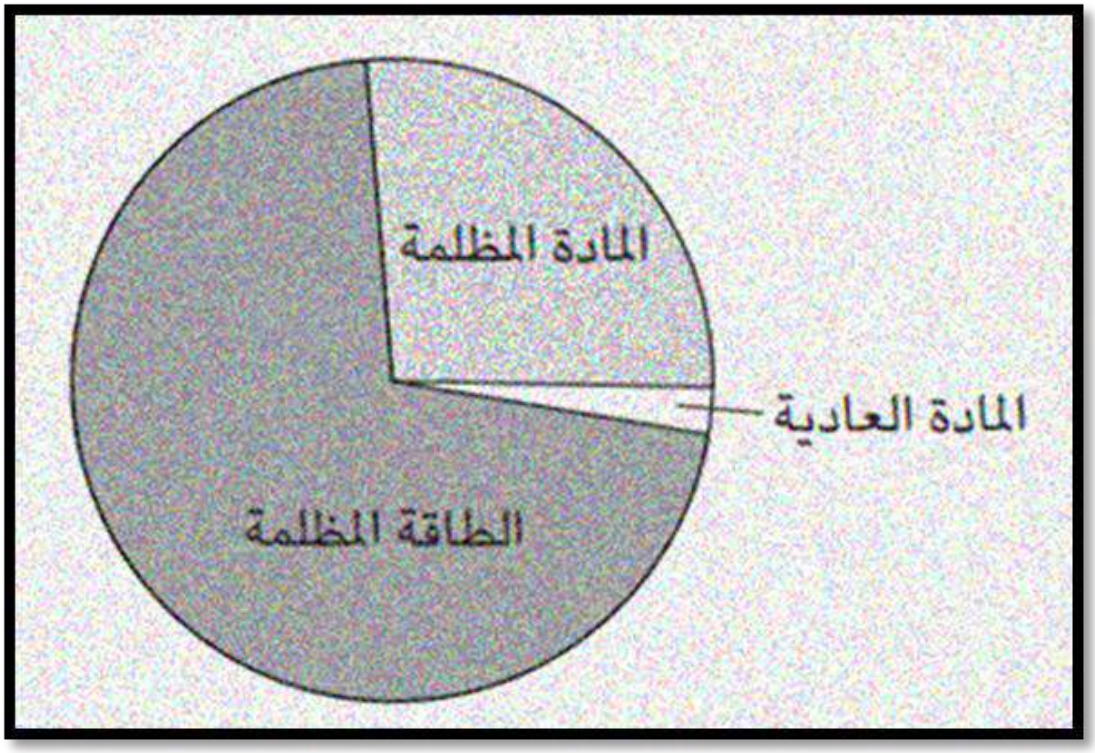

④ **أنواع المجرات**: التصنيف المبدئي يقسم المجرات إلى ثلاثة أنواع بالنسبة لشكلها:

- **المجرات الإهليلجية (بيضاوية)**
- **المجرات الحلزونية (لولبية)**

❁ المجرات غير المنتظمة

وتدل الإحصاءات الفلكية أن حوالي **78** % من المجرات حلزونية، و **18** % اهليلجية، و **4** % فقط غير منتظمة. و قد اتضح للعالم الفلكي إدوين هابل خلال العشرينيات من القرن العشرين لأول مرة أنه توجد مجرات أخرى كثيرة في الكون، حيث كان الناس يعتقدون أن مجرتنا هي المجرة الوحيدة في الكون .. عكف هابل على رصد مجرات ومجرات واستطاع تعيين بعدها عنا، فكانت مسافتها عن الأرض تبلغ ملايين ومئات الملايين من السنين الضوئية.. ليس هذا فقط ما وجده إدوين هابل بل أنه وجد أن المجرات تبتعد عن بعضها البعض، ومن هنا بدأ يشك بأن الكون يتمدد.

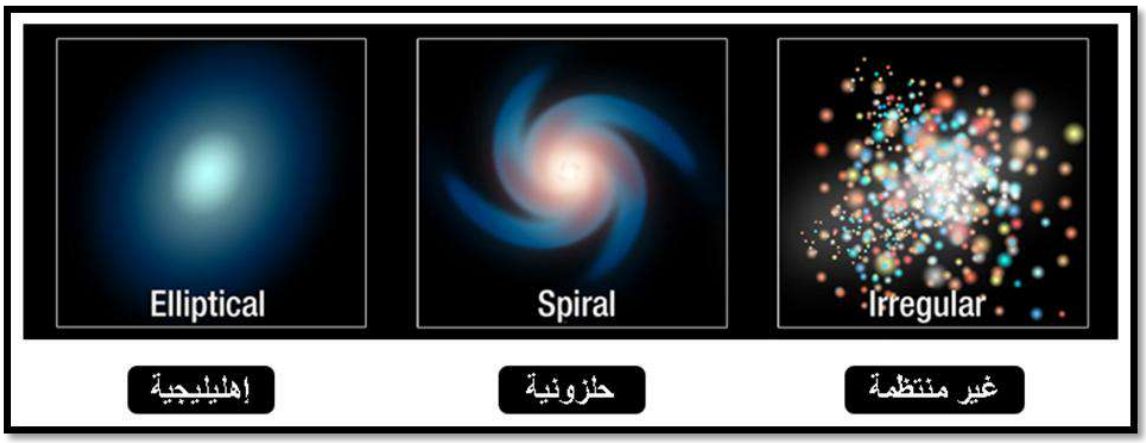

⑤ **حياة النجم**: تكون النجوم عملية بسيطة للغاية يمكن اختصارها بجملة مقتضبة :

(**سديم يعطي نجم يعطي سديم**)

و هكذا في حلقة متكررة تتوالد فيها النجوم من بقايا بعضها فتحمل جينات أجدادها باستمرار و دون توقف !!

لكن لحظة .. ما هو هذا السديم بالأساس ؟!

السديم هو عبارة عن سحابة عملاقة من الغاز تطفو في الفضاء ، مع مرور الوقت تميل أجزاء من هذه السحابة للتكاثف و التقارب من بعضها بفعل قوى الجاذبية ، و مع تطور هذه العملية تنقسم السحابة إلى عدد من الكرات الغازيّة العملاقة الكثيفة فتجذب إليها مزيداً من الغاز و بذلك تولد (**النجوم**) لكنها هنا لا تزال في مرحلة الطفولة .. أما ما تبقى من السحابة حول النجوم فتتكاثف لتشكل كواكب و أقمار و غيرها..

عندما يزداد حجم الكرة الغازية كثيراً يصبح وزنها ثقيلاً

للغاية مع كمية هائلة من المادة تنجذب نحو مركزها

حتى تنهار النجوم في النهاية على نفسها عبر عملية هامة في حياة النجوم و هي (**الاندماج النووي**) أي اتحاد ذرات الهيدروجين لتشكيل الهليوم ، محررةً كميات هائلة من الطاقة على شكل :

- موجات كهرومغناطيسية ..
- ضوء صادر عن النجوم ..
- حرارة منبعثة من النجوم ..

يستمر النجم في حياته هذه كنجم بالغ لملايين السنين على هيئة مفاعل نووي عملاق ، و في المراحل الأخيرة من حياته يستنفذ كل ما في داخله من ذرات الهيدروجين أي يفقد الوقود الضروري لإنتاج الطاقة فتتوقف التفاعلات النووية في داخله ليدخل سنّ الشيخوخة حتى تنتهي حياته بالانفجار معطياً سديماً جديداً و يتحول ما بقي منه إلى **قزم أبيض** أو **نجم نيوتروني** أو **ثقب أسود** حسب طبيعة النجم الأساسية.. فالنجوم نوعان من حيث الحجم :

❁ **نجم عادي** يتطور إلى **نجم أحمر عملاق** ثم ينكمش إلى (قزم أبيض) + (سديم يولد منه نجوم جديدة) ..

أو

❁ **نجم كبير** يتطور إلى **نجم أحمر فوق عملاق** ثم ينفجر كمستعر أعظم (سوبرنوفا) إلى (نجم نيوتروني أو

ثقب أسود) + (سديم يولد منه نجوم جديدة) ..

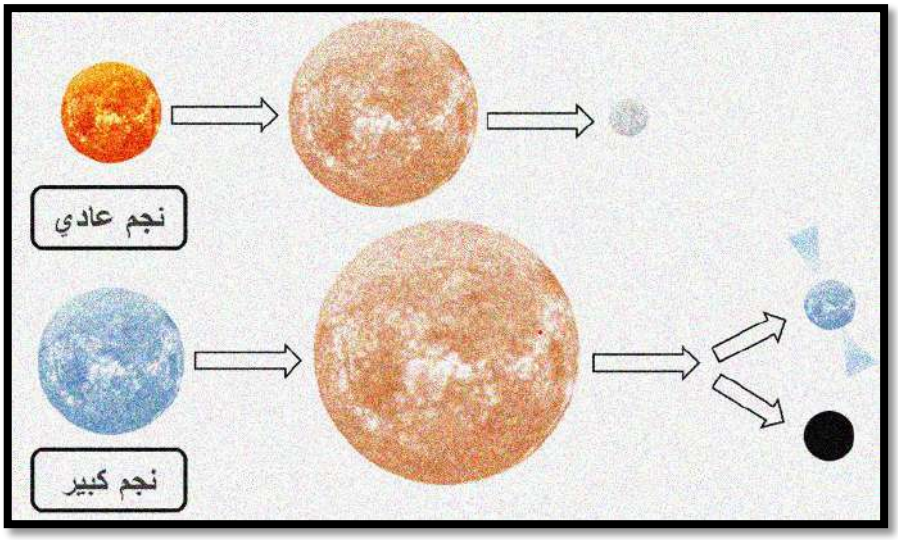

و هذه باختصار حياة النجم من السديم المهد إلى السديم اللحد الذي تنشأ منه نجوم جديدة مرة أخرى و هكذا..

⑥ **الثقب الدودي**: ممرات كونية تربط منطقتين بعيدتين للغاية في الكون ببعضهما بسبب النسيج الكوني المنطوي ، مدخلها هو ثقب أسود مثبت الوجود علمياً أما مخرجها فهو ثقب أبيض مثبت الوجود بالقوانين فقط و لم يتم رصده بعد و يصل الثقبين ببعضهما جسور تدعى جسور أينشتاين روزن ..

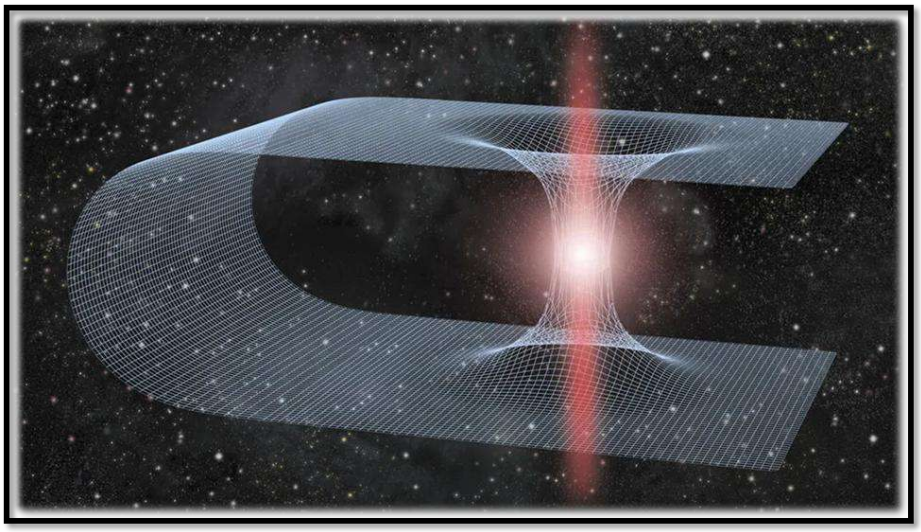

أما الثقب الأسود فهو عبارة عن بقايا انفجار نجم أحمر فوق عملاق كما تحدثنا منذ قليل ، و هو ذو جاذبية مرعبة لا يمكن أن يفلت منها أي شيء في الكون بما فيه الضوء نفسه ، حيث هنالك منطقة حوله تدعى أفق الحدث ، ما إن يتجاوزها أي شيء حتى يبتلعه الثقب ..

ويعتقد بعض العلماء أنه بعد السقوط في ثقب أسود سيدخل الإنسان في حلقات زمنية منغلقة، أي أنه سيسافر في الزمن من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل ثم إلى الماضي نفسه بلا توقف، وحتى يصل إلى مركز الثقب الأسود حيث يَفترض العلماء وجود ما يسمى **بالمفردة** في مركز الثقب الأسود، وهي نقطة بلا حجم، لكنها تحمل كل كتلة الثقب الأسود..

⑦ **قبة السماء و الأبراج الفلكية** : قبة السماء هي ما نراه من السماء ليلاً ، و هي تضم مجموعات نجمية كثيرة شهيرة كالدب الأكبر و الأصغر و نجم القطب و نجم الشعري اليمانية ، وهي ألمع نجوم السماء كلها، ولا يفوقها لمعاناً من الأجرام السماوية سوى الشمس والقمر وكواكب الزهرة والمشتري والمريخ وعطارد.. بالطبع الأبراج الفلكية معروفة لأغلبنا ، و لنتعرف أكثر على هذه الأبراج في البداية لا بد من التفريق بين مصطلحين هامين فلكياً:

◉ **دائرة الكسوف** : و هي مدار الشمس في السماء حيث

تبدو الشمس كأنها تدور في سماء الأرض، مع أن ما يحدث في الواقع هو أن الأرض تدور حول الشمس.

◉ **دائرة الأبراج** (**زودياك**) : و هي منطقة من السماء **9** درجات شمالاً و **9** درجات جنوباً حول دائرة الكسوف ، تتوضع فيها كوكبات النجوم الشهيرة المعروفة بالأبراج (الحمل – الثور – الجوزاء – السرطان – الأسد – العذراء – الميزان – العقرب – القوس – الجدي – الدلو – الحوت) ..

و كل برج يقع في زاوية **30** درجة من دائرة البروج و تمر فيه الشمس لمدة شهر (**12 × 30 = 360**)، و عندما قام الاتحاد الفلكي الدولي في عام **1928** برسم حدود كل برج في السماء و تحديد مواعيد دخول الشمس

في كل منها، اكتشف الفلكيون أن ثمة برجاً ثالث عشر قد دخل على التقسيم الجديد للبروج اسمه **برج حواء**، ويقع بين برجي العقرب و القوس و تمكث الشمس فيه **18** يوماً ، في حين لا تمكث في برج العقرب سوى **7** أيام فقط ..

ثانياً : أغرب الأجرام السماوية :

① أغرب المجرات :

- **مجرة زهرة الشمس** : تم اكتشافها في القرن **19** كأول مجرة ذات أذرع ..حيث تحاط شمسها المركزية بأذرع مجرّية تتكون من النجوم الزرقاء و البيضاء العملاقة المتشكلة حديثاً في منظر بديع يشبه الزهرة !!

- **مجرة السيجار** : هذه المجرة تعتبر **5** مرات أكثر إشراقاً من مجرة درب التبانة و ذلك بسبب الولادة السريعة للنجوم نتيجة الكم الهائل من السدم فيها.. و تأخذ تماماً مظهر سيجار على نحوٍ غريب ..

- **المجرة الرباعية** : واحدة من أغرب المجرات المكتشفة ، فقد تشكلت نتيجة اصطدام أربع مجرات ببعضها فخلقت للعلماء صوراً رائعة و مدهشة ..

- **مجرة شجرة الميلاد** : تشبه الى حد كبير مجرة درب التبانة ، و غالباً ما يتحدث علماء الفلك عنها في فترة اعياد الميلاد ، لأن تلك الكتل والأذرع الحلزونية من

النجوم الزرقاء المشرقة و كرات الهيدروجين المتوهجة تجعلها تبدو وكأنها اكليل أضواء عيد الميلاد

- **مجرة أندروميدا (المرأة المتسلسلة)** : تقع على بعد نحو **2.5** مليون سنة ضوئية من الأرض فقط ، لذا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ..

- **مجرة النسر الكوندور** : ثاني أكبر مجرة حلزونية اكتشفت في الكون و تنضم لكوكبة الطاووس ، لها ذراع ممدود بالكامل في مناطق تكون النجوم مما منحها اسمها الغريب ..و هذه المجرة عجيبة للغاية فهي لا تملك الكثير من الهيدروجين الحر الذي هو وقود نجوم المجرات عموماً..

② أغرب النجوم :

- **نجم تابي** : نجم غريب تتغير شدة إضاءته من وقت لآخر .. لذا اعتقد العلماء في البداية أن هناك بنية ضخمة لكائنات فضائية تمر عليه مما يجعلها تحجب إضاءته، ولكن مع الوقت توصل العلماء لتفسير آخر أكثر واقعية وهى أن السبب في ذلك هو أن النجم محاط بغبار من المذنبات أو حطام الكواكب السابقة لا أكثر يتسبب في تظليله..

● **نجم سكوتي UY** : و هو أكبر نجم مكتشف في الكون و يبلغ **1700** ضعف حجم شمسنا ..

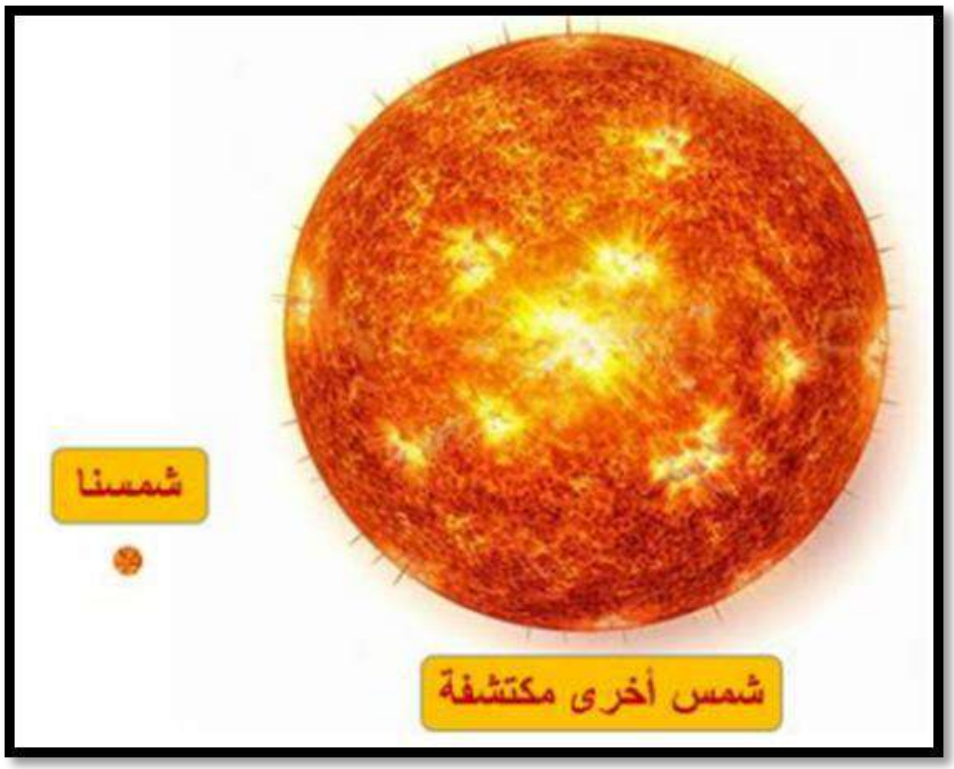

● **نجم ميثوسيلا** : نجم عجيب حير العلماء، إذ تبين بادئ ذي بدء أن عمره حوالي **16** مليار عام أي أنه أكبر من عمر الكون نفسه مما أثار بلبلة في الأوساط العلمية ، لكن الأبحاث المكثفة أكثر أثبتت أن عمره في الحقيق هو حوالي **14.4** مليار عام أي أنه من اقدم النجوم المكتشفة في الكون قاطبةً ..

● **نجم ثورن - زيتكوف** : ينتج هذا النجم عن طريق ابتلاع النجم الأحمر العملاق لنجم نيوتروني ، أي أنه عبارة عن نجم داخل نجم ، و اكتشف لأول مرة عام **1975** ..

● **النجم النيوتروني** : من مخلفات انفجار النجم الأحمر فوق العملاق عبر السوبرنوفا ، و هو نجم ذو كثافة مرعبة ، إذ تبلغ كتلة ملعقة منه أكثر من مليار طن !!

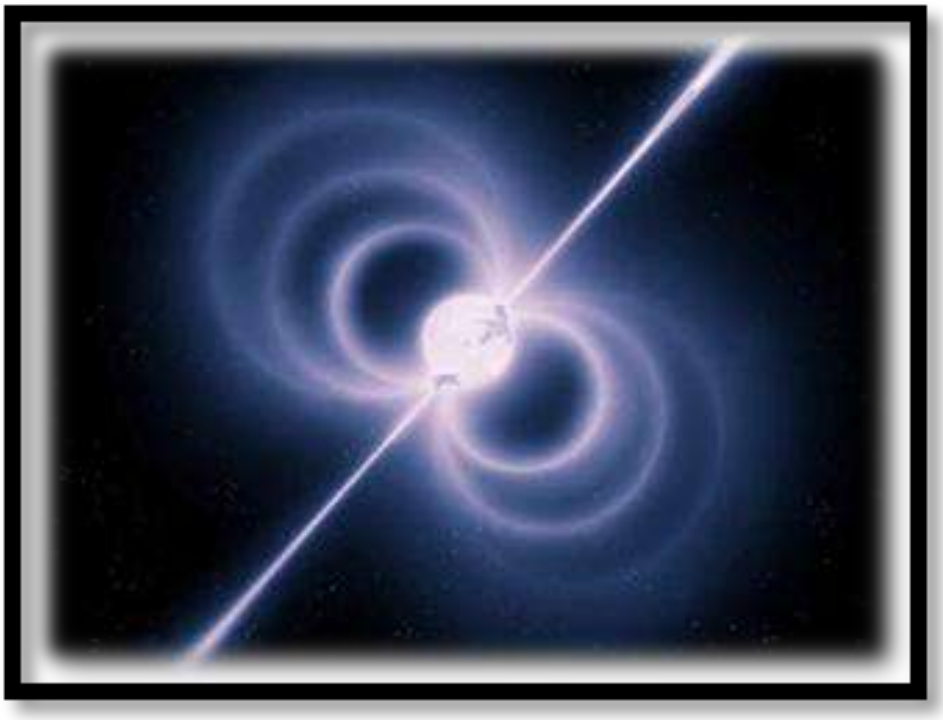

● **النجم الكواركي** : من مخلفات انفجار النجم الأحمر فوق العملاق عبر السوبرنوفا أيضاً ..

● **النجم الزائف أو شبيه النجم أو الكويزار** : هو المنطقة الغازية الساخنة المحيطة مباشرة بالثقب الأسود و تصل درجة حرارتها عدة مئات آلاف درجة مئوية وتبعث الضوء وأشعة أخرى ..

● **النجم القزم** : نجوم من نمط اللمعان **V** و تقسم إلى بيضاء و سوداء و بنية و صفراء و حمراء و برتقالية و زرقاء ..

③ أغرب الكواكب :

- **الكوكب ذو الحلقات** : يقع هذا الكوكب على بعد **400** سنة ضوئية من كوكب الأرض. يدور حول هذا الكوكب حلقة كوكبية أكبر بحوالي **200** ضعف من الحلقة التي تدور حول كوكب زحل في مظهر مذهل ..

ولم يستطع الباحثون حتى الآن أن يفهموا كيف استطاع هذا الكوكب أن يجذب حلقة بهذا الحجم العملاق رغم أن حجمه صغير جداً بالنسبة لها. وحلقات هذا الكوكب كبيرة للغاية، لدرجة أنه لو كانت حلقات كوكب زحل بنفس الحجم، كانت ستظهر عندنا في السماء أكبر من القمر وهو مكتمل، وهذا ما جعله من أغرب الكواكب التي اكتشفها العلماء حتى الآن..

- **الكوكب الألماسي** : هذا الكوكب عبارة عن ألماسة عملاقة تطوف في الفضاء.. في بداية تكون الكوكب، كان

أغلبه من الكربون، وبسبب الضغط والحرارة الشديدة التي سببها النجم الذي يدور حوله الكوكب، تحول الكوكب إلى ألماسة عملاقة.. وحجم هذا الكوكب ضعف حجم الأرض تقريباً، وثلث الكوكب بالكامل من الألماس !!

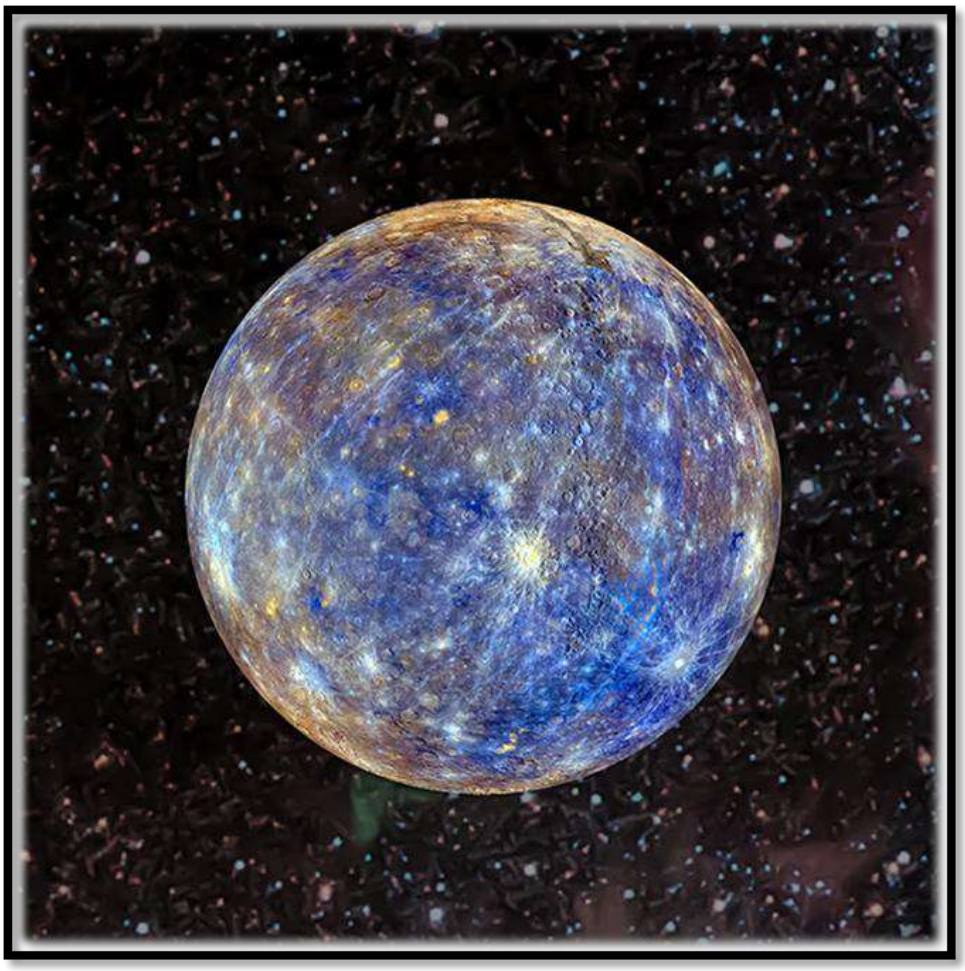

- **كوكب النار و الجليد** : يدور هذا الكوكب حول نجم على بعد **480** سنة ضوئية من كوكبنا.. ويشبه هذا الكوكب التصور الفعلي للجحيم ، فهو مليء بأمطار من الحجارة وبراكين مستمرة طول الوقت مع درجة حرارة فظيعة، و لا يدور هذا الكوكب حول نفسه لذا فهناك دائما وجه من هذا الكوكب مقابل للنجم، وتصل درجة حرارة

هذا الوجه إلى **2000** درجة مئوية، أما درجة حرارة الوجه الآخر تعادل **200** درجة مئوية تحت الصفر..

- **كوكب الثلج المشتعل** : هذا الكوكب مغطى بالكامل بالثلج ، ولكن الغريب فعليّاً في هذا الكوكب أنه قريب جداً من النجم الذي يدور حوله لدرجة أن سطح الكوكب مشتعل دائماً بدرجة حرارة تصل إلى **439** درجة مئوية.. وقد اكتشف علماء الفلك أن السبب في عدم ذوبان الثلج على هذا الكوكب رغم أنه مشتعل دائماً ، هو الجاذبية الشديدة لمركز الكوكب، لدرجة أنّ الثلج عندما يذوب، لا يستطيع بخاره أن يبتعد عنه.. وبهذا يبقى الكوكب قطعة ثلج مشتعلة طول الوقت، مما يجعله من أغرب الكواكب التي تم اكتشافها !!

- **كوكب البيضة** : كوكب يبلغ حجمه ضعف حجم كوكب المشتري ، و هو يدور حول نجمه في يوم واحد فقط ، وهذا يسبب تشوهاً شديداً في شكل الكوكب بفعل تأثير الجذب الذي يتعرض له من نجمه.. و في النهاية، أدى هذا التجاذب إلى تشويه شكل الكوكب الكروي إلى شكل شبيه بالبيضة !!

- **كوكب بشمسين** : يقع على بعد **40** سنة ضوئية من الأرض، و يدور حول شمسين (نجمين) بدلاً من شمس واحدة، ويستغرق نحو **10** آلاف عام للالتفاف حول تلك

النجوم المضيفة لأنها تبعد عنه نحو **4** أضعاف المسافة بين بلوتو والشمس ..

- **الكوكب المائي** : سبب هذا الاسم أنّ هذا الكوكب مغطى بالماء بشكل كامل ولا توجد على سطحه أي بقعة يابسة !!

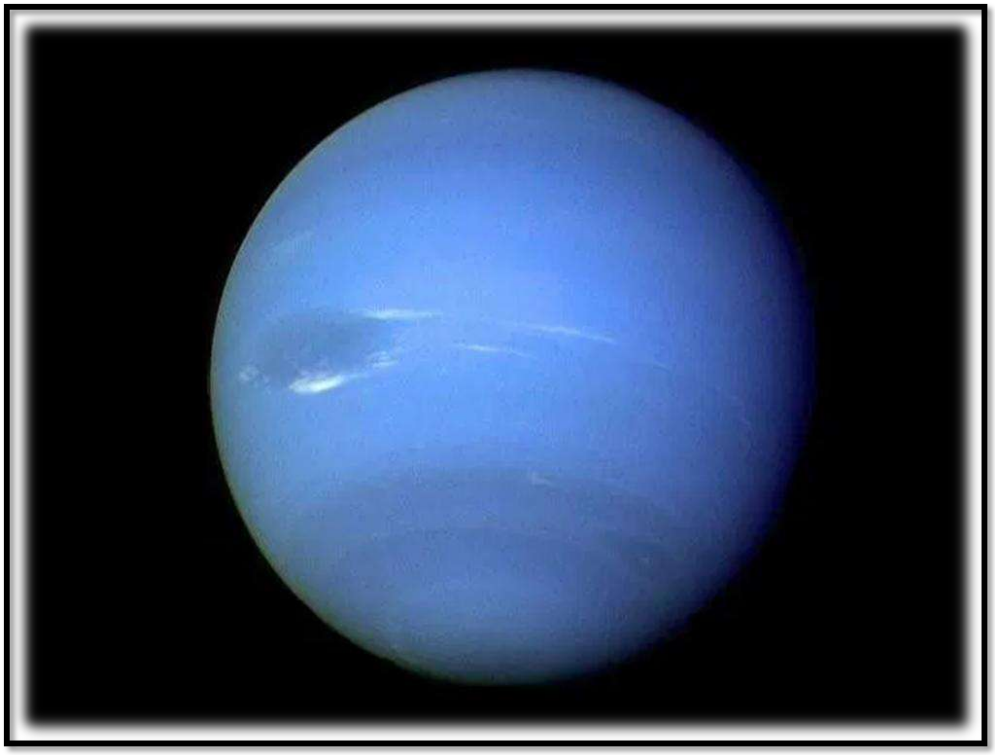

ثالثاً : حقائق كونية جميلة :

❁ تعرف الحدود بين الغلاف الجوي للأرض والفضاء باسم **خط كيرمان** الذي يبلغ ارتفاعه **100** كيلومتر فوق مستوى سطح البحر، كما أنّ حوالى **75**٪ من كتلة الغلاف الجوي مركزة في أول **11** كم من الارتفاع فوق سطح البحر..

❁ حسب شهادات بعض رواد الفضاء الذين قاموا بالسفر إلى الفضاء الخارجي ودراسة التركيبات الغازية خارج الكرة الأرضية، فإنه يوجد روائح مميزة يمكن أن يدركها الإنسان، كما أن بعض الرواد يتذكرون شم رائحة تشبه رائحة اللحم المشوي أو المعادن.

❁ الفضاء صامت تماماً أي أنه لا يوجد فيه أي صوت وذلك بسبب عدم وجود غلاف جوي في الفضاء وبالتالي عدم وجود أي وسيلة أو وسط لنقل الصوت ..

❁ ما يقارب **275** مليون نجم يولد يومياً في الكون!!

❁ نوع المطر على كوكب الزهرة هو **حمض الكبريت** وفي كوكب **HD 189733b** هو **الزجاج** ، و في نبتون هو **الألماس** ، أمّا في كوكب **OGLE-TR-56b** فنوع المطر هو **الحديد** وأخيراً في قمر تايتن هو **الميثان** ..

❁ رصد علماء الفلك كويكباً غريب الشكل على شكل عظمة كلب يدعى **كليوباترا** يدور حول شمسنا بين كوكبي المريخ و المشتري ..

والتقطوا له عدة صور مؤخراً، حيث تبدو صخرة الفضاء الغريبة مثل عظمة كلب عملاقة فتنت مراقبي النجوم منذ أن تم اكتشافها لأول مرة في عام **1880** من جانب عالم الفلك النمساوي **يوهان باليزا**، و لهذا الكويكب قمران يدوران في فلكه ..

❁ تبلغ المدة الزمنية ليوم واحد على كوكب عطارد أطول من عام واحد عليه، حيث إنه يتحرك حول الشمس بشكل أسرع من أي كوكب آخر وهو ما يجعل عامه يعادل **88** يوماً من أيام الأرض، بينما تقدر المدة بين شروق

الشمس والشروق الآخر أي اليوم الواحد على عطارد بحوالي **176** يوماً من الأيام على الأرض..

۞ مذنب هالي هو المذنب الوحيد ذو الدورة القصيرة الذي يُرى بالعين المجردة من الأرض بشكل متكرر.

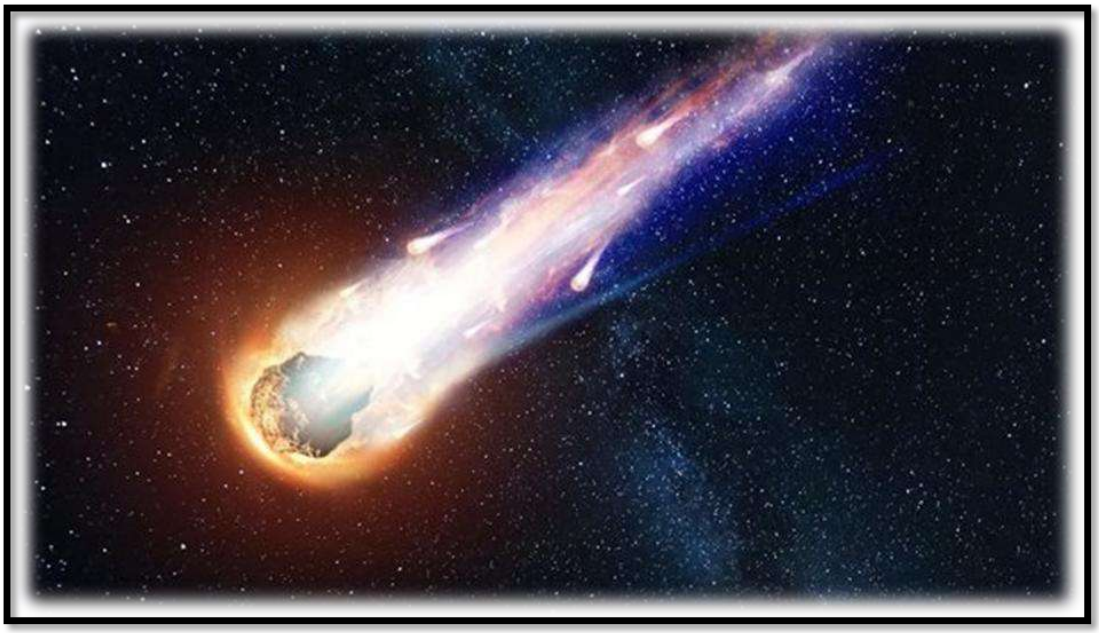

وهو أيضا المذنب الوحيد الذي يمكن أن يُرى بالعين المُجرّدة مرتين في حياة الإنسان حيث يمر بجوار الأرض كل **76** سنة .. و ظهر آخر مرة داخل النظام الشمسي في عام **1986**، وسوف يظهر بعد ذلك في منتصف عام **2061** ..

۞ يبلغ عمر الأرض حوالي **4.5** مليار سنة وهو أقل من ثلث عمر الكون الذي يبلغ حوالي **13.8** مليار سنة

۞ تم إعادة تصنيف كوكب بلوتو على أنه كوكب قزم في عام **2006**، وقد تم تصنيف هذا الكوكب قبل **76**

عامًا على أنه الكوكب الأبعد في النظام الشمسي منذ اكتشافه في عام **1930** ..

❁ تبلغ أعلى درجة حرارة لكوكب في نظامنا الشمسي **450** درجة مئوية وهي درجة حرارة كوكب الزهرة على الرغم من أنه ليس أقرب كوكب إلى الشمس.. فعطارد هو أقرب كوكب للشمس لكنه لا يملك غلافاً جوياً يحبس الحرارة ..

❁ كان العلماء يدرسون سحابة غبار بالقرب من مركز مجرتنا درب التبانة اسمها القوس **2B**، فتبين لهم بالدراسة أن رائحة **التوت** تفوح منها و لها طعم يشبه مذاق **الكحول** و ذلك بسبب إحتوائها على **فورمات الإيثيل** و هو مركب كحولي بالأساس ..

❁ يقوم عطارد، الكوكب الأقرب إلى الشمس، بعمل مدار كامل حول الشمس في حوالي **88** يوماً من أيام الأرض .. أما كوكب المريخ فسنته تساوي **687** يوماً. أما كوكب

أورانوس، الذي يأتي ترتيبه السابع بالبعد عن الشمس، فيتم دورته حول الشمس كل **84** عاماً، وفقاً لمعايير الأرض ..

❁ عطارد و الزهرة لا يمتلكان أقماراً ، أما المريخ فله قمران ، و المشتري **67** قمراً ، و زحل **62** قمراً ، و أورانوس **27** قمراً ، و نبتون **14** قمراً ..

❁ الكويكب الأشهر في التاريخ هو الكويكب الذي ضرب الأرض قبل **66** مليون سنة مسبباً فوهة **تشي كشو لوب** في المكسيك التي يبلغ قطرها **150** كيلومتراً و هي مدفونة تحت **شبه جزيرة يوكاتان** المكسيكية و يعتقد أنه كان مسؤولاً عن انقراض الديناصورات و **75** % من

الأنواع الحية ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**مغالطة فضائية**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= رغم شغفي بعلوم الفضاء و فضولي بالتعرف على أسراره ، إلا أن حجمه الشاسع يقف عائقاً كبيراً أمامي ، فأين أنا من أسرار كون بحاله ، و أنا لا أزال بالأساس أجهل الكثير عن الكوكب الذي أعيش عليه **؟!!**

بل أن نقول :

= صحيحٌ أنّ الكون شاسع للغاية ، و لا تزال أمامنا كثير و كثير من الأسرار لنكتشفها فيه .. لكن الأكيد أن أساسيات الفضاء الكوني بسيطة و محدودة يمكنني أن أطلع عليها ببعض الدراسة و البحث ، كي أبني عليها لاحقاً معلومات و حقائق أكثر مع الزمن ..

لا يغرك عزيزي القارئ الحجم المهول للكون مقارنة بكوكب الأرض .. فالأرض على صغرها تحتوي مليارات البشر و **كلّ منهم كون بحاله** يستحق الاهتمام و الدراسة .. أما الكون الفعلي فهو أشبه بعمليات النسخ و اللصق على شاشة الحاسوب .. إذ أنه عبارة عن مليارات المجرات التي تتشابه بأساسياتها من سدم و نجوم و كواكب و أقمار ، فإن فهمت مجرة واحدة منها كمجرتنا العزيزة درب التبانة مثلاً، تمكنت من فهم أي مجرة أخرى مع اختلافات بسيطة بأشكال تلك الأجرام ، لكن القوانين و المبادئ واحدة لا تتغير .. و هذا ما حاولنا التركيز عليه في مغالطتنا السابقة أن نضع جزءاً من الكون تحت المجهر و نفحصه ثم نعمم ذلك على أصقاع الكون كلها!

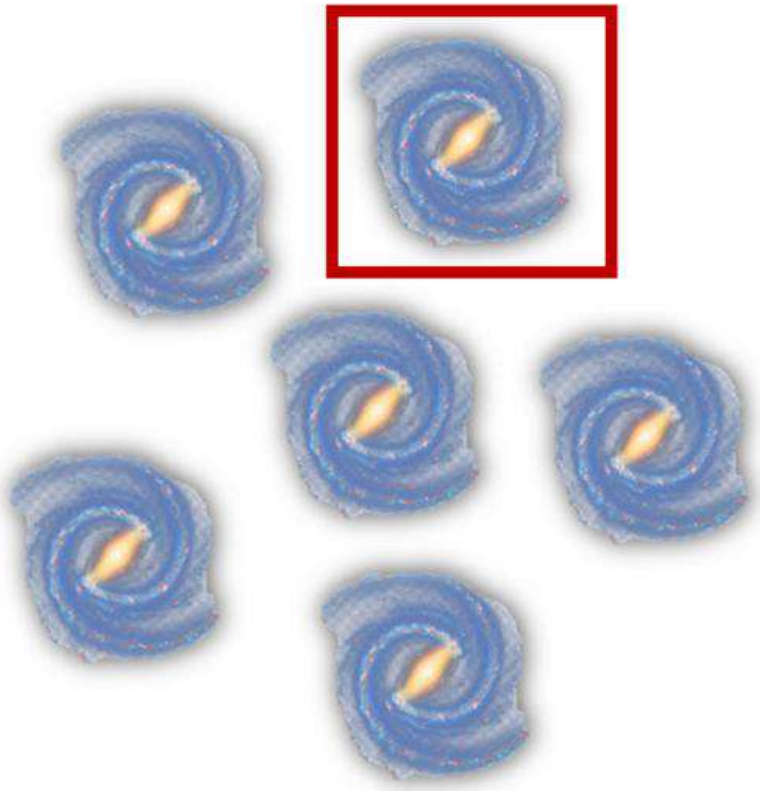

مغامرة أبراكا دابرا

(الكمّ و العمامة)

= أراك مبتسماً و مندمجاً .. ما الذي تشاهده على هاتفك يا صديقي ؟

= فيديو عن ساحر أمريكي يدعى **شين ليم** ..

= و ما الذي يقدمه ؟

= سحر حقيقي عجيب بتحويل بطاقات اللعب أو إخفائها أو تبديلها على نحوٍ يفجر العقل حرفياً ..

= هذا ليس سحراً حقيقياً يا صديقي ؟

= ما هو إذن ؟ كيف يفعل هذه المعجزات ؟

= هذا اسمه خفة يد و هي نوع من السحر الأبيض يعتمد على مهارات يدوية لا أكثر ..

= سحر أبيض ؟!

= أجل .. فللسحر نوعان : **أبيض** قائم على الخديعة و الأوهام البصرية بغايات إيجابية ، و **أسود** قائم على التعاويذ و العقاقير و أمور أخرى بغايات سلبية ..

= و هل أي منهما حقيقي ؟

= السحر الأبيض قائم على الحيل بشكل مؤكد أما الأسود فيختلف الباحثون حوله .. فمنهم من يؤمن بأنه حيل بدوره و منهم من يقول بأنه على علاقة بالماورائيات من أرواح و جنّ و شياطين يروضها الساحر لخدمته ..

= و أنت ما رأيك ؟

= رأيي أن السحر بنوعيه مجرد خدع .. فإن قدّم من باب الترفيه كان أمراً جيداً ، و إن استخدم لغش البشر و إيذائهم كان فعلاً مذموماً يجب مقاضاته قانونياً ..

= و ما دليلك على كلامك ؟

= ببساطة لو أن هنالك سحرة حقيقيون يمكنهم التلاعب بمصائر البشر ، لتلاعبوا بمصائرهم أولاً .. فأغلب السحرة أشخاص عاديو الثراء .. فلماذا لا يسخرون سحرهم لمنفعتهم الذاتية بالأساس لو كانوا صادقين ؟!
= وجهة نظر منطقية ، لا أنكر !!

= لذا فأنا أحبذ إطلاق كلمة ساحر على الإنسان المبدعفي عمله ، كرياضي ساحر أو فنان ساحر أو عالم ساحر

و قس على ذلك .. فهذا هو السحر الوحيد الذي ينفع الإنسان و المجتمع على حدّ سواء ..

*****

إنه منظر طبيعي ساحر ..

إنها أنثى ساحرة الجمال ..

إنه مشهد ساحر يحبس الأنفاس ..

إنه لاعب كرة قدم بحركات ساحرة ..

و غيرها عبارات كثيرة نصف فيها شيء ما مميز للغاية بأنه ساحر .. فللسحر تأثير مميز على العقول و محبب للقلوب .. إذ نقرنه بالأمور المذهلة ذات الجودة العالية مقارنة بالأمور الأخرى .. و بالطبع إن سألت أغلب البشر عن تعريفهم للسحر سيجيبون :

(**فعل خارق للطبيعة بلا تفسير منطقي**)

و هذا المفهوم الشائع بين الناس عن السحر هو مغالطة حقيقية و خطيرة للغاية أحياناً ، إذ إنّ إيمان البعض أن السحر حقيقة ، يجعلهم يسلمون مقاليد أمورهم و زمام حياتهم لمدعي السحر الحقيقي الذين على الأرجح سيستغلونهم و يوصلونهم إلى الهاوية بملاحقة أوهام لا وجود لها كالسراب ..

و لخطورة السحر و عواقبه السلبية على البشر سنقوم بمقاربته كمغالطة جديدة مستقلة، و ذلك من **5** زوايا هامة

للغاية و شيقة :

① **نبذة عن تاريخ السحر ..**

② **أنواع السحر ..**

③ **السحر في عين العلم و الدين ..**

④ **أشهر السحرة عبر التاريخ ..**

⑤ **أشهر رموز السحر ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ لنقول سوياً (**أبراكا دابرا**) ، كي تختفي الأكاذيب و المغالطات من عقولنا و تظهر مكانها الحقيقة المجرة بعصا العلم و المنطق ..

أولاً : نبذة عن تاريخ السحر :

في العصور القديمة : عرف الإنسان السحر منذ قديم الزمان، إذ تشير بعض الرسومات القديمة في كهوف فرنسا إلى استعمال إنسان الكهف للسحر للمساعدة في عملية الصيد ، و هناك كتابات تتحدث عن السحر في قصائد هوميروس الاغريقي وفي برديات قدماء المصريين و آثار البابليين ، و في كتابات بلاد فارس القديمة خاصة كتابات رجال دين الزرادشتية ، و يعتقد أن كلمة السحر بالإنجليزية **ماجيك** قد أتت من أفراد **قبيلة ماجاي الميدية** الذين كانوا رجال الدين الرئيسيين في

الديانة الزردشتية..

و بالمجمل هناك نقاط تشابه مشتركة في الكتابات القديمة حول السحر منها على سبيل المثال:

❁ استعمال **رموز و كتابات و شيفرات غامضة** لغرض استحضار الأرواح (تعاويذ الشعوذة)..

❁ استعمال ما يسمى **الكلمات السحرية** وهي كلمات يعتقد البعض إنها قادرة على تطويع وتوجيه الأرواح ككلمتي **أبرا كادابرا** الشهيرتين مثلاً التي يعتقد أنّ لها أصولاً آرامية وتعني (أنا أصنع ما أقول) أو (أنا أخلق ما أقول).. وهناك من يرجعها لأصول عبرية متعلقة بسحر الكابالا و سحر الأرقام اليهودي .. في حين يؤمن كثيرون بأن أصل الكلمة يعود إلى **أبراكساس** وهو أحد آلهة العالم السفلي عند الإغريق و الذي عُبد في الإسكندرية في القرن

2 قبل الميلاد (له رأس ديك و جسم أسد واقدامه ثعابين ملتوية ، و يده تحمل درعاً) ، و أياً كان مصدر هذه الكلمات فهي على علاقة بالسحر بشكل مؤكد .

❁ استعمال **وسيط** بين القوى الخفية كالجن و الشياطين من جهة و السحرة من جهة أخرى ..

❁ استعمال **آلات موسيقية** بدائية مصنوعة من الخشب لإحداث أصوات متناغمة أثناء الطقوس السحرية ..

في العصور الوسطى : كانت عقوبة امتهان السحر هي الحرق حياً بأمر من الكنيسة ، لذا كان السحر يتم على نحو سري ، و رغم ذلك قام **ألبرت الكبير** و هو رجل دين مسيحي مهتم بعلم الخيمياء بجمع عدد كبير من التعويذات السحرية بغرض الدراسة و البحث العلمي.

عصر النهضة والثورة الصناعية : مع حلول التفسير العلمي محل الخرافات والأساطير، تراجعت شعبية السحر و السحرة كثيراً مع انكشاف السبب العلمي لكثير من خدعهم و حيلهم ، إضافةً إلى لجوء البشر إلى المنطق لتفسير الظواهر و حل المعضلات أكثر من لجوئهم إلى الدين و القوى الغيبية أو الخارقة للطبيعة ..

في القرن 19 : مع انتشار موجة الاستعمار الأوروبي للشرق، تعرف العالم الغربي عن كثب على أساطير الشرق الغامضة و سحرته المشهورين خاصة في الهند و مصر ، فبدأ ولع جديد بالسحر وطقوسه وتشكلت جماعات منظمة جديدة تحاول دراسة السحر و ممارسته

في العصر الحديث : أصبح السحر أكثر شعبية حول العالم و يستعمل غالباً لغايات تجارية كعروض ترفيهية و ما شابه ، فلمع نجم سحرة كثر و أصبحت عروضهم عالمية تستقطب الملايين ..

ثانياً : أنواع السحر :

للسحر نوعان رئيسيان تبعاً للغاية منه :

① **السحر الأبيض** : و هو سحر بغايات إيجابية كالترفيه مثلاً ، و يشتمل على نطاق واسع من الأساليب السحرية كخفة اليد ، و إخفاء الأشياء و إظهارها في مكان آخر ،

أو تبديل الأشياء عن بعد ، و غيرها .. و هذا السحر له تفسيرات علمية منطقية لكل نوع من أنواعه و يعتمد بشكل أساسي على سرعة حركة اليدين و الأوهام البصرية و قراءة الأفكار و غيرها ..

② **السحر الأسود (الشعوذة)** : و هو سحر بغايات سلبية و غالباً ما يشتمل على التعاويذ و الشفرات و القرابين و الطلاسم و استحضار الأرواح أو التواصل مع الجن و الشياطين ، و غاياته بالعادة إيذاء الآخرين أو إحلال لعنة ما عليهم .. و هذا السحر يفسر عادة باستعمال

مواد كيميائية ذات رائحة أو مذاق معين و تسبب الهلوسة أو ضرر الدماغ كما في لعنة الفراعنة مثلاً .. و هذا النوع مفضل في قصص و أفلام الخيال و عوالم السحر و السحرة **كهاري بوتر** مثلاً و شخصية **غاندالف** في **سيد الخواتم** و غيرهما ..

و من الديانات الشهيرة حول العالم التي ربطت ظلماً بالسحر الأسود هي **ديانة الفودو** الإفريقية المعروفة ، إذ ربطت طقوسها بغرز دبابيس في دمى القش بغية إيذاء

الآخرين كتسبيب الفشل أو الطلاق أو حتى الموت لهم !

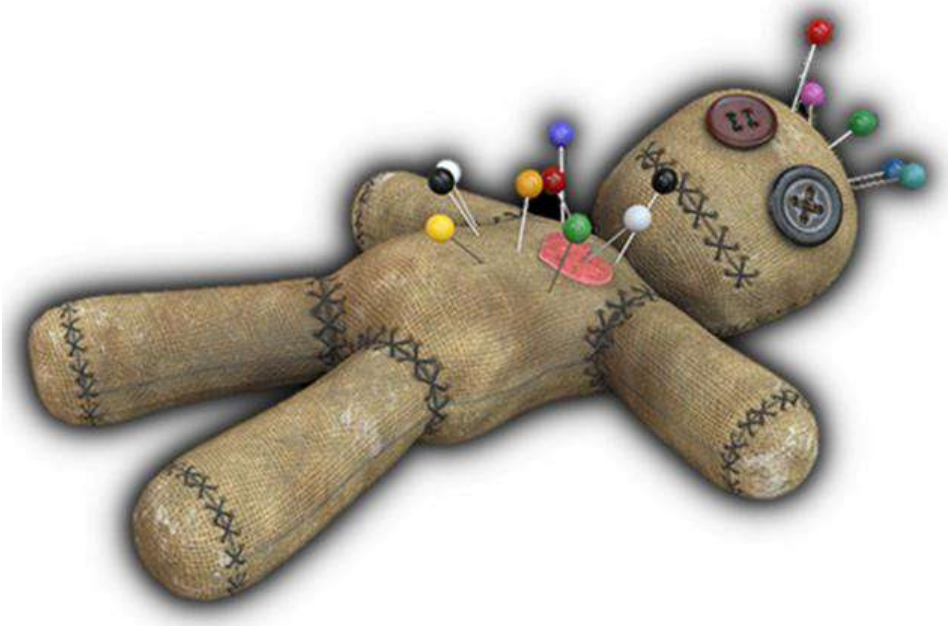

ثالثاً : السحر في عين العلم و الدين :

العلم لم يثبت صحة السحر بالأرقام و الأدلة الملموسة ، لذا يصنف السحر تحت بند **العلوم الكاذبة** .. فجميع التجارب التي طبقت على مدعي السحر انتهت بفشل ذريع .. و من أشهر المشككين بحقيقة السحر هو فنان إيحاء سابق كان يحترف عروض خفة اليد المسرحية واسمه **جيمس راندي** وهو كندي اشتهر عالمياً بعد التحدي المشهور الذي أطلقه باستعداده لأن يدفع **مليون دولار** لأي شخص يأتي بدليل علمي واحد على صحة مزاعم الأشخاص الذين يعتقدون أن لديهم قوى سحرية خارقة.. و من الجدير بالذكر أن التحدي لا زال قائماً ولم يتمكن أحد حتى هذا اليوم من اجتياز الاختبارات العلمية التي تركز على حذف عامل الصدفة أو الخدعة

في هذه الظواهر .. و هذه شهادة من أهل السحر أنفسهم مما يوضح حقيقة السحر في زمننا الراهن مع تطور العلوم و التكنولوجيا لكشف الحيل و زيف الادعاءات !!

أما السحر في الدين فهو محرم في الأديان السماوية الثلاثة.. و في قصة النبي موسى مع سحرة فرعون خير توصيف لفكرة السحر المفتعل بالحيلة و الخداع ، عندما ألقى سحرة فرعون ما يشبه الأفاعي على الأرض بخدعة معينة ، فألقى موسى عصاه لتستحيل إلى أفعى حقيقية كمعجزة ربانية لا تفسير علمي لها فالتهمت كل تلك الأفاعي الزائفة ..

فالسحر الحقيقي الوحيد في الكون هو سحر البارئ بمعجزاته التي يقف العلم و المنطق مكتوفي الأيدي أمامها فلا يمكنهما تفسيرها أو دحضها .. فالمسيح مشى على

الماء بمعجزة ، في حين نجد سحرة آخرين يمشون فوقه بخدعة فيزيائية معينة و هكذا .. و **سحر السماء** سحر أبيض بغاية نبيلة و هي هداية الناس و منفعتهم لا غير .. أما **سحر البشر** فهو سحر أسود بغية تحقيق المكاسب الشخصية أو إيذاء الآخرين .. و شتان بين هذا و ذاك !!

رابعاً : أشهر السحرة عبر التاريخ :

في صفحات التاريخ أسماء كثيرة لمعت في سماء السحر و الشعوذة لعل أشهرها :

❁ **النمرود** : هو أول شخص استخدم السحر الأسود للسيطرة على العالم وكان يعيش في مدينة بابل بالعراق. و يقال أنه اتفق مع الشيطان لتقديم والده قربانا له لكي يسخر جميع متاع الدنيا من أجله، وبالفعل شيد الجن له أضخم وأكبر برج في التاريخ للعيش فيه، ولكن مات النمرود بعد ذلك لسخرية القدر و ضعف الإنسان بسبب بعوضة استقرت في رأسه فسببت له نزيف داخلي أدى إلى وفاته..

❁ **إليفاس ليفي** : ولد في القرن **19**، وكان شاعراً وكاتباً فرنسياً ، عمل ككاهن في الكنيسة الكاثوليكية لكنه ترك الكنيسة في سن **26** عاماً وذلك بعد صراع كبير معها ، ليهتم بدراسة السحر بعمق لدرجه أنه ألّف أكثر

من **20** كتاباً عن السحر و يعتبر من أشهر السحرة في التاريخ ..

❁ **تشارلز ليلاند** : يعرف بلقب **المسافر الباحث عن السحر**.. ولد في فيلادلفيا الأمريكية في القرن **19**، و كان عالماً بأمور السحر و دهاليزه .. يعتبر كتابه **إنجيل الساحرات** المعروف، أحد أشهر الكتب المنشورة عن السحر و طرائقه ..

❁ **أنطون لافي** : ولد في مدينة شيكاغو الأمريكية لأبوين يهوديين، وكان موسيقياً وممثلاً و ساحراً محباً للخوارق الطبيعية.. وهو من المؤسسين الأوائل لطائفة عبدة الشيطان.. كما أسس كنيسة الشيطان في مدينة سان فرانسيسكو عام **1966** و ألف أيضاً كتاب **الإنجيل الشيطاني** ، و توفي عام **1997**..

❁ **أليستر كراولي** : ساحر وشاعر ورسام وروائي ومتسلق للجبال.. أسس **دين ثيليما**، وقد عرّف نفسه بأنه النبي المكلف بتوجيه الإنسانية إلى عين حورس في أوائل القرن **20** .. وقد عمل على نشر دينه على نطاقٍ واسع طوال حياته.. ألف كتابه الخاص عن السحر عندما كان في مصر و أسماه **كتاب القانون** و ضمنه تعاليمه و طرائقه و أصبح ذا شهرة عالمية كبيرة في زمن قياسي و لا يزال منهجاً لكثير من السحرة حتى يومنا هذا .. ربط بدوره بالماسونية و بعبادة الشيطان

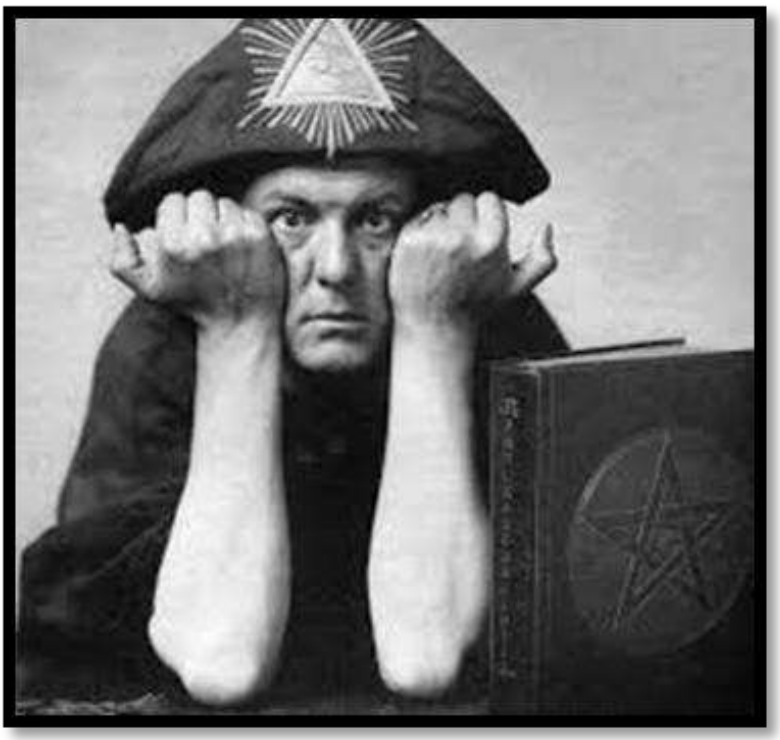

❁ **ديفيد كوبرفيلد** : ساحر أمريكي وخبير في فن الوهم في القرن **20** ، اسمه الحقيقي (ديفيد سيث) وقد اقتبس اسم شهرته من رواية تشارلز ديكنز الشهيرة، من

أشهر عروضه إخفاء تمثال الحرية والعبور من خلال سور الصين العظيم وانشطاره إلى اثنين بواسطة منشار كهربائي ، يعتبر من أكثر أساتذة فن الوهم شهرة على مستوى العالم واستطاع تحقيق **12** رقم قياسي في موسوعة غينيس ..

❁ **هاري هوديني** : أستاذ في فن الوهم في القرن **20** ، ممثل و مخرج أفلام هنغاري أمريكي .. يعتبر من أكبر الأسماء في سحر الإيحاء والتخلص من القيود، و قد اكتسب شهرة عالمية واسعة .. عُرف بنقده للوسطاء الروحيين الذين يزعمون أن في استطاعتهم الاتصال بأرواح الموتى .. وكان يعتقد أن الوسطاء يخدعون الجمهور ..

❁ **سحرة لا يزالون على قيد الحياة** : و أشهرهم الساحر الأمريكي **كريس إنجيل** ، و الساحر الأمريكي الكندي **شين ليم** ، و هما لاعبا خفة و خداع بصري محترفين و يقدمان عروضاً مذهلة للغاية ..

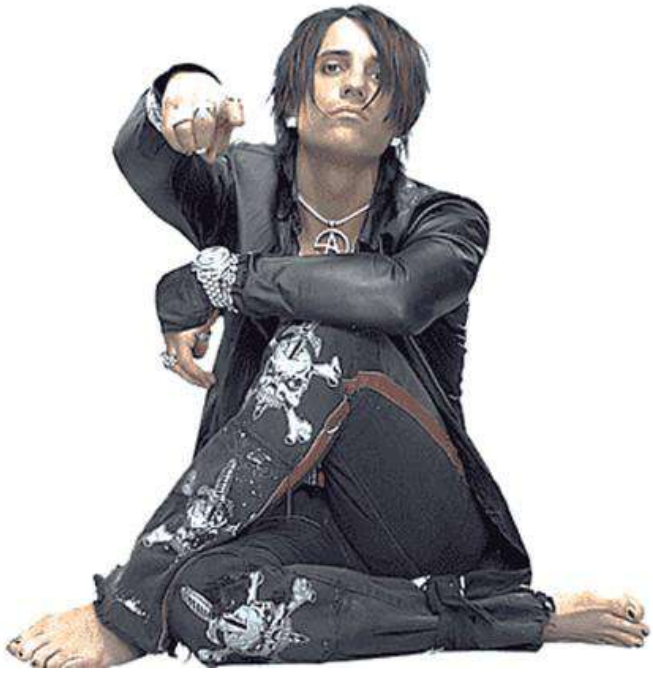

أما أشهر كتاب ألف عن السحر فهو كتاب **شمس المعارف الكبرى** لمؤلفه **أحمد بن علي البوني** منذ قرون عدة و أوضح فيه طرائق كثيرة للسحر و استحضار الجن و هو محرم دينياً و محظور من الطباعة في أغلب البلاد الإسلامية ..

خامساً : أشهر رموز السحر :

هنالك رموز كثيرة ارتبطت بالسحر و السحرة عبر التاريخ من قبيل القبعة و الأرنب .. أو الكم و الحمائم .. أو العصا السحرية .. أو صندوق شطر الإنسان .. أو

القفص والأصفاد .. أو طلاسم السحر الأسود كالنجمة الخماسية و الجمجمة و عين حورس و غيرها .. أو أوراق التاروت و أوراق اللعب .. و بالطبع المشعوذة العجوز و كرتها السحرية و المقشة التي تطير عليها .. و القائمة تتسع و تطول ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**أبراكا دابرا**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= سألجأ إلى الساحر فلان ليحلّ مشكلتي أو يفك اللعنة أو النحس عني بسحره ..

بل أن نقول :

= سألجأ إلى الطبيب الساحر فلان أو العالم الساحر فلان ليحل مشكلتي ، فالعلم هو الحل دائماً و أبداً ، أما السحر بشقيه الأبيض و الأسود مجرد حيل و ألاعيب لا أكثر ، بل إن السحر الأسود خطر حقيقي يترصد بالبشر كي يضرهم أو يستغلهم و قد يقودهم إلى الهاوية ..

في قصص التراث الديني المذكورة في القرآن قصة الملاكين **هاروت** و **ماروت** اللذين بعثهما البارئ كي يعلما الناس السحر .. و على عكس ما يعتقد البعض أن هذه إشارة إلى أن السحر حقيقة لا شك فيها ، فإن قصتهما دليل على أن السحر عالم من الحيل و الخداع و ما أرسلهما البارئ إلا لتعليم الناس هذه الخدع كي يتجنبوها و لا يقعوا في أفخاخها ، بدليل أنهما يخبران البشر بأن السحر فتنة بين الناس عليهم تجنبها لاسيما السحر الأسود.

مغامرة

شاتوراجا

(يموت الجميع كي يحيا الملك)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

= آخر أخبار الحرب الروسية الأوكرانية ؟

= و ما الذي يعنيك فيها .. حرب لا ناقة لنا فيها و لا جمل !!؟

= هذا كلام خاطئ تماماً يا صديقي .. هذه الحرب تعني العالم برمته شمالاً و جنوباً .. شرقاً و غرباً ..

= و لماذا ؟

= لأنها ثاني احتكاك مباشر بين أمريكا و روسيا يكسر نمطية الحرب الباردة ..

= لم أفهم .. ما قصة الحرب الباردة هذه ..؟

= الحرب الباردة مصطلح سياسي عسكري ، أبصر النور بعيد الحرب العالمية الثانية أي في أربعينيات القرن **20** لوصف حالة عداء سياسي بين أمريكا و روسيا دون

حرب عسكرية مباشرة بينهما .. و ساد هذه الحرب جو من التنافس الشديد في كل المجالات لا سيما غزو الفضاء و سباق التسلح و إشعال الحروب بالوكالة ، كالحرب الكورية و الفيتنامية و أزمة برلين و جدارها عام **1961**

= تقول أنه ثاني احتكاك مباشر ، فما هو الاحتكاك الأول

= أزمة الصواريخ الكوبية عام **1962** عندما هدد الروس أمريكا على حدودها بنشر صواريخ نووية في كوبا .. و هذا ما يحدث اليوم بتهديد الأمريكان لروسيا على حدودها في أوكرانيا .. و لولا ألطاف السماء لنشبت حرب عالمية نووية في الأزمة الأولى ، و لا أحد يدري كيف ستنتهي هذه الأزمة الثانية فقد تتطور إلى حرب عالمية سيخسر فيها العالم برمته لا ريب..؟!

= فهمت .. الحق معك في متابعة أخبارها .. أتعرف هذه الحرب الباردة تذكرني بلعبة الشطرنج ، فهنالك الملك الروسي و حلفاؤه و الملك الأمريكي و حلفاؤه ..

= تشبيه بالغ الدقة .. و خلال هذه الحرب الباردة يتم وضع الخطط و الاستراتيجيات و حساب النقلات و تبعاتها بدقة بين الجانبين .. و ليس بغريب أن يكون أفضل لاعبي شطرنج في التاريخ الحديث هما الأمريكي بوبي فيشر و الروسي غاري كاسباروف ..

= إنّ من اخترع لعبة الشطرنج شخص عبقري بلا شك ، لقد لخص فلسفة الحروب كلها على رقعة صغيرة ..

= بالفعل !!

= و من اخترعها بالمناسبة ؟

= هذا موضوع طويل و شيق .. تعال لأحدثك أكثر عن قصة الشطرنج أكثر الألعاب المعروفة تطويراً للدماغ و زيادةً لنسبة الذكاء بين الناس ..

*****

يعتقد كثر من الناس أن لعبة الشطرنج هي إحدى وسائل الترفيه البشرية كأي لعبة أخرى .. قواعدها بسيطة للغاية ممكن أن يتقنها طفل في الخامسة من العمر .. أو كما يصفها الأديب الإيرلندي الساخر **جورج برناردشو** :

(الشطرنج هو وسيلة حمقاء لجعل الناس العاطلين يعتقدون أنهم يقومون بشيء ذكي للغاية، بينما هم يضيعون وقتهم فقط)

فهل هذا التصور صحيح و منطقي ؟!

في الحقيقة هذا التوصيف المبسّط ينطوي على مغالطة كبيرة للغاية .. فالشطرنج هو أكثر الألعاب تعقيداً و أسراراً في العالم ، و بين مربعات هذه الرقعة الصغيرة تدور أحداث الحياة و قصص الحروب البشرية ، و مع كل نقلة من أحجارها يجبر الدماغ البشري بنصفيه معاً على استنباط قدراته الكامنة و الكشف عن إمكانيات مذهلة كانت غافية لا يعلم الإنسان أنه يمتلكها .. الشطرنج لعبة سحرية بامتياز يحيط بها الغموض و المكائد من كل حدب و صوب .. و ليست لعبة عادية على الإطلاق ..

لماذا هي كذلك ؟ و لماذا نظرة البشر إليها مغالطة بحد ذاتها ؟ هذا ما سنعمل سوياً أنا و أنت عزيزي القارئ على اكتشافه خلال الصفحات القادمة كي نحيط برقعة الشطرنج من مختلف الزوايا لنجلي أسرارها و نفهم غموضها أكثر، و لتحقيق ذلك سنقارب هذه اللعبة الأسطورية من **4** زوايا هامة و شيقة للغاية :

① **تاريخ لعبة الشطرنج ..**

② **إسقاط قواعد الشطرنج على الحياة ..**

③ **الجانب المذهل من لعبة الشطرنج ..**

④ **معلومات جميلة عن الشطرنج ..**

فهيا بنا نحرك بيدقنا الأبيض كخطوة أولى في دور شطرنج مع لعبة الشطرنج نفسها علنا نفلح في فك طلاسمها ..

أولاً ، تاريخ لعبة الشطرنج :

تختلف الروايات في الحقيقة حول أصل هذه اللعبة وتاريخها فالبعض ينسب لعبة الشطرنج إلى القائد الأغريقي **بالميداس**، و البعض الآخر ينسبها إلى الكلدانيين في بلاد الرافدين ، بينما ذكر بعضهم أن الشطرنج من اختراع الصين وذلك في القرن **10** قبل الميلاد ، على أنّ العلماء المعاصرين يجزمون بأن الشطرنج هو اختراع هندي ابتكره شخص هندي الأصل يدعى (**شانو نانا في**) في القرن **6** قبل الميلاد ..

كان اسم اللعبة أولاً باللغة الهندية السنسكريتية **شاتوراجا**، والذي يُترجم إلى (**أربع فرق للجيش**) و يقصد بها المشاة، وسلاح الفرسان، والفيلة، والعربات الحربية ، حيث تم تمثيل هذه الفرق العسكرية بالقطع و التي تطورت لاحقاً إلى البيدق ، الحصان، الفيل و الرخ على التوالي كما نعرفها اليوم ..

انتقل بعدها الشطرنج إلى بلاد فارس من الهند وأصبح جزءاً من التعليم الأميري و الملكي للنبلاء الفارسيين ، و حرف اسم اللعبة إلى **تشاترانج**، والتي تطورت لاحقًا إلى **شاطرانج** باللغة العربية بعد غزو بلاد فارس من قبل الخلافة الراشدية الإسلامية .. و بعدها نقله المسلمون إلى شمال إفريقيا فإسبانيا و من هنالك انتشر في أوروبا كلها ليصبح لعبة الملوك و الأباطرة المفضلة خاصة في

بريطانيا و فرنسا .. حيث تم تطوير اللعبة أكثر حتى أخذت شكلها الحديث من **6** أنواع من الأحجار (الملك ، الوزير ، الحصان ، الفيل ، القلعة و البيادق) ، ثم تمت إضافة نقلات جديدة و قواعد أخرى بشكل تصاعدي مع الزمن حتى رست الأمور على قواعد الشطرنج كما نعرفها جميعاً اليوم ..

ثانياً ، إسقاط قواعد الشطرنج على الحياة :

إنّ أحد أهم الوجوه المدهشة للعبة الشطرنج أنها تجسد في طياتها و نقلاتها الحياة البشرية برمتها ، فنجد فيها المعارك مع فائز و خاسر أحياناً و نجد السلام بالتعادل أحياناً أخرى ، كما نجد فيها أيضاً استراتيجيات مواجهة المشاكل و العقبات و تجاوزها ، و القائمة تطول للغاية و يمكن إيجازها بأبرز النقاط كما يلي :

- لعبة تعلمك **الصبر و التريث و التروي** ..
- لعبة تعلمك **التفكير أبعد من أنفك** و حساب خطواتك اللاحقة و عواقبها عليك لاختيار الأنسب لك .
- لعبة تعلمك **احترام الخصم** و إعطائه التقدير المناسب بدراسة أفكاره و خططه لمواجهتها بالطريقة المناسبة ، أي أن تفهم أنك لست وحيداً في هذه الحياة ، فهنالك الحلفاء و الخصوم ، الأحباب و الأعداء ..
- لعبة تعلمك **فن التخطيط و التكتيك** و وضع

الاستراتيجيات في الحياة بغية تحقيق الأهداف المنشودة ، فلا شيء يحدث بشكل عشوائي أو عبثي .. و الفوضى لا تحقق الأحلام و الآمال ..

❁ لعبة تعلمك **احترام الوقت** .. فالسيف إن لم تقطعه قطعك ، و أنت إن تأخرت أو ماطلت في التفكير و التسويف ستخسر اللعبة بالنهاية .. فلا مجال لإضاعة الوقت أو هدره ..

❁ لعبة تعلمك **استغلال نقاط قوتك و تحسين نقاط ضعفك** بشكل عام و مع كل مرحلة أو موقف خاص من حياتك

❁ لعبة تعلمك **التركيز** و تجميع طاقاتك في محرق واحد لإنجاز المهام ..

❁ لعبة تعلمك أن **الخسارة جزء من الحياة** كالفوز تماماً و عليك تقبلها بروح رياضية .. و الحياة جولات قد تخسر في بعضها لكنك ستعود و تنتصر في جولات لاحقة بلا شك ..

❁ لعبة تعلمك **المرونة و تدوير الزوايا** ، و ألا تحصر خياراتك في اتجاه وحيد و هنالك ما هو أفضل منه بكثير

❁ لعبة تعلمك أن خطوة وحيدة صحيحة في التوقيت المناسب ستقلب الموازين لمصلحتك و تفتح لك الأبواب لعدد هائل من الخطوات المفيدة و الناجعة ..

❁ لعبة تعلمك **الاهتمام بحمايك مكاسبك الراهنة** ، فلا تنشغل بالتخطيط للمستقبل عن الحفاظ على الحاضر كي

لا تخسرهما معاً .. كما تحمي القطع بعضها على الرقعة

❁ لعبة تعلمك **ألا تكون مكشوفاً بخططك و أفكارك** أمام الآخرين كي لا يستخدموها ضدك فتفشل ، بل أن تحتفظ بالغموض في شخصيتك و أهدافك لنفسك كي تنجزها ..

❁ لعبة تعلمك أن **الحياة نصفان متحدان ببعضهما بلا انفصام** و لا يجب تفريقهما عن بعضهما كي لا يختل ميزان العدل ، فالحياة أبيض و أسود معاً .. دورات من ليل و نهار .. نور و ظلام .. خير و شر .. يسر و عسر .. و الضد يظهر حسنه الضد و بدون وجود الأضداد لا قيمة لأي منها بمفرده ..

❁ لعبة تعلمك أن **وجود المعارضة للأنظمة حاجة ملحة** على الدوام كي يحسن إنتاجيته و يصوب أخطاءه و اعوجاجه .. لأن وجود الفعل بدون رد الفعل يحتم على الفعل الفساد و الانهيار ..

❁ لعبة تعلمك أن **معرفة القوانين لوحدها لا يمنحك الانتصار** ، بل عليك تنفيذها بطريقة صحيحة و خلاقة ، فالمعرفة لا تعني الذكاء و العكس صحيح ، بل تحتاج الاثنين معاً كي تنتصر ..

❁ لعبة تعلمك بأن **السلطة لا تمنحك حرية فعل ما تشاء** ، و الحاكم ليس مميزاً عن رعيته بل هو فرد منها أو ربما أقل ، فالملك في الشطرنج أقل القطع حركة و فائدة ، في حين نجد بقية القطع أكثر إنتاجية و مرونة .. فالغاية من اللعبة ألا تموت القطع كي يحيا الملك ، بل أن يقوم الجميع بدوره كي يحافظ على الرقعة ، أما الملك فمجرد رمز للتوجيه و القيادة لتحقيق هذه الغاية لا الفوقية و العنصرية تجاه بقية القطع ..

❁ لعبة تعلمك أن **لكل إنسان في الحياة ميزاته الفريدة التي لا تشبه أحداً** .. فلكل قطعة على الرقعة شكلها الخاص و حركاتها المميزة ..

❁ لعبة تعلمك أن **المرأة ليست ناقصة عقل و دين أو عورة يجب حجزها في المنزل** .. بل لها إمكانيات عظيمة و قادرة على تحقيق إنجازات مذهلة في المجتمع بل قد تحسم الأحداث في مناسبات كثيرة ، تماماً كالوزير على الرقعة ، فهو القطعة الأهم التي تذكرنا بقول نبي الرحمة في وصف الأم (أمك ثم أمك ثم أمك) ..

❁ لعبة تعلمك أن **الإنسان المجتهد سيترقى في الحياة**

و يتطور أكثر فأكثر حتى يبلغ منزلة العظماء من قبله ، كحال البيدق الذي يمكن أن يتحول إلى قطعة أهم عندما يبلغ نهاية الرقعة .. و هذا يذكرنا من جهة أخرى بإلغاء العبودية و التحرر ، فالبيدق أشبه بالعبد الذي يكافح كي يبلغ خط النهاية و يتحرر ..

❁ لعبة تعلمك أن **تنظر إلى الأمور نظرة شاملة** لكل جزئياتها ، لأنك إن أغفلت أي جزء من الرقعة و أسقطته من حساباتك ستكون بمثابة خاصرة ضعيفة يستغلها خصمك لإيذائك ..

❁ و أخيراً لعبة الشطرنج تلخص **فلسفة الحروب** حرفياً من نظرة ثاقبة لأرض المعركة كلها إلى التخطيط و التنفيذ ، كذلك نجد التضحية و الانسحاب التكتيكي و الهجوم في الوقت المناسب و المكان المناسب ، كما نجد تبادل الأسرى و تطوير الذات و قراءة الخصم و الاهتمام بعامل الزمن ، مع تناوب الانتشار و الانحسار خلال

فترات الحرب ، و بالطبع نهاية الحروب بالفوز أو الخسارة أو التعادل العادل ..

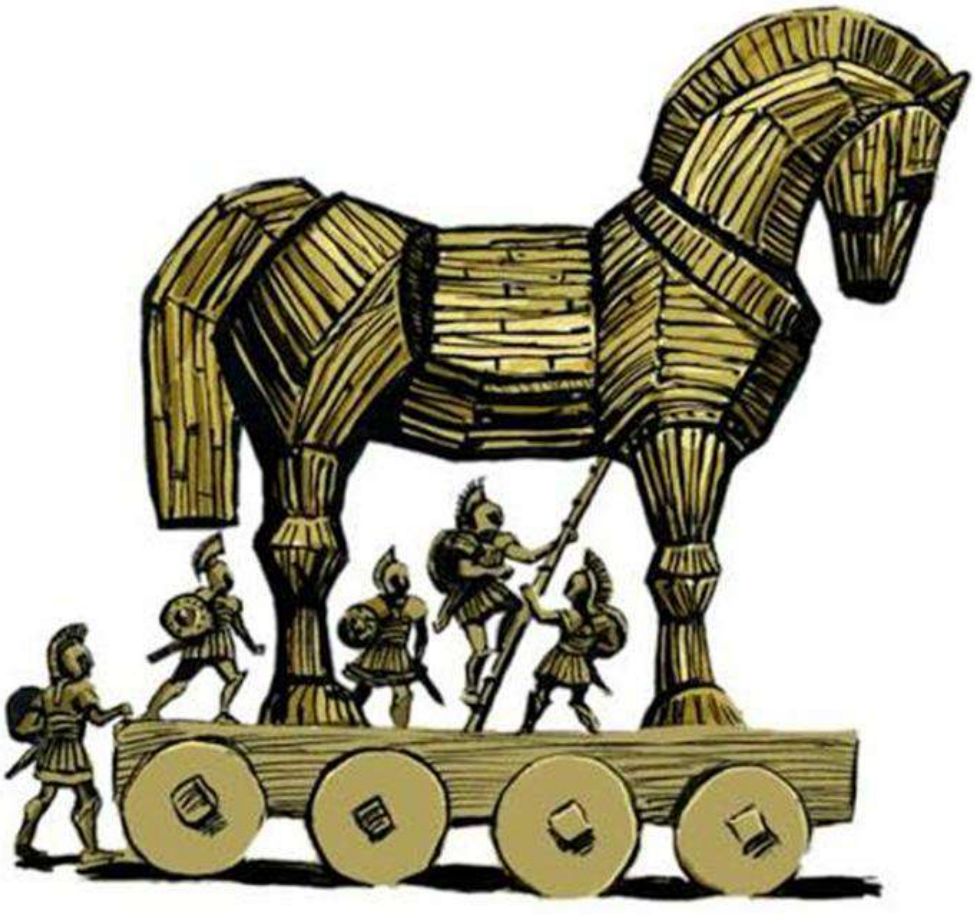

ثالثاً ، الجانب المذهل من لعبة الشطرنج:

للشطرنج وجه آخر لا يعرفه كثيرون ينطوي على حقائق مذهلة تفجر العقل حرفياً ، نذكر منها اثنتين من باب الإيضاح و المتعة الثقافية :

① قبل بدء دور الشطرنج تبدو قطع الشطرنج في غاية الترتيب و الهدوء على رقعتها ، لكن مع الحركة الأولى تبدأ سلسلة من الفوضى و الأرقام المرعبة بالظهور ..

فبعد أن يقوم كلا اللاعبين بأول حركة نحصل على **400** احتمال وضع مختلف ممكن لاحقاً ، و بعد النقلة الثانية يصبح العدد **197.742** وضعاً مختلفاً ، والعدد يصبح **121** مليوناً بعد **3** نقلات .. ولك أن تتخيل عزيزي القارئ مدى ضخامة الرقم بعد جولات إضافية أخرى .. لذا نجد **جوناثن شيفر** عالم الحاسوب من **جامعة ألبرتا** والذي يشتغل في مجال الذكاء الصناعي باستخدام الألعاب يقول بأنّ العدد الدقيق للأوضاع النهائية في لعبة شطرنج هائل لدرجة أنه لا أحد قد يستثمر وقته في حساب الرقم الدقيق لها ، فالبعض قد أعطى تقديراً تقريبياً يقدّر بحوالي **10** قوة **10000** ، و ذلك يعني الرقم واحد متبوعاً بحوالي **100** ألف صفر!! و على الأرجح أنت عاجز عن فهم ضخامة هذا الرقم، و لتوضيحه أكثر تخيل عزيزي القارئ أنّ مجموع عدد الذرات في الكون كله لا يتجاوز الرقم **10** قوة **80** .. أي أن عدد احتمالات النقلات في لعبة الشطرنج يفوق بمسافات ضوئية عدد ذرات الكون مجتمعة ..

② من طريف ما يروى عن الشطرنج أن ملك الهند أراد مكافأة مخترع الشطرنج و هو وزيره الذي أراد أن يبعد السأم والملل عن نفس ملكه ويدخل البهجة إلى قلبه فاخترع تلك اللعبة أو يقال عدلها عن لعبة هندية قديمة وأهداها للملك الذي بلغ إعجابه بها حد جعله يطلب من

وزيره أن يتمنى عليه ما يشاء، فطلب المخترعُ طلباً متواضعاً وهو أن توضع له حبة قمح واحدة على المربع الأول من رقعة الشطرنج ثم تضاعف له بمتوالية هندسية مع كل مربع لاحق أي في المربع الثاني حبتي قمح ثم أربعة في المربع الثالث ثم **8** ثم **16** ثم **32** و هكذا إلى آخر مربع في الرقعة التي عددها **64** مربع.

وقد استهان الملك بهذا الطلب الذي بدا له أنه طلب متواضع وسهل التحقيق، لكن عند التنفيذ وبعد الحساب الدقيق ، أخبر الخبراء الملك أن الوزير طلب ما يعادل

محصول الكرة الأرضية لو زرعت جميعها قمحاً بعد تجفيف بحارها وتسوية جبالها لمدة ستة آلاف سنة قادمة ، فالرقم الصحيح لعدد حبات القمح النهائي تساوي **18446744073095516l5** و تخيل هول هذا الرقم عزيزي القارئ .. فزاد إعجاب الملك بوزيره وقال له : **لعمري لا أدري مما أعجب أكثر أمن الشطرنج أم من الأمنية !!**

رابعاً ، معلومات جميلة عن الشطرنج :

❁ أطول مباراة شطرنج تستغرق نظرياً **4949** نقلة.. و أطول مباراة شطرنج على أرض الواقع استغرقت **269** نقلة بين **نيكوليتش** و **أرسوفيكفي** عام **1989** وانتهت بالتعادل ..

❁ أصغر من حصل على لقب أستاذ شطرنج في تاريخ اللعبة هو **جوردي مونت رينود** بعمر **10** سنوات وسبعة أشهر فقط.. وأكبر من حصل على لقب أستاذ شطرنج هو **أوسكار شابيرو** بعمر **76** سنة..

❁ يبدو أن لعبة الشطرنج تتشابه مع الحروب أكثر مما نعتقد ، فنادراً ما ترى جنرال عسكري أنثى ، كذلك الحال فإن سيطرة الذكور على لعبة الشطرنج واضحة بهيمنة كبيرة ، و كأن عقل الأنثى لا يفضل الأفكار الاستراتيجية و فلسفة المواجهة .. و تبقى أفضل لاعبة شطرنج في

التاريخ الحديث هي المجرية **جوديت بولغار** ، أما عند العرب فأشهر لاعبة شطرنج هي **عُرَيب المأمونية**، التي حظيت لدى الخليفة العباسي **المأمون** بالإعجاب والتقدير لمهارتها وحدة ذكائها ..

❁ أطول سلسلة لعب لفرد واحد مسجلة باسم الهولندي **نوبيرت** في عام **1985** حيث لعب **500** مباراة شطرنج وكان توقيت كل مباراة **10** دقائق فقط وذلك خلال **68** ساعة متواصلة !!

❁ هنالك شكل جديد حديث من لعبة الشطرنج يعتمد على رقعة غريبة سداسية الشكل .. و هنالك أيضاً نوع آخر يعتمد على رقعة ثلاثية يديرها ثلاثة لاعبين ..

❁ كلمة كش مات أو بالانجليزية **checkmate** مأخوذة عن اللغة الفارسية و تعني **الشاه مات** ..

❁ مارس الفراعنة القدماء لعبة شبيهة للغاية بلعبة الشطرنج و تدعى **سنت** و تعتمد على الأحجار و الرقعة

و الهجوم المتبادل بين لاعبين..

❁ **الاسكندر المقدوني** أعظم قائد عسكري في التاريخ كلف أحد مهندسيه ببناء مدينة الإسكندرية في مصر وفق تصميم يشبه رقعة الشطرنج ..

❁ من أشهر الروايات العالمية التي تناولت لعبة الشطرنج هي رواية (**أحجار على رقعة شطرنج**) التي تحدثت عن تحكم قوى عالمية بمصير الشعوب و تحريك الثورات و تغيير الأنظمة كما تشاء .. و رواية (**لاعب الشطرنج**) التي تتحدث عن شاب قليل الذكاء يكتشف أنه عبقري في لعبة الشطرنج في مفارقة عجيبة ..

❁ يقال أن الصحابي المسلم **خالد بن الوليد** و المشهور بإنجازاته القيادية العسكرية كان مغرماً بلعبة الشطرنج

❁ الشطرنج هبة ربانية مجانية يمكن منحها لأبنائك بتعليمهم إياها ، فهي تزيد نسبة الذكاء و تقوي الذاكرة و توسع الخيال و تعلم الطفل الصبر و التريث و تقبل

الخسارة بروح رياضية و تطوير الذات و اكتساب مهارة التخطيط و حل المشكلات و بعد النظر ، باختصار إنها نعمة لا تقدر بثمن فلا تحرمهم منها ..

❁ تصميم القطع الشطرنجية كما اعتدنا عليها اليوم و المسمى **الستاونتون** (**Staunton**) ابتكره **ناثانيال كوك** عام **1849** و اعتمد دولياً عام **1924** ..

❁ تحريك الجندي خطوتين معاً و حركة التبييت بين الملك و القلعة اعتمدت أول مرة في **إيطاليا** في القرن **15**..

❁ تكريماً للقائد العسكري الفرنسي الشهير **نابليون بونابرت** فقد سميت إحدى خطط اللعب بالشطرنج باسمه و تعتبر خطة نابليون من أشهر الخطط حول العالم ..

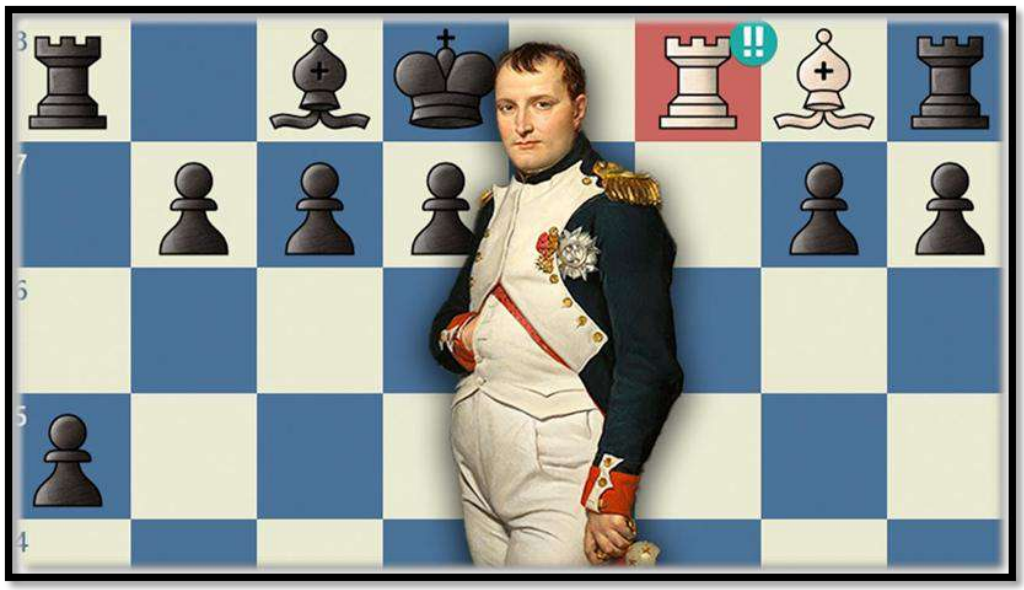

❁ من القادة المشاهير الذين أغرموا بلعبة الشطرنج نذكر **لينين و هتلر و تشي غيفارا** ..

❁ أشهر لاعب عربي بالشطرنج هو **أبو حافظ الشطرنجي** الذي عاش في زمن الخليفة العباسي **هارون الرشيد** الذي كان بدوره مولعاً بهذه اللعبة ..

❁ من اشهر لاعبي الشطرنج في العصر الحديث نذكر **كاسباروف ، فيشر ، لاسكر ، ماغنوس كارلسن و كاربوف** ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**شاتوراجا**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الشطرنج لعبة ترفيهية كغيرها ، فلا تبالغ بمديحها ..

بل أن نقول :

= الشطرنج مدرسة بحالها .. أستاذ فلسفة و تخطيط .. معلم فنان يلقنك دروس الحياة بصبر و متعة بآنٍ معاً ، و هو خير جليس رفقة الكتاب لأطفالنا فلا تبخلوا بهما عليهم

يقول **المهاتما غاندي** الذي عرف ببغضه للعنف و الحروب و محبته للسلام و الذي نجح بإنهاء الاحتلال البريطاني لوطنه الهند مهد لعبة الشطرنج عن طريق الاحتجاجات السلمية فقط لا غير :

(أنا أكره الشطرنج ، لأنني لا أؤمن بلعبة يموت فيها الجميع كي يحيا الملك)

و بالطبع غاندي محق فلسفياً ، لكن ذلك لا يبخس الشطرنج حقه و يقلل من فوائده الجمة ..

و نجد الأديب **توبا بيتا** يرد على المهاتما فيقول :

(الحياة أكثر من لعبة شطرنج، فعلى الرغم من وفاة الملك؛ فإن الحياة تستمر!)

و لعل هاتين الحكمتين هما أجمل الحكم التي تنطق بها رقعة الشطرنج :

لا تجعل نفسك بيدقاً بيد أحد ، بل كن أنت ملك نفسك ،
و الحياة لا تتوقف عند أحد مهما كانت قيمته بالنسبة
لك .. الحياة تستمر ..

مغالطة ترويض النفس

(فريد الغيّالي)

= كيف قضيت أمسيتك يا صديقي ؟

= شاهدت برنامجاً وثائقياً مذهلاً ..

= عما يتحدث ؟!

= عن سبر أغوار النفس البشرية و اكتشاف الإنسان لخفاياه النفسية كي يتحكم بها و يقودها بدلاً من أن تقوده هي ..

= يبدو برنامجاً شيّقاً ..

= بالفعل هو كذلك .. و أجمل شيء فيه هو بدايته ، فقد شرع يتحدث عن شيء لا علاقة واضحة له بالتحليل النفسي مما أثار حفيظتي ..

= و ما هو هذا الشيء ؟

= تحدث لعشر دقائق عن **بئر الكولا** ..

= بئر الكولا ، يا له من اسم غريب !!

= تماماً هذا ما لفت انتباهي و جذبني لاستكمال مشاهدة البرنامج ..

= و ما هو هذا البئر ؟

= بئر الكولا مشروع علمي أجري في الاتحاد السوفيتي لاستكشاف قشرة الأرض وهي أعمق بئر استكشافية في العالم .. و قد بدأ الحفر عام **1970** و توقف عام **1989** مخلفاً ثقباً عمقه أكثر من **12** ألف متر أي أنه

أعمق من **خندق ماريانا** في المحيط الهادئ و الذي يعتبر أعمق نقطة طبيعية على سطح الكوكب ..

= مذهل !! لكن ما علاقة ذلك البئر بجوهر البرنامج ؟

= تماماً ، هذا هو السؤال ، فقد انتقل المخرج بعبقرية من فكرة محاولات البشر لسبر أغوار كوكب الأرض عبر هذا البئر إلى محاولاتهم سبر أغوار النفس البشرية و اكتشاف أسرارها ليتابع الحديث بعد ذلك عن التحليل النفسي بإسهاب تحت عنوان **بئر فرويد**..

= حركة ذكية بالفعل .. لقد شوقتني لمتابعة هذا البرنامج بنفسي ..

*****

النفس البشرية الأمارة بالسوء ، ذلك **الحصان البرّي الجامح** الذي يسعى الإنسان جاهداً خلال حياته إلى ترويضه حتى يصبح مطواعاً يلتزم بتوجيهاته فيقوده هو بدلاً من أن يقوده ذلك الحصان إلى الهاوية .. فهل هذا أمر قابل للتنفيذ عملياً ، أم إن الإنسان عاجز عن ترويض نفسه كلياً إذ يحكمها لاوعي مسيطر علينا على نحوٍ مبهم كما يشاع بين الناس ؟

في الواقع الإنسان بالفعل قادر على تهذيب نفسه و ترويضها لتصبح كالعجينة بين يديه فيشكلها كما يشاء، و فكرة عجزنا عن تدجين اللاوعي في حياتنا هي مجرد مغالطة جديدة تنضم إلى عائلة مغالطاتنا .. و لإثبات بطلان هذه المغالطة سنستعين بأشهر خيّال محترف في تاريخ علم النفس ، و هو عالم النفس النمساوي **سيجموند فرويد** الذي روّض حصان النفس البشرية الجامح من خلال نظرياته النفسية العظيمة التي تركها وراءه كإرث هام للبشرية ، ليكون بلا شك عرّاب مغالطتنا الجديدة (**ترويض النفس**) التي سنقوم خلالها بتحليل خفايا النفس البشرية و سبر أغوارها كبئر الكولا حتى نصل إلى أعماق الحقيقة المنشودة فنحكم قبضتنا على لاوعينا .. و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا من **5** زوايا شيقة و هامة للغاية :

① نظرية الثالوث المتصارع ..

② دفاعات الأنا النفسية ..

③ تأثير الجنس على النفس ..

④ التلاعب النفسي الاجتماعي ..

⑤ أشهر اضطرابات الشخصية ..

فهيا بنا عزيزي القارئ في مغامرة شيقة لترويض حصان النفس البشرية البرية الجامح ..

① نظرية الثالوث المتصارع :

تقول هذه النظرية بوجود صراع دائم بين **3** عناصر في أعماق النفس البشرية التي تشبه بنية الجبل الجليدي تماماً :

- **الأنا :** و هي الجزء الطافي من الجبل الجليدي و يشكل تصرفات الإنسان اليومية الظاهرة للآخرين
- **الأنا العليا :** و هي الجزء الأكبر من الجبل الجليدي تحت المياه ، و تمثل الأخلاق و المبادئ السامية و تحمي الأنا من الضياع (**النور**) ..
- **الهوَ:** و هو الجزء المظلم الأعمق من الجبل الجليدي و يمثل الوحش القابع في أعماق الإنسان و يجسّد الغرائز و الرغبات الشاذة الدفينة ، و يعمل على ضعضعة الأنا و ضياعها (**الظلام**) ..

فإن انتصرت الأنا العليا على الهوَ في صراعهما على التأثير على الأنا ظهر النصف الأبيض المشرق من الإنسان المتمثل بالمبادئ السامية و الأخلاق الرفيعة ، و

إن انتصر الهوَ على الأنا العليا ظهر النصف الأسود المظلم منه فتاه الإنسان في ظلام الخطايا ..

لذا على الإنسان في حياته اليومية أن يستشعر هذا الصراع فيصغي إلى أناه العليا و يصم أذنيه عن إغواءات الهو في حرب طويلة بلا أسلحة أو ضحايا ستمتد على مدى حياته أقرب ما تكون على نحو غريب إلى حرب **335** عاماً الشهيرة بين **هولندا** و **جزر سيلي** الواقعة في الجنوب الغربي من شاطئ **المملكة المتحدة**، و التي لم تطلق فيها النيران أبداً مما جعلها أطول حرب في التاريخ وأقلها خسائر في الأرواح ، و فهم طبيعة هذا الصراع هو أول خطوة على درب ترويض النفس البشرية مما يقودنا إلى البند الثاني..

② دفاعات الأنا النفسية :

دفاعات الأنا إن جاز التعبير هي **تحايلات نفسية** يقوم بها الإنسان باللاوعي لخلق توازن نفسي في أعماقه و التي ستدهشك بلا شك عزيزي القارئ ، فلا ريب أنك تستخدمها يومياً في حياتك الشخصية و المهنية دون أن تدرك ذلك :

❁ **القمع** (**الكبت**) : محاولة دفن أو إخفاء الأحاسيس أو الأفكار المؤلمة من وعي الإنسان ، علماً أنّ هذه الأحاسيس أو الأفكار قد تعود لتطفو مجدداً على السطح

في ظروف معينة بطريقة ما .. و يعتبر الكبت هو الأساس أو القاعدة التي تنبع منها معظم الآليات الدفاعية الأخرى

مثال موضح :

طفل تعرض للتحرش الجنسي في طفولته ، يقوم بكبت هذه التجربة في لا وعيه لكنها قد تتلاعب لاحقاً بعد البلوغ بميوله الجنسية ..

❁ **التماهي** (**التوحد**) : و هو التقارب اللاواعي مع الأشخاص الذين يحملون نفس الأفكار..

مثال موضح :

التعاطف مع الآخرين الذين يشبهوننا في لون البشرة أو الانتماء أو الدين و غيرها و تمييزهم باللاوعي عن الآخرين بالمعاملة ..

❁ **التبرير** : و هو محاولة إيجاد سبب منطقي للسلوكيات أو الدوافع عن طريق اعطائها مبررات أو أسباب مقبولة ..

مثال موضح :

بعد رفض قبوله في الوظيفة الجديدة التي تقدم لها ، قال عبّاس لنفسه : إنها وظيفة تافهة بجميع الأحوال من الأفضل لي ألا أقبل فيها ..

و دفاع الأنا هذا يتقاطع مع المثل الشعبي الشهير :

(من لا يطول العنب يقول عنه حامض)

❁ **الكبح** : حيث يتم إيقاف المشاعر و الامتناع عن التعبير عنها ، لأن هذه المشاعر غير مقبولة اجتماعياً ..

مثال موضح :

عندما مرت تلك الفتاة الحسناء المثيرة بالجوار أراد حسّان أن يعاكسها بكلام بذيء لكن وجود الناس من حوله لجم لسانه ..

❁ **النكوص** : وهو العودة إلى المراحل الأولى من النمو النفسي أو البدني حيث تكون المسؤوليات أقل والشعور بالأمان أكبر..

مثال موضح :

بعد أن أخذ الجدّ أحفاده إلى مدينة الملاهي رآه أحد أصدقائه و هو يركب الأرجوحة و يضحك من قلبه كطفل

و قد نسي نفسه للحظات ..

❁ **الإسقاط** : وفيه يتم نسب المشاعر غير المقبولة في داخلنا إلى الغير، كنوع من الراحة النفسية لنا..

مثال موضح :

غضب المدير بشدة من موظفه و اتهمه بالتقصير في عمله و أنه سبب انهيار الشركة فرفده من العمل .. و في الحقيقة المدير هو المقصر في إدارة شركته و يريد إسقاط تقصيره على الموظفين ..

❁ **التكوين العكسي** : وهو التصرف بعكس ما يمليه علينا العقل اللاواعي بشكل مبالغ فيهِ وبصورة مفرطة .

مثال موضح :

راودت شاب أفكار ماجنة بشدة فلجأ إلى الصلاة بكثرة و

بشكل مبالغ به ..

❁ **الاستبطان**: عملية أشبه ما تكون بعملية التحليل النفسي إلا أن الإنسان يجريها على نفسه بنفسه..

مثال موضح :

جلس أحمد مع نفسه يراجع سلوكه في الحفلة كي يفسر سبب تصرفاته الغريبة فيها ..

❁ **التشبه** : تقليد جهة يعتبرها الإنسان مثلاً أعلى بكل شيء ..

مثال موضح :

لجأت لجين إلى تقليد الفنانة ميسون بلباسها و شكلها و طريقة كلامها ..

❁ **التسامي** : وتعد واحدة من أكثر دفاعات الأنا إيجابية حيث يتم فيها التعبير عن الغضب أو التوتر بصورة مقبولة اجتماعياً ..

مثال موضح :

لجأ المراهق الذي يشعر بمشاعر غضب بداخله و نقمة على المجتمع إلى ممارسة رياضة الملاكمة كي يفرغ طاقته هذه بدلاً من إيذاء الآخرين ..

❁ **الفكاهة**: وهو التعبير عن الأفكار أو المشاعر والتي عادة ما تكون ذات طبيعة مؤلمة بصورة دعابة أو سخرية

مثال موضح :

لجوء الشخص الذي تعرّض لضغوط نفسية هائلة في

طفولته إلى السخرية من الآخرين باستمرار ..

❁ **التعويض**: هو محاولة الفرد النجاح في ميدان لتعويض عجزه في ميدان آخر ..

مثال موضح :

بعد فشله في المدرسة لجأ حسّان إلى الانضمام إلى فرقة غنائية لاستغلال موهبته في الغناء ..

❁ **الإيثار**: وهو الخدمة البناءة للآخرين والتي تجلب السعادة والإشباع النفسي لتعويض إثم مستبطن نرتكبه.

مثال موضح :

قيام زعيم المافيا بإنشاء جمعية خيرية لمساعدة الفقراء

❁ **التثبيت**: هو توقف نمو الشخصية عند مرحلة من النمو..

مثال موضح :

رغم بلوغ بلال عامه العشرين ، لا يزال والداه يساعدانه على إنجاز مهامه اليومية ..

❁ **العدوان المنفعل** : رد الفعل على فعل سلبي بطريقة غير مباشرة ..

مثال موضح :

لجأ الموظف الذي وبخه مديره بالأمس بشدة إلى التأخر عن دوامه في صباح اليوم التالي كرد فعل على توبيخه

❁ **الإنكار** : التعامل مع الأمور السيئة التي تحدث و كأنها لم تحدث ..

مثال موضح :

بعد وفاة زوجته المفاجئة بحادث سير ، تابع الزوج روتينه اليومي كالمعتاد و شعر الآخرون بأنه يتجاهل وفاة زوجته ، لكنه في الحقيقة يحاول إنكار موتها ..

❁ **أحلام اليقظة**: اللجوء إلى عالم الحلم و الخيال لعيش واقع غير ممكن حالياً ..

مثال موضح :

كانت سيلين تسرح بخيالها باستمرار عن زوجها المستقبلي الذي سيؤمن لها كل شيء تحبه .. فترسم

تفاصيل السنوات القادمة بإسهاب و كأنها ستحدث بشكل مؤكد !!

❁ **الإزاحة** : تكوين رد فعل تجاه جهة ما ضد جهة أخرى.

مثال موضح :

قام الموظف الذي وبخه مديره في العمل بتوبيخ زوجته في المنزل دون سبب .. أي أنه أزاح غضبه من مديره إلى زوجته ..

❁ **الانقسام** : تقسيم كل شيء في الحياة إلى نقيضين

مثال موضح :

بعد خروجها من المشفى قالت بتول بأن جميع الأطباء هناك سيئون و جميع الممرضين جيدون ..

هذه هي أشهر دفاعات الأنا النفسية ، و لا شك عزيزي القارئ أنك أصبحت الآن متمرساً في فهم أفعالك أو أفعال الآخرين غير الواعية بتحليلها نفسياً ، فإن عاد زوجك من العمل عزيزتي القارئة و صرخ في وجهك بدون سبب يمكنك ببساطة أن تفهمي أنه تعرض للتوبيخ من قبل مديره في العمل أو شخص آخر خارج المنزل و يقوم بإزاحة مشاعره لا أكثر .. لذا امتصّي غضبه و ساعديه على التفريج عن مشاعره السلبية كي يرتاح بشكل واعٍ.

③ تأثير الجنس على النفس :

إنّ الغريزة الجنسية تؤثّر على مشاعرنا و أفكارنا و

أفعالنا باللاوعي ، و هذه النظرية تبناها فرويد كأول شخص و آمن بها ، إذ يقول فرويد بأن الغريزة الجنسية التي تبدأ براعمها بالتفتح عند الطفل بين عمر **3** و **5** سنوات بظهور **عقدة أوديب** عند الذكر (انجذابه لأمه) و **عقدة إلكترا** عند الأنثى (انجذابها لأبيها) سترسم ملامح الحياة المستقبلية للطفل في كافة نواحيها .. و يقول فرويد أنّ انجذابنا لمهن محددة أو هوايات معينة أو أشخاص دون سواهم بل إلى أماكن دون غيرها يعود كله إلى جذور جنسية في طفولتنا .. و يؤمن فرويد أن **الجنس** يتحكم بتفاصيل حياة الإنسان كلها ، في حين نجد تلميذه **آدلر** يخالفه الرأي في هذه النقطة و يقول بأنّ **عقد النقص** هي من يتحكم بحيوات البشر ..

و من وجهة نظر شخصية متواضعة فأنا أميل لتأييد فرويد أكثر ، بل أزيد على كلامه بأن **الكون برمته مخلوق وفق نظرية جنسية** .. فالجنس في الحياة مقدس سماوياً كونه الوسيلة التي يأتي بها البشر إلى هذه الحياة .. لذا لا عجب أن نجده في كل شيء من حولنا في الطبيعة ، فالجبل يشبه العضو الذكري و الوادي يشبه العضو الأنثوي ، و الشمس المانحة تعبر عن الذكر و القمر المستقبل يعبر عن الأنثى ، و الغيوم المعطاءة تمثل الذكر أيضاً و الأرض المتلقية تمثل الأنثى و هكذا .. فالجنس باختصار يحكم حيوات البشر باللاوعي بالفعل !!

④ التلاعب النفسي الاجتماعي :

هو نوع من التأثير على الجماعة يهدف إلى تغيير أفكار أو سلوك الآخرين من خلال تكتيكات مسيئة أو خادعة أو خفية لتحقيق غايات الشخص المتحكم وغالباً على حساب الآخرين .. لذا يمكن اعتبار مثل هذه الأساليب استغلالية و ملتوية تتعامل مع البشر كأحجار على رقعة شطرنج تحركها كما تشاء لتحقيق غاياتها ..

لكن من العدل أن ننوه إلى أنّ تأثيرات التلاعب النفسي الاجتماعية ليست سلبية دائماً ، كأن يحاول الطبيب إقناع المرضى بتغيير العادات غير الصحية بحيل نفسية ، و بالمجمل يمكن اعتبار التأثير الاجتماعي للتلاعب النفسي غير مؤذٍ بشكل عام في حال احترامه لحق الشخص المتلاعب به في القبول أو الرفض و تجنب الأساليب التعسّفية التي تفرض عليه ، و يشيع التلاعب النفسي في

السياسة و **الإعلان** بشكل خاص ، حيث تلجأ جهات معينة إلى التلاعب بنفوس الجمهور من خلال حيل نفسية معينة كحال المرشح السياسي الذي يُشعر الناس بأن مصيرهم الضياع إذا لم ينتخبوه و أنّ أبواب الجنان و النعيم ستفتح أمامهم إن انتخبوه.. أو الشركة التي تروّج لحبوب تنحيف الوزن فتظهر فتاة بدينة للغاية تحولت إلى نحيلة بعد استخدام الحبوب علماً أن هذه الفتاة كانت بدينة تنكرياً فحسب !!

⑤ أشهر اضطرابات الشخصية :

اضطرابات الشخصية شائعة للغاية في البشر من حولنا ، و إن تعرفنا عليها أكثر بتنا قادرين على تمييزها في الناس الذين نحتك بهم مما يساعدنا على تنظيم علاقتنا بهم على نحو أعمق و أفضل .. و أشهر هذه الاضطرابات هي :

❁ **الشخصية الفصامانية** : و تتميز بالانسحاب الاجتماعي الإرادي و قلة التعبير العاطفي ..

❁ **الشخصية فصامية النمط** : و تتميز بالمظهر غير الطبيعي من حيث اللبس و الحركات مع وجود أفكار سحرية و غريبة و كثيراً ما ترتبط بالفضائيين و الماورائيات ..

❁ **الشخصية المعادية للمجتمع** : و تتميز باحتقار حقوق الآخرين و خرق الأعراف و التقاليد مع ميول إجرامية كثيراً ما يتم التعبير عنها بحرق المرافق العامة و أذية الحيوانات ..

❁ **الشخصية الحدية** : و تتميز بعلاقات اجتماعية مؤقتة مع إيذاء الذات و الميول الانتحارية و أيضاً الفراغ العاطفي .. يميل هؤلاء إلى الحدية في قناعاتهم و مواقفهم، فالأشخاص و الأشياء عندهم إما أبيض أو أسود و تغيب الألوان و تدرجاتها من قاموسهم ..

❁ **الشخصية الهستريائية** : و تتميز بالسعي لكسب التعاطف و الاهتمام كالتظاهر بالمرض و استخدام الكلام الدرامي الذي يستدر التعاطف ، إضافةً إلى الأفعال المسرحية كالتظاهر بالإغماء ..

❁ **الشخصية النرجسية** : و تتميز بالشعور العظمة و تكثر من تمجيد الذات و الإطراء على الإنجازات الشخصية ، كما أنها مغرمة بمديح الآخرين لها و تكره النقد كثيراً ، و مفعمة بالغيرة من الآخرين و إنجازاتهم.

❁ **الشخصية التجنبية** : و تتميز بالانسحاب الاجتماعي بسبب الخوف من النقد أو الرفض من قبل الآخرين رغم الرغبة بعيش حياة اجتماعية طبيعية ..

❁ **الشخصية الوسواسية القسرية**: و تتميز بالسعي للكمال و السيطرة على كل شيء و التحكم بالآخرين ، و قد تعاني من بعض الأعراض الوسواسية القسرية فتهتم مثلاً بترتيب الأشياء بنمط معين أو غير ذلك ..

❁ **الشخصية الاعتمادية** : و تتميز بضعف الثقة بالنفس و الحاجة الدائمة للدعم من قبل الآخرين ..

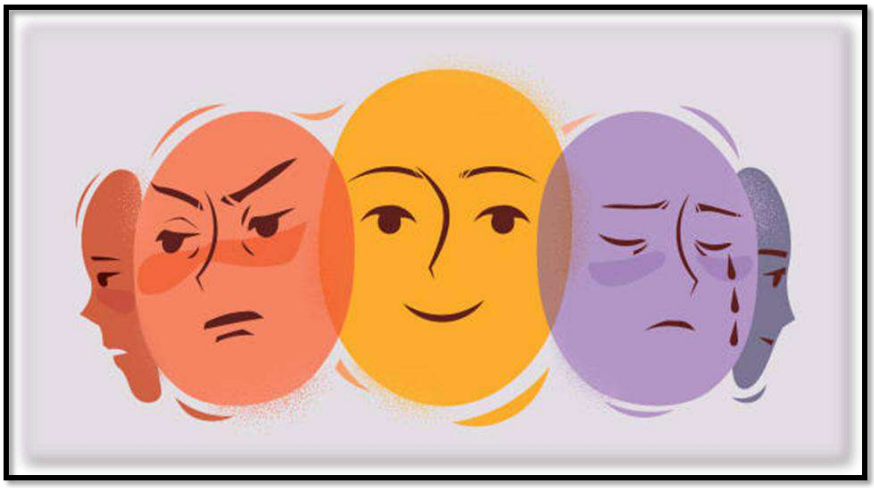

و بالمحصلة عزيزي القارئ احترس مما يجري داخلك من صراع بين عناصر الثالوث (**الأنا و الأنا العليا و الهو**) ، و مما يحدث كتفاعل بينك و بين المحيط عبر دفاعات الأنا التي يستخدمها لاوعيك ، و من تأثير غريزتك الجنسية على سلوكك و حياتك بالمجمل ، و من تلاعب الآخرين نفسياً بك لاستغلالك و استنزاف طاقتك لأجلهم .. و أخيراً من الناس الذين يعانون من اضطرابات شخصية في محيطك كي تتجنب أذاهم..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**ترويض النفس**) ،من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= النفس الأمارة بالسوء تحكمني و تقودني ، و لا سبيل أمامي للسيطرة عليها ..

بل أن نقول :

= للنفس خفايا و أعماق جلّاها علم النفس ، و بإمكاننا ببساطة إن اطلعنا قليلاً على آليه تحكّم اللاوعي بنا أن نروّض أنفسنا و نقودنا و ليس العكس ، و لنا في الخيّال فرويد عرّاب التحليل النفسي أسوة حسنة في هذا المجال

و أتركك يا صديقي أخيراً مع هذه **الحيل النفسية البسيطة** التي تعبد طريقك إلى قلوب الآخرين فتكتسب محبتهم و ثقتهم بطريقة أشبه بالسحر :

① **الاقتران العيني** : عندما تتحدث مع شخص ما ثبت نظرك على عينيه .. و في الحقيقة قام العلماء بالقيام بتجربة بسيطة بوضع شخصين من جنسين مختلفين في غرفة و جعلوهم يتكلمون مع بعضهما لبعض الوقت و طلبوا منهما التركيز على عيون الشريك الاخر ، و كانت النتيجة أن **80** % منهم وقعوا في حبّ بعضهم !!

② **نظرية المرآة** : وهي أن تقوم بتقليد حركات معينة

يعتمدها الطرف الآخر كحركات اليد او النقر بالأصابع أي احفظ حركات هذا الشخص و قم باستخدامها ، هذا سيجعل عقله اللاواعي أو الباطن يظن أنك تشبهه فيشعر بالتماهي و الانسجام معك ، لأن الناس بشكل عام تكره من يختلف عنهم و يشعرون بالتهديد منه ..

③ **الابتسامة الثابتة** : فالابتسامة تذيب الجليد بينك و بين الآخرين و تعطي عنك انطباعاً بأنك لطيف و مسالم و تمنح الآخرين شعوراً بالراحة و الإيجابية و تزرع محبتك في قلوبهم ..

④ **نظرية الحضن الدافئ** : عليك إشعار الطرف الآخر أنك ملاذ آمن له يدعمه في ضعفه و يتفهم شكواه ، و ذلك بالإصغاء الجيد له و تكرار الإيماءة برأسك أثناء حديثه و استعمال عبارة (**أنا أفهمك**) من حين لآخر و استخدام لغة الجسد المعزّزة كالربت على كتفه مثلاً .. و بالطبع الإطراء عليه من آونة لأخرى ..

⑤ **نظرية البئر العميق** : بدأنا مغالطتنا ببئر الكولا العميق و نخمها ببئر عميق آخر ، و هذه النظرية تنص على قيامك بالبوح ببعض أسرارك غير الحساسة للطرف الآخر ، فذلك يشعره بأنه مهم بالنسبة لك ، و بأنك تعتبره مصدر ثقة مما يزيد ثقته بك بشكل انعكاسي و يعتبرك بئر أسراره فتتفاقم محبته لك ..

أنجز هذا الخماسي بإتقان و أنا أضمن لك اكتساب محبة أي شخص من حولك خلال فترة قياسية ..!!

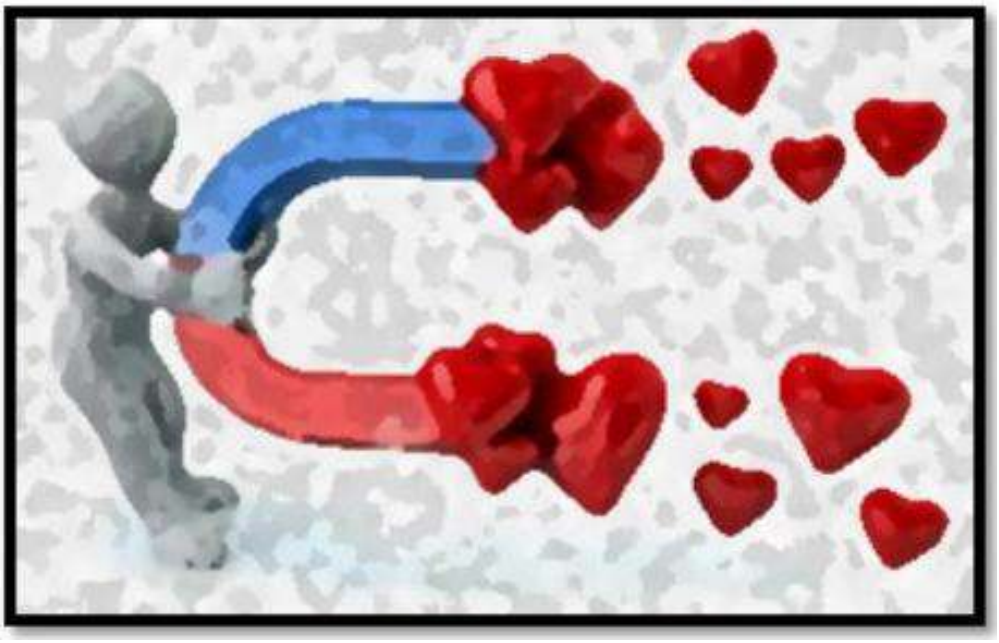

مغالطة أكثر

من مكّار

(ولي فيها مآرب أخرى)

= الحمد لله على سلامتك يا صديقي ..

= أشكرك على الزيارة و الاطمئنان ..

= و كيف كسرت ساقك ؟

= تعرضت لحادث سير بينما كنت أقود دراجتي النارية

أشار الصديق بيده إلى الرواق خارج غرفة المشفى و قال بضيق ..

= الأصوات في الخارج مزعجة للغاية .. سأغلق الباب إن كنت لا تمانع ..

= لا أمانع بالطبع .. لكن لا داعي لأن تنهض من مكانك .. أنا سأغلقه ..

ابتسم الصديق ..

= أظن أن ساقك المكسورة لديها أقوال أخرى !!

= صحيح .. لكن الكلمة الفصل هي لعكازي لا لساقي أمسك المريض عكازه ثم مده و أغلق به الباب و هو يبتسم ..

قال الصديق ضاحكاً ..

= لقد ذكرتني بعصا النبي موسى ، فقد كان له فيها مآرب أخرى ، كحالك تماماً ..

= محق .. لكنني أظنه يبالغ في كلامه قليلاً.. ما الذي يمكن لعصا أن تفعله .. مجرد جماد نحيل أصم و أجرد

= أخالفك الرأي تماماً .. فللعصا استخدامات لا حصر لها .. لذا لم تكن الجماد الوحيد الذي ذكر في القرآن عن عبث

= لقد ذكر قميص يوسف أيضاً !!

= أجل لكنه من صنع الإنسان .. أنا أقصد الجماد الذي نستخدمه من الطبيعة كما هو بعيداً عن الجبال و البحار و الصخور التي تكون الأرض بطبيعتها ..

= و ماذا يمكن للعصا أن تفيد بعيداً عن التعكز عليها ؟!

= تعال لنكسر روتين المشفى الممل و نتحدث قليلاً عن العصا السحرية العجيبة التي ميزها القرآن عن كل شيء آخر ..

*****

يقول النبي موسى في الذكر الحكيم مخاطباً البارئ :

(هي عصاي أتوكأ عليها و أهش بها على غنمي و لي فيها مآرب أخرى)

فما الذي يمكن للعصا أن تفعله على أرض الواقع ؟ و هل كلام صديقنا المريض عنها بأنها جماد نحيل أصم و أجرد لا غير صحيح أم أنه مغالطة شائعة بين الناس بشكل ظالم للعصا و مجحف بحق قواها السحرية ؟

للإجابة على هذا السؤال سنحاول رؤية العصا من منظور آخر غير مادي .. **منظور فلسفي** .. بما يمكن للعصا أن تختزله من معانٍ عميقة و كنايات و توريات و غيرها ..

فهيا بنا عزيزي القارئ في هذه المهمة العميقة و الطريفة والشيقة لنضرب بحر المعرفة بعصانا فنشقه نصفين، المغالطات من جهة و الحقيقة المجردة من جهة ثانية ..

① العكاز :

الفائدة الأشيع للعصا كما هو معروف هي التوكؤ عليها كعكاز يعيننا عندما نمرض أو تعصف بنا رياح الشيخوخة ..

لكن تذكر عزيزي القارئ أن العكاز فكرة فلسفية قبل أن تكون مادية فهو يرمز إلى السند الذي نعتمد عليه في

صراعنا مع مصاعب الحياة .. و غالباً ما يلجأ البشر إلى سند مادي كالعكاز نفسه أو بشري كشخص أو معنوي كفكرة .. لكن هذا السند المادي مجرد سراب سيتلاشى عندما تتغير الظروف من حوله ، فالشي يكسر و الإنسان يهجر و الفكرة تخسر ، أما العكاز و السند الحقيقي الذي لن يخذلك أبداً فهو البارئ تعالى ، الذي يترفع عن تلك الصفات السلبية و الانهزامية .. و من وضع ثقته في الله ما خاب أبداً .. و من وضعها في غيره خسر لا محالة .. و خير تجسيد لذلك هو عصا النبي موسى التي تجسد **العكاز الإلهي** الذي يذلل الصعاب و يجترح المعجزات كأن يتحول إلى أفعى حقيقية أو يشق البحر أو يفجر الينابيع و غيره .. أما أي عكاز آخر فما هو إلا سراب الواهمين كسحرة فرعون و جيشه و سيتم التهام خرافاتهم كلها بعصا الحقيقة و المعرفة .. فيكون أول تشبيه فلسفي للعصا لدينا هو (**السماء**) التي لن تخذلك إن تعكزت عليها و اعتمدت عليها دوناً عن أي شيء آخر من بشر أو جماد أو أفكار ..

② عصا التأديب :

يقول المثلى الشعبي : (**العصا لمن عصى**) و أيضاً : (**العصا من الجنة**) .. و إذا وضعنا هذه الأمثال إلى جانب قصة أبي البشر و أول الأنبياء آدم مع أمنا حواء في الآية القرآنية الكريمة :

(و عصى آدم ربه فغوى)

نجد أن عصيان آدم و حواء لوصية الإله أخرجتهما من الجنة ،و هذه هي الخطيئة ذاتها التي أصابت الزيتونة شجرة السماء في الكون الأكبر ذات يوم عندما فقدت النعم من حولها قيمتها في عينيها فبطرت بها و دفعت الثمن.. و من هنا نجد أن العصا ليست مرادفاً للتوبيخ بالضرب .. بل كناية عن الصرامة و الحزم عند الخطأ ، فالبارئ لم يعنف آدم و حواء جسدياً رغم اقترافهما لمعصية لا مثيل لها ، و هي عصيان أمر خالقهما .. بل لجأ إلى العقوبة المناسبة التي تصحح العيب النفسي فيهما الذي قادهما إلى الخطيئة و المعصية و هذه العقوبة هي الخروج من الجنة و الهبوط إلى الأرض ، حيث سيعانيان هناك من الحاجة و الحرمان و الخوف و القلق و غيرها

من المشاعر السلبية التي لم يعرفاها في الجنة ، و كل ذلك سيجعلهما يقدران بحق قيمة الجنان و نعم الله فيها ..

و في نفس السياق نجد الشاعر العبقري المتنبي ينشد :

لا تشترِ العبد إلا و العصا معه

إنّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد

من علّم الأسود المخصيّ مكرمةً

أقومه البيض أم آباؤه الصيد

و هنا نجد كناية أخرى للعصا .. فالعبيد ليسوا بشراً مرهونين بلون بشرة محدد بل كانوا من مختلف الأعراق عبر التاريخ ، كذلك كل شخص يترك الله و يتشبث بمغريات الحياة على حسابه هو عبد للدنيا ، و الله سيتعامل بحزم معه كي يفكر أكثر بدار البقاء الآخرة فيهذب أخلاقه و يقدر نعم الله بين يديه .. و بذلك تكون العصا رمزاً **للتأديب و العقاب المناسب** ..

③ عصا الراعي :

كثيراً ما يعتمد الراعي على عصاه كي يوجه قطيعه نحو الاتجاه الصحيح أو يبعده عن المخاطر ، أو يهش بها على الأشجار كي تتساقط أوراقها كغذاء للأغنام ..

و فلسفياً عصا الراعي هي تجسيد لمنهجية الحاكم في

توجيه بلاده و قيادتها لحمايتها و تأمين متطلباتها فالعصا المستقيمة تكون بيد الحاكم العادل ، و العصا المعوجة تكون بيد الحاكم الظالم ..

④ عصا الأعمى :

من الأمور المادية التي ترمز إلى الشخص الأعمى هي النظارات السوداء التي تشير إلى الرؤية العاتمة أي أنه لا يرى أمامه ، و العصا البيضاء التي تشير إلى النور الذي يضيء له الطريق ..

فالعصا هنا ليست للتوكؤ ، بل رمز موجه للناس المحيطين يدلهم على أن حاملها شخص أعمى كي يفسحوا له المجال أو يساعدوه إن احتاج .. و كأنّ شعاع الضوء الأبيض جُسّد مادياً على هيئة عصا تنير الدرب أمام الشخص الأعمى ..

و في الميثولوجيا الإغريقية ذكر لعصا الأعمى في أسطورة شيقة تقول أنه أثناء سير شخصية إغريقية اسمها تيريسياس عبر الجبال ذات يوم ، وجد ثعبانين في حالة تزاوج فأراد فصلهما لذا ضرب الأنثى بعصاه و قتلها .. فغضبت منه الآلهة بسبب فعلته و غيرت جنسه إلى أنثى ، ثم عاش تيريسياس هكذا لمدة **8** سنوات ، ثم في أحد الأيام قابل مجدداً في الجبال ثعبانين آخرين في حالة تزاوج أيضاً لكن هذه المرة كان أكثر حكمة فقام بضرب الذكر وقتله ، فعاد ذكراً مجدداً ..

بعد سنوات ، كانت الآلهة زيوس و زوجته هيرا في نزاع حول أي من الجنسين يجب أن يتحمل مسؤوليات أكبر.. فتم اختيار تيريسياس قاضيا لأنه عاش كرجل وامرأة في حياته ، فقرر تيريسياس أن مسؤوليات المرأة يجب أن تكون أكبر مما أثار حفيظة هيرا فعاقبته بأن جعلته أعمى .. و كتعويض عن ذلك أعطاه زيوس هبة الاستبصار مما جعل تيريسياس أحد أشهر العرافين في الأساطير الإغريقية ..

⑤ عصا الساحر :

من رموز السحر الشهيرة هي عصا السحرة التي يضربون بها على القبعة لتخرج منها الحمائم من العدم كما يظن المتفرجون ..

و في الحقيقة عصا الساحر قديمة للغاية فنجدها أيضاً في أساطير الإغريق حيث ذكرها الشاعر الشهير **هوميروس**

في ملاحمه ، ففي **الإلياذة** ذكر أن **هيرميز** استخدم بشكل عام **عصاه السحرية كاديوس** ليجعل الناس ينامون ويستيقظون .. و في **الأوديسة** ذكر أنّ **أثينا** استخدمت عصاها السحرية لتجعل **أوديسيوس** كهلاً ثم شاباً مرة أخرى وأن **سيرس** استخدمت عصاها السحرية لتحويل رجال أوديسيوس إلى خنازير ..

و في الواقع العصا السحرية هي تجسيد لمعجزات الآلهة و السماء التي تفرق بين الخالق و المخلوق ، **فعصا الخالق يمكنها ليّ قوانين الطبيعة أما عصا المخلوق فتبقى عصا لا تقدم و لا تؤخر** .. لذا يحاول السحرة من خلال عصاهم أن يوهموا الناس بأنهم قادرون على اجتراح المعجزات كالسماء ، و هذا غير صحيح كما وضحنا في مغالطة سحرية سابقة !!

⑥ السلاح :

يمكن للعصا أن تستخدم كسلاح بيد الإنسان ، كرمح المقاتل أو عصا محارب الكونغ فو أو عصا الشرطة .. و العصا هنا كناية عن **الدفاع عن النفس و تقويم اعوجاج الظلم الذي يطال الإنسان** ..

⑦ عصا الخيمة :

كي تنصب الخيمة بشكل صحيح و لا تهبط على الرؤوس يجب وضع عصا محورية في مركزها كي ترفعها و توازنها .. و هنا يرمز لهذه العصا **بعمود الخيمة** و هو كناية عن الشيء أو الشخص المحوري الذي يحقق التوازن في موقع معين فإن كسر تهدم كل شيء فوق رؤوس الناس المحيطين ، كما هو حال ربّ الأسرة مثلاً

⑧ عصا السياسة : للعصا استخدامات رمزية كثيرة في السياسية نذكر منها :

- **سياسة العصا و الجزرة :** أي سياسة الترغيب و الترهيب ، فإن أطعت تنعمت و إن عصيت عوقبت
- **امساك العصا من المنتصف** : و تشير إلى الالتقاء في المنتصف و التوازن بين أطراف الحوار ، أو موازنة

السلبيات و الإيجابيات في شخص أو مجموعة أو فكرة ما ..

- **سياسة العصا الغليظة** : أي استخدام القوة المفرطة و خاصة العسكرية لفرض الأمر الواقع و إن كان ظالماً ..

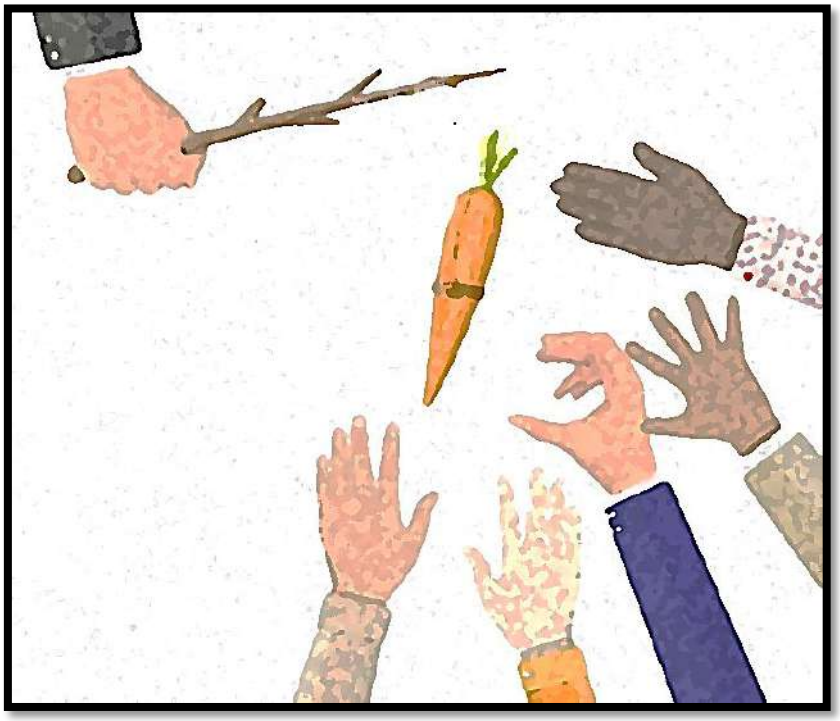

⑨ **عصا الطب** : نجد العصا كذلك في شعار الطب و الصيدلة كعصا تلتف حولها أفعى .. و في الحقيقة هذه العصا كناية عن أسطورة إغريقية أخرى تدعى **أسكليبيوس** الذي خرج يبحث عن العشبة التي تعيد الحياة للموتى مخالفاً بذلك القوانين التي وضعت من قبل الآلهة الثلاثة الكبار (زيوس وبوسيدون وهاديس) بأنّ الموتى لا يعودون إلا بأمر إله الموت هاديس و الذي كان لا يسمح بذلك .. لكن أسكليبيوس سافر باحثاً عن تلك العشبة وفي سفره كان يتكأ على العصا، التي هي رمز للسفر

بحثاً عن المعرفة، وفي الطريق تراءى له ثعبان ميت و رأى ثعبان آخر يخرج و في فمه عشبة وضعها في فم الثعبان الميت فعادت إليه الحياة وبذلك أصبح أسكليبيوس يعرف سر إعادة الحياة بسبب ذلك الثعبان و عشبته الذي صار رمزاً للطب و الصيدلة مع العصا .. و أسكليبيوس هو إله الشفاء عند الإغريق ..

⑩ **عصا الموسيقى** : العصا هي ناظمة الإيقاع في الأوركسترا الموسيقية ، فنجد قائدها يحملها بيده و يوجه العازفين بتكنيك معين ، كذلك نجد العصا كأداة موسيقية في آلات كثيرة .. و هي هنا كناية عن اتحاد الجميع في عزف واحد متناغم يطرب الآذان ، فبدونها سنجد النشاز و الخروج عن الإيقاع ..

⑪ **عصا الحرف و الرقم** : في علم الأرقام و الأحرف تمثل العصا بداية كل شيء فهي أول الأرقام **1** و أول الأحرف الألف آ.. و هذا بحد ذاته تكريم سماوي لهذا الرمز العظيم كما كرّم في القرآن تماماً ..

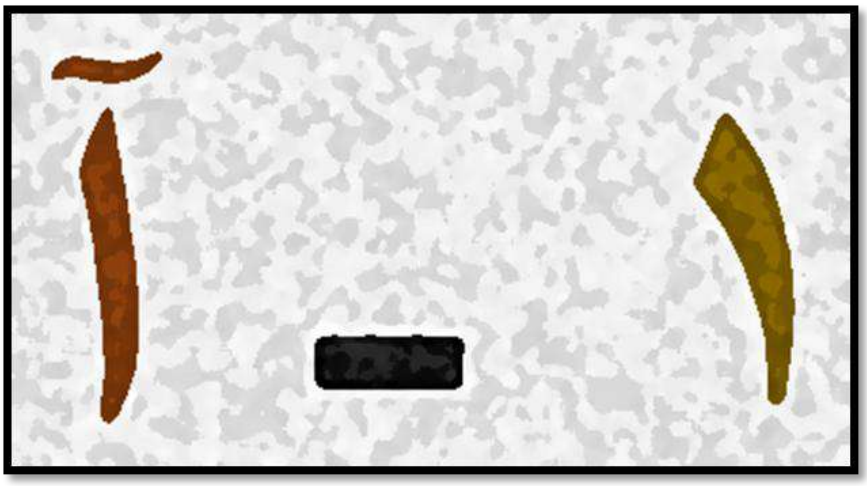

⑫ **عصا السارية** : سارية العلم هي عصا بحد ذاتها و كأنها تقول لنا حكمة عميقة للغاية :(**تتغير الانتماءات و الأعلام و تبقى السارية واحدة لا تتغير ، كذلك تتغير الأعراق و الأديان و يبقى الإنسان واحداً في كل مكان)**

⑬ **عصا التوازن** : عندما يسير لاعب السيرك على حبل رفيع على ارتفاع كبير فوق الأرض ، فإنه يمسك بعصا من منتصفها في سبيل تحقيق التوازن بتجميع الثقل في مركز واحد .. و هذا ما لجأ إليه الفرنسي الشهير **فيليب بوتي** عندما مشى على سلك معدني رفيع بين برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك على ارتفاع **400** متر .. **و في ذلك إشارة فلسفية إلى ضرورة تركيز طاقتنا و إمكانياتنا على عمل واحد كي ننجزه و نتمه ، لأن تشتيت الانتباه و التفكير يعني اختلال التوازن و السقوط و الفشل ..**

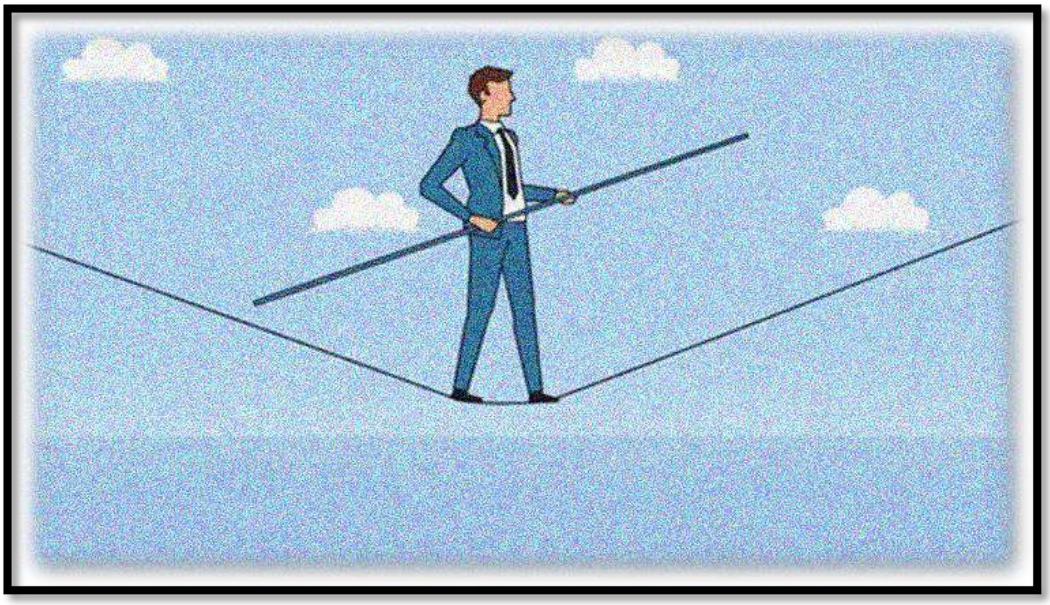

⑭ **عصا البناء** : في مناطق كثيرة من العالم تعتبر عيدان الخيزران حجر الأساس في البناء .. فتصطف إلى جوار بعضها لتكون سقفاً يعيش البشر تحته .. و في هذا كناية جديدة عن **قوة الاتحاد و الجماعة** ، فعود وحيد كما

نعلم جميعاً يكسر بسهولة أما اجتماعها معاً يخلق منزلاً فريداً يواجه أعتى الزلازل و الأعاصير !!

و بخلاصة ما سبق نجد أن العصا في حياة البشر أكثر من مجرّد عود نحيل أجرد .. إنها كناية عن أمور أعمق بكثير تخوّلها أن تكون **الجماد الوحيد المذكور في القرآن و ليس من صنع الإنسان أو تكوين الكوكب** .. و ما ذكرناه يعتبر جزءاً صغيراً فقط من الكنايات التي تمثلها العصا و نكتفي به تجنباً للإطالة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**أكثر من عكّاز**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= لماذا كل هذا التهليل للعصا .. عود خشبي أصم ، أجرد و نحيل .. فماذا بإمكانه أن يفعل ؟

بل أن نقول :

= لقد كرم البارئ العصا في القرآن بجعلها الجماد الوحيد المذكور ، كما جعلها أول الأرقام و الأحرف ، و خصّ نبيه موسى بها كأداة إعجازية ، و ذلك لأن العصا بعيداً عن فائدتها المادية ، تمثل كنايات كثيرة عميقة ، فهي **ترمز للسماء التي يتعكز عليها الإنسان المؤمن** ، و هي **رمز للتأديب بالطريقة المناسبة لمن يخالف القوانين** ، كما أنها **رمز لتوجيه القائد لجماعته أو للأوركسترا خاصته نحو الأفضل** ، و هي **شعاع النور الذي ينير الدروب للأعمى** ، و **سلاح للإنسان المستضعف الذي يتعرض للأذى و التنمر كي يدافع بها عن نفسه** ، و هي **إشارة الساحر إلى اجتراح المعجزات** ، و **إشارة الطبيب للعلاج و الشفاء** ، و **باجتماعها معاً تبني صروحاً** تواجه وحشية الطبيعة ، و **في السياسة تعبر عن مفاهيم متنوعة و متشعبة** .. و القائمة تطول و تتسع ..

العصا قوة معنوية قبل أن تكون مادية ، تقارع أعتى القوى و أشرس الأسلحة .. لذا جعلها الله السلاح الوحيد بيد نبيه موسى في وجه فرعون و جيشه المدجج بالسلاح .. و لهذا السبب نصف الإنسان القوي الشجاع بأنه (**عصيّ**) على الانكسار و الهزيمة .. كما يقول الشاعر الكبير **أبو فراس الحمداني** :

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر

لذا كن عزيزي القارئ شجاعاً في مواجهة الحياة كلاعب البيسبول المحترف ، الذي كلما رماه الحساد و الأعداء بكرات الحقد و الأذى و كلما رمته الحياة بالمصاعب و الابتلاءات قذف بكل ذلك بعيداً بعصاه العصية التي يحصّن بها نفسه ..

مغالطة مربع

ساتمر

(نسبية الصواب و الخطأ)

أمسك أستاذ الفلسفة في المدرسة القلم و كتب على اللوح نسبة رياضية و هي **صفر تقسيم صفر** مما أثار دهشة جميع الطلاب الذين يتوقعون درساً فلسفي التوجه ..

= من منكم يعطيني قيمة هذه النسبة يا طلابي الأعزاء.

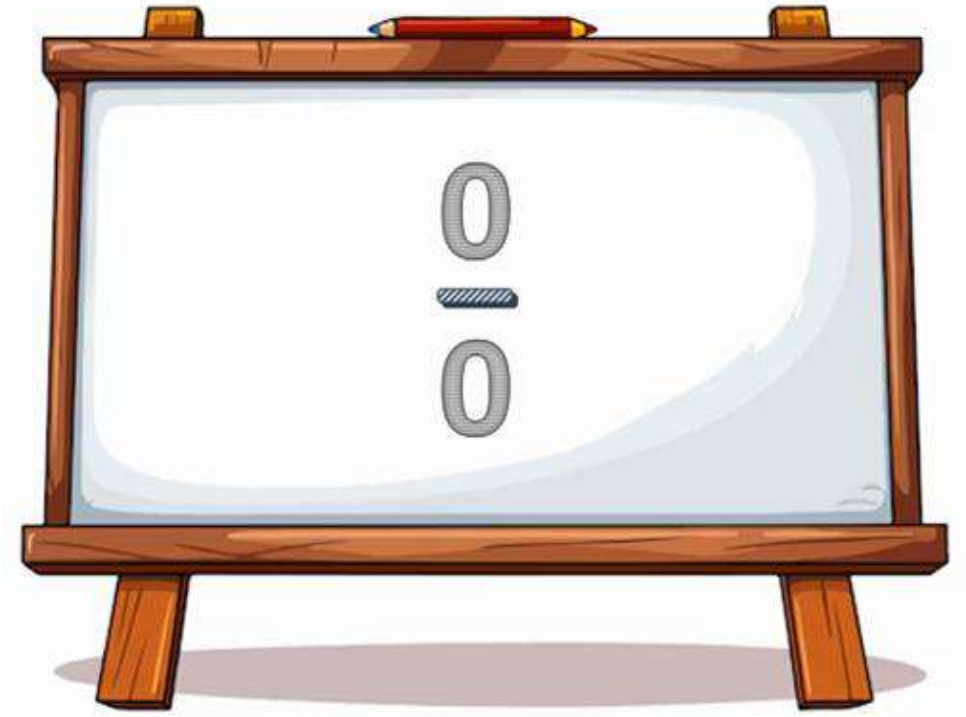

رفع أحمد يده من الصف الأول للمدرّج ..

= أستاذ قيمتها صفر لأن صفر تقسيم أي عدد هو صفر

= أحسنت التحليل يا أحمد ، إذا أردت توزيع سلة تفاح فارغة من التفاح على مجموعة سيحصل كل منهم على لا شيء بالطبع .. هل هنالك إجابات أخرى؟

رفع حسام يده ..

= الجواب لا نهاية يا أستاذ لأن قسمة أي شيء على صفر هو لا نهاية ..

= تحليل منطقي بدورك يا حسام .. من لديه وجهة نظر أخرى ؟

رفعت روان يدها ..

= ربما الجواب هو واحد أستاذ فهو النتيجة الطبيعية لقسمة أي عدد على نفسه ..

= وجهة نظر واقعية يا روان ، هل هنالك أجوبة أخرى يا أصدقائي ؟

لم يرفع أحد يده فقد استنفذت الخيارات كلها ، ابتسم الأستاذ و قال :

= في الحقيقة أجوبتكم كلها صحيحة و خاطئة في نفس الوقت ، بل الأدقّ أن نقول بأن كل جواب منها يبطل الأجوبة الأخرى .. و بالتالي فهذه القسمة معضلة رياضية بلا حل .. فجميع حلولها ممكنة و غير ممكنة في آنٍ معاً .. و هذا ما ينطبق على الحياة بشكل أشمل ، فكل شيء فيها قد يكون صحيحاً من زاوية معينة و خاطئاً بنفس الوقت من زوايا أخرى .. لذا لا تتسرعوا في الحكم على الأشياء و الأحداث بل قوموا بعملية تدوير زوايا لرؤيتها من مختلف وجهات النظر قبل تكوين موقف نهائي منها .. و هذا هو موضوع درس اليوم ، أي نسبية الصواب و الخطأ في الحياة ..

*****

يميل البشر منذ فجر التاريخ إلى التمييز بين **الأفكار و الأقوال و الأفعال** على أنها **صواب أو خطأ** .. و كثيراً ما يؤدي هذا التمييز إلى نشوب خلافات و ربما حروب بل إنّ بشراً كثيرين خسروا حيواتهم وفقاً لهذا التقسيم كحال بعض العلماء من أمثال **جوردان برونو** الذي أحرق حياً بتهمة الهرطقة من قبل الكنيسة لأنه وصف مبادئها العلمية بالخاطئة و تبنى نظريات جديدة .. لذلك فإنّ مفهوم الصح و الخطأ مفهوم حساس و خطير للغاية بسبب اتباع البشر في حياتهم مسلكاً متشدداً قائماً على الاقتناع التام غير القابل للنقض أو التشكيك بصوابية قناعاتهم و بطلان قناعات الآخرين المناقضة لهم و محاربتهم و أحياناً قتلهم بسبب هذا الاختلاف ، فهل هذا أمر منطقي على أرض الواقع أم أنه مغالطة جديدة تنضم كجرم جديد إلى مجرة مغالطاتنا ، هذا ما سنحاول معرفته خلال الصفحات التالية مع مغالطتنا الجديدة (**مربع ساتور**) و سؤالها الجوهر التالي :

(هل مفهوم الصح و الخطأ مطلق أم نسبي ؟)

إنّ الجواب المبدئي الوجيز كالعادة على هذا السؤال هو:

(بالطبع هذا المفهوم نسبي يختلف باختلاف الزاوية التي يُرى منه ، لذا يتغير باستمرار عبر

صفحات التاريخ تبعاً لتطور العلوم و تغير قناعات البشر)

ما معنى ذلك ؟ تعال عزيزي القارئ نوضح ذلك بشكل أعمق و أدقّ عبر مقاربة مغالطتنا من **5** زوايا هامة للغاية :

① **معايير الصواب و الخطأ ..**

② **نظرية 96 و تدوير الزوايا ..**

③ **جملة المقارنة و النسبية ..**

④ **الصواب و الخطأ من منظور العلم ..**

⑤ **الصواب و الخطأ من منظور الأديان ..**

⑥ **الصواب و الخطأ من منظور العادات و القانون..**

⑦ **الصواب و الخطأ من منظور المصلحة الشخصية**

فهيا بنا ندير هذه الزوايا تباعاً كي ننظر إلى مغالطتنا من كل الجوانب فنصل إلى نتيجة مرضية في هذا الصدد ..

أولاً ، معايير الصواب و الخطأ :

هنالك **4** معايير أساسية يعتمدها الناس لوصف شيء ما على أنه صح أو خطأ و هي :

❁ **العلم** : و هو ربما أكثر معيار منطقي و عقلاني إذ تحكمه القوانين و الأرقام ، دون أن نغفل حقيقة هامة للغاية ، و هي أن كثيراً من القوانين العلمية ثبت بطلانها مع الزمن كبعض قوانين الفيزياء الكلاسيكية مثلاً ، و أن العلم في تطور و تغير مستمرين مما ينفي صفة المطلق التامّ عن مفهوم الصح و الخطأ العلمي ..

مثال داعم :

إن ناتج **4 + 3** سيبقى **7** دائماً فهو صحّ مطلق ..

مثال مشكك :

أثبت العلم بطلان نظرية مركزية الأرض في الكون و أكد أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية و الأرض تدور في فلكها ..

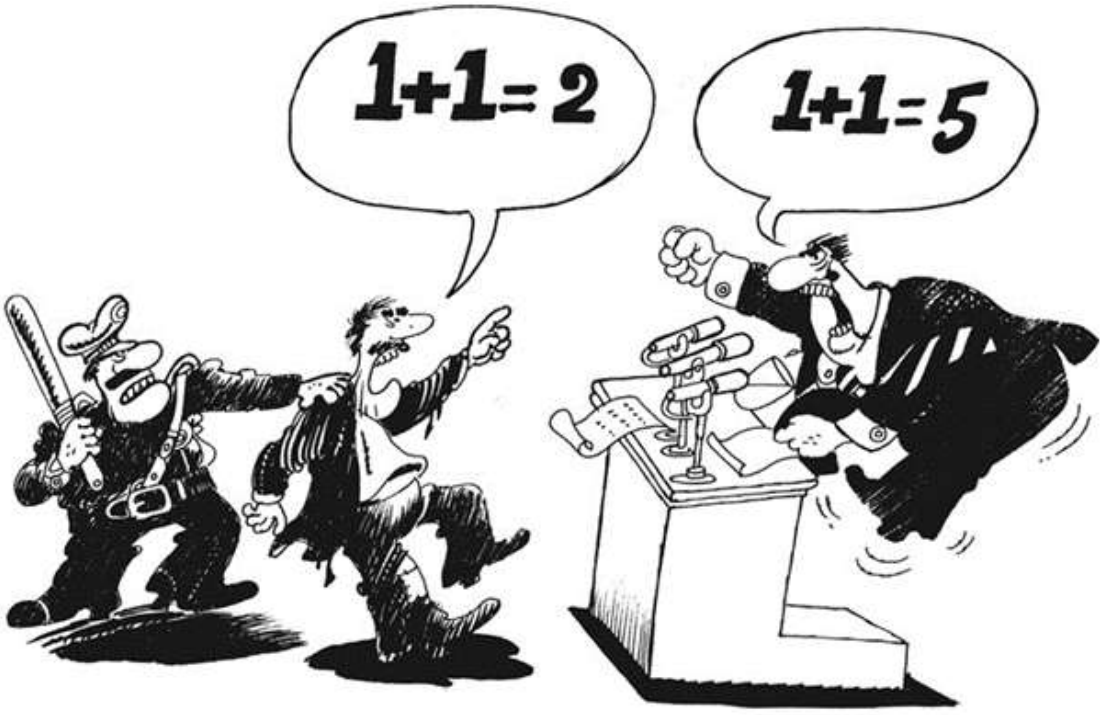

❁ **الدين** : فإن كان الإله حقيقة ثابتة بالنسبة للكثيرين فإن كل شيء آخر في الأديان قابل للشك و النقاش ..

مثال داعم :

طوفان نوح حدث غالباً بإثبات تكرّر الحادثة عند جميع الأديان الأرضية و السماوية و تراث الحضارات المختلفة

مثال مشكك :

أثبت العلم أنّ كثيراً من ديانات العصور القديمة غير صحيحة في مبادئها ، كحال تعدد الآلهة عند الإغريق و طريقة نشوئها و صراعها بين بعضها ..

❁ **القناعات الشخصية** : و هي تأخذ أحد شكلين :

- **مبادئ و قيم** : فالبعض يرى قتل الناس مثلاً جهاداً في سبيل الله و يؤمن بصحة أفعاله بدون ذرة شك ..
- **رغبات و مصالح شخصية** : و هنا يقوم الإنسان بأوسع عملية عرفتها البشرية في تزييف مفهوم الصح و الخطأ و يحولهما إلى تجارة بلا أي أساس منطقي ، كمثال الموظف الذي يختلس أموال البلاد فيبرر ذلك بأن السارق عن السارق كالوارث عن أبيه و يعتبره صواباً و قس على ذلك ..

❁ **العادات و التقاليد** : و هو المجال الأوسع لاختلاف مفهوم الصواب و الخطأ ، فما هو صحيح و ممدوح في مجتمعات هو نقيض ذلك في مجتمعات أخرى بل قد يصل إلى حدّ الجرم الذي يعاقب عليه القانون !!

مثال داعم :

التقبيل عند التحية عادة طبيعية في بعض المجتمعات ، و خرق أخلاقي فاضح في مجتمعات أخرى ..

ثانياً ، نظرية 96 و تدوير الزوايا

نظرية **96** هي نظرية شهيرة في العالم تتمحور حول رقمي **6** و **9** المتشابهين في الشكل بحيث يرى الإنسان أحد الرقمين بحسب زاوية نظره .. فنجد هنا شخصين يصفان شيء واحد بطريقتين متعاكستين و كل منهما على صواب في نفس الوقت !!

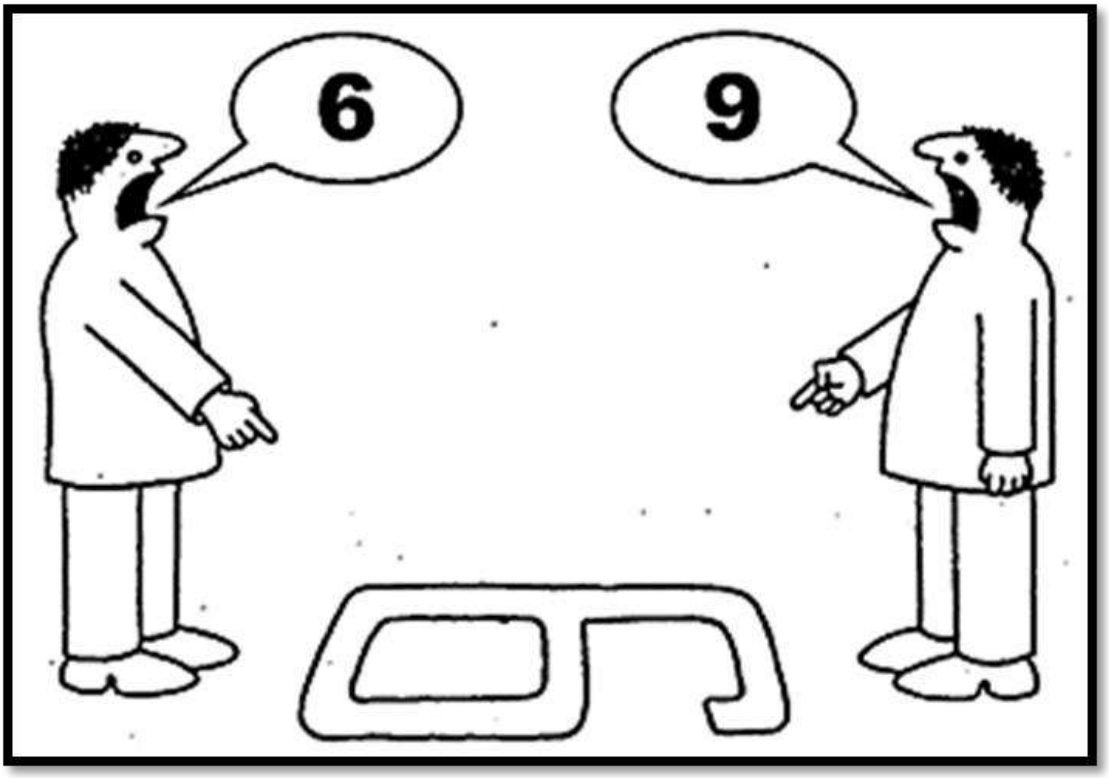

و بذلك فإنّ رؤيتنا و مقاربتنا لأي شيء تختلف بحسب الزاوية التي نراه منها لذا علينا تدوير الزوايا و النظر من

خلالها كلها حتى نصل إلى الزاوية الأقرب للصواب إن وجدت ..

و هذه النظرية تلخص مفهوم نسبية الصح و الخطأ تماماً ، و تندرج تحتها قائمة طويلة من الأمثلة نذكر اثنين منها من باب التوضيح :

❁ **الصيف و الشتاء** : فهما متعاكسان بين نصفي الكرة الأرضية الشمالي و الجنوبي ، فيجزم إنسان في الشمال أنه الصيف في حين يؤكد آخر في الجنوب في نفس الوقت أنه الشتاء ، و كلّ منهما على صواب !!

❁ **نظرية المكعّب** : فالشخص الواقف أمام أحد أوجه

مكعب عملاق سيقول بأن الشكل الهندسي الذي أمامه هو مربع ، في حين يؤكد شخص يرى المجسم من قمة تلّ بأنه مكعب ، و الاثنان على صواب في موقفهما ..

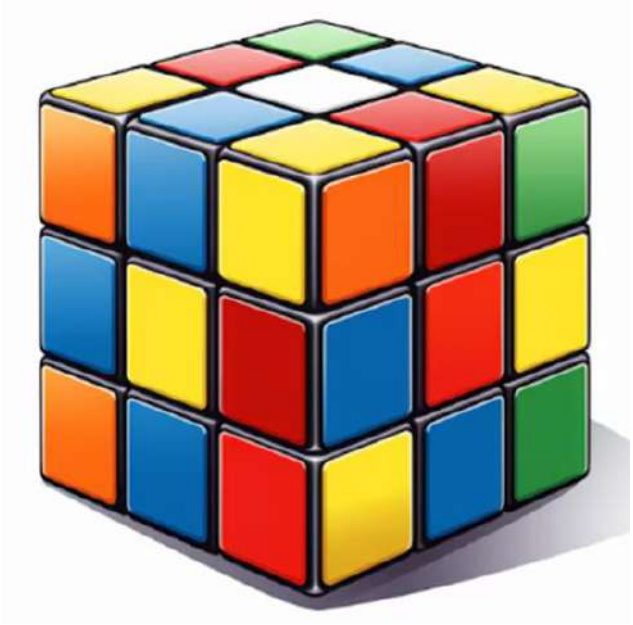

ثالثاً ، جملة المقارنة و النسبية :

جملة المقارنة مفهوم فيزيائي بالأساس و لكنه ينطبق على كل شيء في الحياة كحال مفهوم الصواب و الخطأ أيضاً ، و هذا المصطلح يعني باختصار الزاوية التي نرى منها التجربة المجراة .. فمثلاً النواس المعلّق في سقف قطار ثابت بالنسبة لراكب يستقل القطار لكنه متحرك بالنسبة لشخص يراقب القطار من أعلى تلة محيطة .. كذلك حال الجبال على كوكب الأرض ، فهي ثابتة بالنسبة لنا لكنها متحركة مع دوران الأرض بالنسبة لرائد الفضاء .. أي أنّ تقييمنا لشيء ما يختلف بالفعل بحسب الزاوية التي ننظر منها إليه ، فما هو صحيح اعتماداً على جملة مقارنة

هو خاطئ اعتماداً على جملة مقارنة أخرى !!

و في نفس السياق يأتينا **مفهوم النسبية** مع أبيها الروحي (**ألبرت أينشتاين**) و نظريته النسبية الشهيرة التي تقول في أحد وجوهها أنّ الوقت الذي يمرّ على رائد الفضاء في مركبته السريعة في الفضاء أبطأ بشكل نسبي من الوقت الذي يمر على إنسان آخر يعيش على كوكب الأرض ، رغم أن الوقت هو ذاته بشكل مجرّد ، أي أن للأشياء قيم مختلفة في نفس اللحظة تتغير تبعاً لمعايير خاصة كحال سرعتها مثلاً .. و النسبية هي الحاكم الرئيسي لمفهوم الصواب و الخطأ ، فما هو صواب بالنسبة للبعض خاطئ بالنسبة للبعض الآخر باختلاف

المعايير و العكس صحيح !!

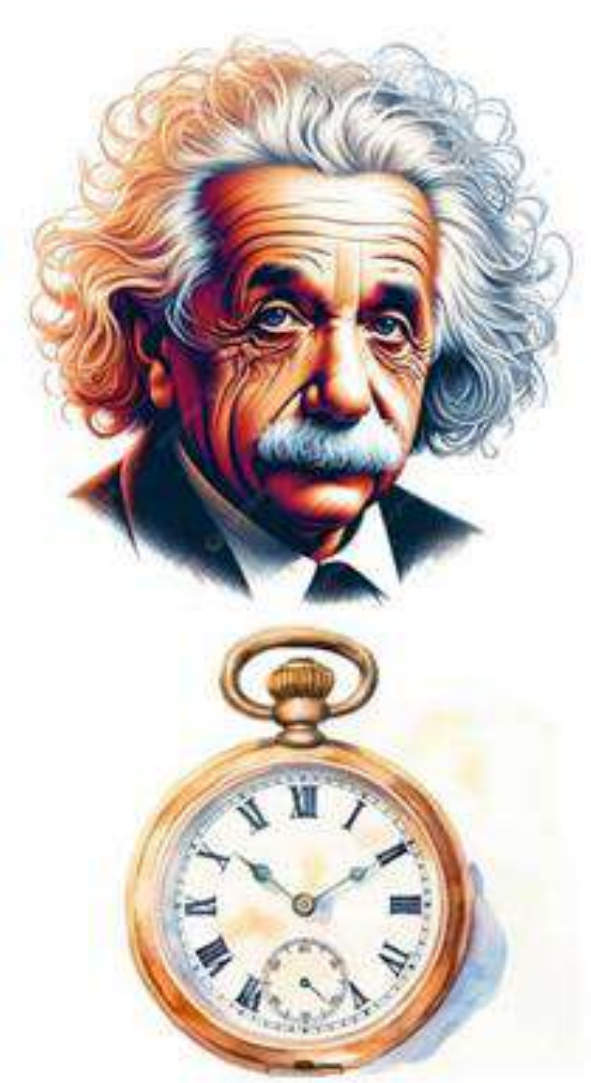

رابعاً ، الصواب و الخطأ من منظور العلم :

مما لا شكّ فيه أن هنالك قوانين ثابتة في العلوم لا تتغير صحتها مهما تغيرت الظروف كحال العمليات الحسابية مثلاً .. لكن بعيداً عن هذه القوانين توجد كوكبة واسعة من قوانين علمية ثبت بطلانها مع تقدم العلوم ، مما يؤكد بأن العلم بحد ذاته نسبي في توصيف الصواب و الخطأ ، و نذكر من هذه القوانين من باب التوضيح :

① **عمليّة التوليد التلقائيّ** : ثبت أيضاً أنّها خاطئة في القرن **18** ، و تعتقد هذه النظرية أنّ الكائنات الحيّة يمكن أن تنشأ تلقائيّاً من مادّة غير حيّة، فعلى سبيل المثال، كان يعتقد أنّ الديدان يمكن أن تنشأ تلقائيّاً من تعفّن اللحوم، أو أنّ الفئران يمكن أن تنشأ تلقائيّاً من خليط من الحبوب والخرق المتّسخة، ومع ذلك، في القرن **19**، أجرى **لويس باستور** سلسلة من التجارب الّتي أظهرت أنّ الكائنات الحيّة تنشأ فقط من كائنات حيّة أخرى.. و كان عمل باستور هذا حاسماً في تطوير نظريّة الجراثيم للمرض، وساعد في إثبات أهمّيّة النظافة والصرف الصحّي في منع انتشار المرض ..

② **نظريّة فلوغستون** : ففي أواخر القرن **17** ، كان يعتقد أنّ جميع الموادّ القابلة للاحتراق تحتوي على عنصر يسمّى **فلوغستون** و عندما يتمّ حرق مادّة ما يتمّ إطلاق هذا العنصر في الهواء تاركاً وراءه بقايا تسمّى **كلاكس** .. كانت النظريّة مقبولة لسنين طوال حتّى أواخر القرن **18**، عندما أثبت **أنطوان لافوازييه** أنّ الاحتراق

يحتاج إلى الأكسجين، بدلًا من إطلاق الفلوغستون، و وضع عمل لافوازيّيه هذا حجر الأساس للكيمياء الحديثة وفهم دور الأكسجين في الاحتراق..

③ **نظريّة الأثير المضيء** : والتي ثبت أنّها خاطئة بدورها في القرن **19**، وتعتقد هذه النظرية أنّ موجات الضوء تنتقل عبر وسيط يسمّى الأثير المضيء، ثم أظهرت التجارب الّتي أجراها **ألبرت ميكلسون** و **إدوارد مورلي** أنّ الأثير المضيء غير موجود، وبدلاً من ذلك تبيّن أنّ موجات الضوء يمكن أن تنتقل عبر الفراغ فتمّ التخلّي عن نظريّة الأثير المضيء بعد ذلك.

④ **تفسير الأمراض الطبية** : فقديماً كان عدد كبير من

الأمراض يرد للماورائيات كالجنّ و الشياطين و الأرواح الشريرة ، و للأسف تم علاج قسم كبير منها بطرق وحشية تقشعرّ لها الأبدان بسبب هذه التفسيرات كحرق مرضى الصرع أو ثقب جماجم المرضى النفسيين أو قتل مرضى التشوهات الخلقية و غيرها ..

⑤ **علم فراسة الدماغ** : كان علم فراسة الدماغ شائعاً في القرن **19**، وكان يرى أنّ شكل جمجمة الشخص مرتبط بقدراته العقليّة وسمات شخصيّته، و مع ذلك في القرن **20** أظهر التقدّم في علم الأعصاب أنّ الدماغ أكثر تعقيداً ممّا كان يعتقد سابقاً، وأنّ شكل الجمجمة لا يرتبط بالملكات العقليّة أو السمات الشخصيّة ..

خامساً ، الصواب و الخطأ من منظور الدين :

فالقناعات الدينية متغيرة بحسب الزمان و المكان و الأشخاص ، و مفهوم الصواب و الخطأ فيها نسبي بشدة أيضاً، و من الأمثلة على ذلك :

◉ **الديانات القديمة** : فجميع ديانات العصور السحيقة ذات تعدد الآلهة انهارت بالكامل و أصبحت مجرد تراث إنساني لا أكثر كالإغريقية و الفرعونية و البابلية و النوردية و غيرها .. مما يؤكد مجدداً فكرة مغالطتنا ، بأنّ ما اعتبر صحيحاً بالمطلق و مسلّمات بالنسبة للملايين و لمئات السنين ثبت بطلانه لاحقاً و انهار بالكامل ..

◉ **الديانات الأرضية** : تنتشر حول العالم ديانات ذات أفكار و مبادئ غريبة للغاية و كثير منها باطل بشكل واضح باستعمال الحد الأدنى من المنطق ، و رغم ذلك هنالك مئات الآلاف من الناس الذين يؤمنون على نحوٍ لا يقبل الشك أو النقاش بأن هذه المبادئ و القناعات صحيحة بالمطلق ..

◉ **الديانات السماوية** : فالمسلمون ينكرون صلب المسيح و قيامته و البعض منهم يرى المسيحيين مغضوباً عليهم و اليهود ضالين يجب قتلهم ، و المسيحيون يحمّلون اليهود مسؤولية صلب المسيح و لا يؤمنون بنبوة محمد ،

و اليهود يؤمنون بدون أي ذرة شكّ أنهم شعب الله المختار و لهم أفضلية على بقية الشعوب قاطبةً مما يمنحهم شرعية فعل أي شيء تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة.. و كما نرى فإن ما يراه أتباع هذه الأديان الثلاثة صواباً يعتبره الآخرون خطأً جسيماً يشكك بثوابت عقيدتهم ..

سادساً ، الصواب و الخطأ من منظور العادات و القانون :

فالقوانين و العادات تختلف من بلد لآخر ، و أحياناً من منطقة لأخرى مما يجعل مفهوم الصواب و الخطأ نسبياً بشكل كبير جداً .. و نذكر هنا من باب الثقافة و المتعة بعضا القوانين و بعض العادات التي تعتبر صواباً في مناطق من العالم و خطأ قد يعاقب عليه القانون في

مناطق أخرى :

❁ العادات النسبية :

① في **فرنسا**، يُعتبر تقسيم فاتورة الحساب من العادات غير المستحبة .. فإما أن تدفع المبلغ كاملًا، أو تسمح لشخصٍ آخر بأن يدفعه ..

② في **الصين و تايوان**، يُعتبر التجشؤ أثناء تناول الطعام شكلًا من أشكال الإطراء والتعبير عن حب الطعام! كما أن أكل شعيرية النودلز مع إصدار الأصوات من طرق التعبير عن الاحترام لدى هذه الشعوب ..

③ يمنع أفراد **قبيلة تيدونغ الإندونيسية** المتزوّجينَ حديثًا من الذهاب إلى الحمَّام للاستحمام، خاصَّةً في الأيام

الثلاثة الأولى بعد الزَّواج لاعتقادهم أنَّ هذا الأمر يجلبُ الحظَّ السيء للمتزوِّجين ..!!

④ في **الهند** ، تعدّ مصاريف الزواج كالمهر و تجهيز البيت و حفل الزفاف أموراً واجبةً على والد العروس، ولا يدفع العريس منها شيئاً.. و يمنع القانون زواج شاب من الطبقات الفقيرة بفتاة من الطبقات العليا، أمّا إذا كان الشابّ من الطبقات العليا فيُسمح له بالزواج ممّن يشاء، ولا يجوز الخروج عن هذه العادات مهما حدث

⑤ يعدّ البصق تصرفاً مقرفاً وهمجياً في أغلب ثقافات العالم، إلا أن **قبيلة الماساي الكينية** تعتبره علامة على الاحترام، وعادة متوارثة لدى القبيلة، حيث يبصق أفراد القبيلة في كفوف أيديهم قبل المصافحة باليد، ويفعلون الشيء نفسه مع المواليد الجدد والعرسان بحجة أن ذلك

ينزل عليهم البركة والحظ السعيد حسب اعتقاد أفراد القبيلة..

❁ القوانين النسبية :

① ممنوع بيع العلكة و حتى مضغها في **سنغافورة !** حيث صدر قانون يجرم ذلك و يحظر استيراد و بيع العلكة ، إذ تعتقد الحكومة بأن العلكة تسببت في تلف أنظمة النقل العام في الماضي ..

② من غير القانوني في **أستراليا** تغيير المصباح الكهربائي في أي مبنى عام أو خاص دون وجود كهربائي مرخص يساعدك على ذلك .. وهذا يشمل حتى تركيب المصابيح في منزلك !..

③ **البندقية** مدينة إيطالية جميلة و مفعمة بعبق التاريخ والثقافة .. ومع ذلك، فإن أحد القوانين المطبقة هناك هو أنه من غير القانوني إطعام الحمام فيها ..

④ يحظّر في **سويسرا** استخدام المرحاض بعد العاشرة ليلاً كي لا يزعج صوته الجيران النائمين ..

⑤ يحظر القانون في **ألمانيا** نفاذ الوقود من المركبات على الطرق السريعة ..

سابعاً ، الصواب و الخطأ من منظور المصلحة الشخصية :

ربما كان هدف كثير من الناس في الحياة هو بلوغ الحقيقة المطلقة و تمييز الصواب من الخطأ ، لكن هنالك كثيرون

أيضاً لا يكترثون لذلك بل يقومون بالمتاجرة بالصواب و الخطأ تبعاً لأهوائهم و تحقيقاً للمكاسب و إشباع الرغبات الدفينة و المصالح الشخصية ،فيصبح الصواب خطأ في مناسبات و يمسي الخطأ صواباً في مناسبات أخرى ..

و من أمثلة ذلك نذكر :

◉ شرعنة **السرقة** من باب (السارق عن السارق كالوارث عن أبيه)

◉ شرعنة **القتل** من باب (القانون لم يعطني حقي إذا سآخذه بيدي)

◉ شرعنة **الكذب** من باب (الغاية تبرر الوسيلة)

◉ مصادرة **حقوق المرآة** من باب (المرأة عورة و ناقصة عقل و دين)

◉ مصادرة **حقوق الشعوب** من باب (إذا لم تحكم بيد من حديد سينهار المجتمع)

◉ مصادرة **ثروات الشعوب** من باب (هم لا يستفيدون منها فلنفعل نحن)

بمحصلة كل ما سبق، نتوصل عزيزي القارئ إلى حقيقة ثابتة مفادها أنّ مفهوم الصواب و الخطأ نسبي بشكل فاضح و يتغير من شعب لآخر و من زمن لآخر و من منطقة لأخرى حسب تغير جملة المقارنة التي نستخدمها أي الزاوية التي نرى منها الثوابت العلمية و الدينية و الاجتماعية ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**مربع ساتور**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= هذا صحّ بالمطلق ، و هذا خطأ بالمطلق ..

بل أن نقول :

= الصواب و الخطأ أمران نسبيان يختلفان تبعاً لتطور العلم و اختلاف العقائد و الديانات و تنوع العادات و التقاليد بين الشعوب و الأهم تبعاً لخريطة المصلحة الشخصية التي تتلاعب بالصح و الخطأ و تتاجر بهما كما يحلو لها .. لذا علينا تدوير الزوايا و رؤية كل حدث أو فكرة من جوانبها كلها و نقاطع النتائج مع بعضها للوصول إلى أقرب نظرة صحيحة لها ..

في حادثة شخصية جرت معي في امتحان الشهادة الثانوية الأول منذ أكثر من عقدين ، فقد قمت بحلّ مسألة رياضية بطريقة مختصرة غير واردة في الكتاب لكنها صحيحة بالكامل علمياً و تعطي نفس النتيجة توفيراً للوقت بحكم طول الأسئلة ، لأصدم لاحقاً بأن الأستاذ لم يمنحني أي درجة عليها بحجة أن الحل وجيز في حين أنّ الحل الأساسي طويل و الدرجات موزعة عليه لذا فحلّي مرفوض ..

كان ذلك أول احتكاك لي حقيقي مع نسبية الصواب و الخطأ و معركتي الشخصية التي أعلنتها في حياتي على المسلمات الراهنة التي يتبعها البشر و لو على حساب المنطق و العقل و أيضاً العدل..

إنّ نسبية الصواب و الخطأ هي أهم ركائز التفكير خارج الصندوق و بالتالي تطور البشرية ، فطالما أن البشر يؤمنون بصواب معتقداتهم كمسلمات لا تقبل الشك أو النقض أو النقاش فلن تتحرك البشرية خطوة واحدة إلى الأمام ، فكما لاحظنا عبر الصفحات السابقة بأنّ كثيراً من **المسلّمات التاريخية العلمية و الدينية و الاجتماعية** ثبت بطلانها بالكامل و بأنها لا تمت للمنطق و لا للعقل بأي صلة ، فكيف نجزم بأنّ ما نحن عليه اليوم من معتقدات لن يكون كذلك في عيون الأجيال القادمة بعد عقود و قرون من الآن ؟!

يمكن تجسيد فكرة نسبية الصواب و الخطأ **بمربع ساتور** الشهير .. و هو مربع مقسم إلى **25** مربع صغير في كل منها حرف .. بحيث يمكنك قراءة الكلمات بأي طريقة تشاء لتعطي نفس المعنى ..

و هذه الكلمات تلخص مغالطتنا بامتياز بأنّ علينا دوماً تدوير الزوايا و فهم كل وجهات النظر كي نميز بين الصواب و الخطأ كونه مفهوم نسبي كثيراً ، و هذه الكلمات هي :

ROTAS : و تعني تدوير الزوايا ..

SATOR : و تعني الأساس ..

OPERA : و تعني المساعدة ..

TENET: و تعني الفهم ..

و بجمع هذه الكلمات معاً نحصل على جملة عميقة و مذهلة تختصر إلى **AREPO** :

(تدوير الزوايا هو الأساس الذي يساعد على الفهم)

مغالطة منسجمة

التنازلات

(أعظم النار من مستصغر الشرر)

في هذه المغالطة سنتحدث عن مفهوم شائع و حسّاس للغاية في الحياة اليومية و هو (**التنازل**) و عواقبه ، و لأنه موضوع متشعب للغاية فسنتطرق إليه عبر مغالطتين منفصلتين لكنهما تلتقيان في نفس الجوهر ..

*****

..كرة الثلج..

= ما لي أراك حزيناً و مهموماً يا صديقي ؟

= هنالك فتى يتنمر عليّ في المدرسة ، يسرق دفاتري و تعبي المدرسي ، يركلني أمام الفتيات و يهددني أني إن لم أطعه سيضربني بلا رحمة ..

= أمر خطير للغاية ، و كيف كانت ردة فعلك ؟

= لا شيء .. إنه أقوى مني و معه عصابة من التلاميذ فلا يمكنني ردعهم بمفردي ..

= أخبر أباك و أمك عنه ..

= لقد حذرني إن فعلت أنه سيقتلني بشكل نهائي ، و لا أستبعد ذلك عنه فهو شخص أرعن و متوحش .. لذا من باب عدم تصعيد الوضع التزمت الصمة و الطاعة كنوع من الدرء لسفاهته ..

= هذا ليس حلاً .. التنازل لا يمكن أن يؤدي أبداً إلى حلّ بل على العكس سيؤدي إلى مفاقمة سوء الحالة ، كما حدث مع صديقنا الديك و قصته مع الضبع ..

= و ما الذي حدث معه ؟

= كان الديك يؤذن كل صباح كوظيفته المعروفة .. لكنّ ذلك أزعج ضبعاً في الجوار لأنه قد يكشف محاولاته لسرقة الدجاجات في الحيّ ، فأتى إليه و هدده إن لم يصمت سيقوم بنتف ريشه ..

= و بعد ؟

= التزم الديك الصمت حفاظاً على نفسه ، و هو يقنع نفسه بأنه لا بد من وجود ديكة أخرى في الحي تؤذن .. لكن الضبع أعجبه إذلال الديك، لذا أتى مجدداً إليه و قال له هذه المرة أنه إن لم يبدأ بالبقبقة كالدجاج سيقوم بقطع جناحيه ..

= و هل فعل ؟

= بالطبع بدأ يبقبق و نسي حقيقته كديك مؤذن .. لكن

الضبع أتى مرة ثالثة و هذه المرة قال له أنه إن لم يبض بيضة فإنه سيقتله و يأكله ..

ابتسم الصديق ..

= لا تقل لي أنه باض بالفعل !!

= بالطبع لا .. لكنه بكى و قال في سره : يا ليتني قتلت و أنا أؤذن كان ذلك أشرف لي .. و هذا ما ينطبق على حالتك يا صديقي ، فهذا الفتى الأرعن كالضبع تماماً ، كلما تنازلت له ستزداد صفاقته و سفاهته و يتمادى أكثر، لذا لا بدّ من وضع حد نهائي له ..

= و كيف سأقوم بذلك ؟

= أخبر أباك و أمك ، فهما بلا شك سيلجآن إلى القانون و الشرطة لردع ذلك الفتى و وضع حد حاسم لتصرفاته .. و عندما يعلم بأن الشرطة باتت تعلم بتصرفاته تأكد أنه لن يتجرأ على المساس بشعرة واحدة منك ، فهؤلاء المتنمرون جبناء من أعماقهم أضعاف القوة المفرطة التي يعربدون بها على الآخرين .. و ما تنمرهم إلا تعويض لعقدة نقص جبنهم لا غير ..

= أظنك محق .. لا أريد أن ينتهي بي المآل مع هذا الضبع الذي يحاول أن يضبعني كحال صديقنا الديك .. سأخبر عائلتي اليوم .. شكراً على النصيحة يا صديقي.

*****

سأتنازل عن بعض حقوقي تجنباً لمفاقمة المشاكل أكثر

جملة يستخدمها بشر كثيرون في مشاكلهم اليومية ظناً منهم أنهم يتجنبون تصاعد حدة الأزمات و الخلاف ، و لا يدركون أنهم يقعون في شرك مغالطة خطيرة للغاية ، بأنّ سياستهم هذه لن تعود عليهم إلا بمزيد من الخلافات الأكبر و الأعمق كمسبحة فرطت و بدأت خرزها بالسقوط تباعاً ..

لتكون هذه الفكرة هي جوهر مغالطتنا الأولى (**كرة الثلج**) التي تهمنا جميعاً كما أعتقد، و لتوضيح كلامنا السابق بشكل مفصل أكثر سنلجأ إلى مقاربة مغالطتنا هذه من **3** محاور هامة للغاية :

1. **لماذا يجب على الإنسان رد الفعل و المواجهة ؟**
2. **أنواع الاضطهاد ..**

③ بروتوكول رد الفعل..

فهيا بنا عزيزي القارئ نحلل مغالطتنا بتجرد و حياد بدون تقديم أي تنازلات في سبيل معرفة الحقيقة ..

أولاً ، لماذا يجب على الإنسان رد الفعل و المواجهة ؟

نبدأ هذه النقطة من فلسفة شائعة بين الناس و هي فلسفة كرة الثلج ، و التي تعني أن كرة الثلج (**المشكلة**) تبدأ صغيرة للغاية لكنها مع الدحرجة (**التنازلات**) تبدأ بالكبر تدريجياً حتى تصبح مهولة الحجم و تدمر الإنسان الذي تنازل عن حقوقه في طريقها ..

و هذا بالضبط هو حال من يتنازل عن حقوقه في أي إشكال أو أزمة تحدث .. كما يقول الإمام **علي بن أبي طالب :**

(عندما أمن الناس العقاب أساؤوا الأدب)

فإن لم تقم برد الفعل المناسب على الفعل السلبي الذي تتعرض له ، ستفاقم هذا الفعل ككرة الثلج عندما لا يجد فاعله من يردعه أو يقف في وجهه .. و بالطبع على رد الفعل أن يكون من طبيعة الفعل و حجمه كي نصل إلى حالة التوازن بين الطرفين فلا يطغى أي منهما على الآخر ، إذ لا يجوز أن يتحول المظلوم إلى ظالم عندما يفرط بردة فعله ، فمن يتحدث عنك بالسوء واجهه و صوب كلامه ، لكن لا يجوز أن تضربه مثلاً و قس على ذلك .. و بذلك نتعلم من حكمة أخرى للإمام علي تقول :

(عندما سكت أهل الحق ، ظنّ أهل الباطل أنهم على صواب)

فرد الفعل التصحيحي و التوجيهي الذي يظهر الحقائق كما هي أمر ضروري كي لا يتمادى الطرف الآخر بالظلم و التزييف و التزوير على هواه بغياب من يردعه عن فعل ذلك ..

ثانياً ، أنواع الاضطهاد :

للفعل المضطهد عدة أنواع يمكن اختصارها إلى :

❁ **الاحتلال** : فأي قوة تحتل أرضك أو أملاكك أو أرزاقك تستلزم منك رد فعل مناسب كي تستعيدها و إلا انتهى بك المطاف إلى خسارة حياتك ذاتها ..

❁ **التمييز** : و له بدوره **4** أنواع أساسية :

- **السياسي** : أي تعنيف من يختلف معك بالتوجه السياسي لفظياً أو جسدياً أو بالسجن .. و نجده في الأنظمة الديكتاتورية كحال السجناء السياسيين أو عمليات الاغتيال ..

- **الديني** : أي تعنيف من يختلف معك بالدين أو الطائفة .. كتعنيف قريش للمسلمين في فجر الإسلام حتى اضطروا للهجرة من مكة إلى المدينة أو تعنيف الرومان للمسيحيين الأوائل حتى باتوا يختبئون في أقبية تحت الأرض عرفت باسم (**دياميس روما**) أو تعنيف النازيين لليهود **بالهولوكست** أو تعنيف المسلمين المتطرفين للبوذيين أو تعنيف البوذيين لمسلمي **الروهينجا** و هكذا.

- **الفكري** : أي تعنيف من يختلف معك بالأفكار على تنوعها .. و هذا ما عانى منه كثيراً الفلاسفة و العلماء عبر العصور .. كحال **سقراط و غاليلو** ..

- **العرقي** : أو ما يعرف بالتمييز العنصري كاضطهاد العثمانيين للأرمن أو اضطهاد الأوروبيين للأفارقة أو اضطهاد العرب و الفرس و الروم للعبيد ..

❁ **العلاقات السامة** : و قد سبق لنا و قاربنا هذا النوع

من الاضطهاد بتفصيل في مغالطة مستقلة ، و باختصار يحاول الطرف السام في العلاقة إذلال و تعنيف الطرف الآخر بأساليب تختلف باختلاف نوع العلاقة السامة ..

❁ **التنمّر** : و تشيع بين التلاميذ ، عندما يحاول الأقوياء منهم عرض عضلاتهم على الضعفاء و كثيراً ما يكون سبب ذلك نفسيّ المنشأ كشخصية معادية للمجتمع أو نرجسية أو غيرها ..

❁ **مكائد الحسّاد** : فالحسود لا يرتاح له بال حتى تزول نعمتك عنك ، لذا سينصب لك الفخاخ و المكائد و يشوه سمعتك و صورتك بين الناس من وراء ظهرك ، و ربما إذا لم ينفع ذلك كله تحول إلى إيذائك بشكل علني و مفضوح ..

❁ **اضطهاد الحياة** : نوع آخر من الاضطهاد و هو الأخطر ، اضطهاد الإنسان لنفسه ، فقبولك عزيزي القارئ بأي ظروف غير مناسبة تسبب تعاستك أو فشلك أو خوفك و لو كانت من الحياة لا من البشر و تأقلمك معها كوضع لا مهرب منه هو أكبر اضطهاد تعنف به نفسك ، و أكبر ثورة في حياة الإنسان هي ثورته على ظروفه أولاً ، فإن كان كل ما يحيط بك يدعو إلى الاستسلام و الاكتئاب ، **لا تستسلم و اخلق من الضعف قوة ، حاول و استمر مهما سقطت** ، فلا شيء يدوم و

وراء كل غيمة شعاع نور .. و إصرارك و صبرك في وجه الحياة القاسية سيؤتي أكله لا محالة في الوقت المناسب .. لذا **أكبر تنازل ممكن أن تقدمه في حياتك هو تنازلك للحياة عن الحياة ..** فالحياة تحاول استعباد الجميع لكنها تعشق من يتمرد عليها منهم و يرفض ذلك و عندها فقط تمنحه حريته التي استحقها بقراره الشخصي و إرادته

باختصار يمكن تشبيه الطرف الذي يضطهد الآخرين بشخصية دراكولا ، فهو يمتص حقوقهم المادية و/أو المعنوية و أمانهم و استقرارهم و نجاحهم .. تماماً كما يمتص دراكولا دماء الآخرين كي يغذي سوداويته ،و على الطرف الذي يتعرض للاضطهاد أن يوقف ذلك

بكل الوسائل الممكنة قبل أن تكبر كرة الثلج أكثر و هذا يقودنا إلى الشق الأخير من مغالطتنا ..

ثالثاً ، بروتوكول رد الفعل :

عندما تتعرض للاضطهاد أياً كان شكله مما سبق عليك اتباع البروتوكول التالي كي تنقذ نفسك و ترفع الظلم عنك في الوقت المناسب ..

① **تأكد أنك مظلوم** : قبل القيام بأي رد فعل عليك التأكد بأنك الطرف المظلوم في المعادلة ، فمثلاً إن تنمرت على تلميذ فعاقبك القانون ، لا تعتبر نفسك مظلوماً من قبل القانون و عليك القيام برد فعل عليه ..

② **حدد الهدف** : أي حدد نوع الاضطهاد الذي تتعرض

له و أسبابه ..

③ **افهم طبيعة الطرف الذي يضطهدك** : افهم الخلفية النفسية التي يعنفك الطرف الآخر بسببها .. اعرف غاياته من ذلك و ادرس نقاط قوته و ضعفه ..

④ **اختر الطريقة الأمثل للمواجهة** : فقد يكون رد الفعل أحياناً من طبيعة الفعل و أحياناً أخرى لا ، بحسب الحالة ، فنجد **الثورة الفرنسية** انتصرت بالتمرد المسلح ، لكن نجد أن **غاندي** قاد الهنود إلى التحرر بالأساليب السلمية ، فلكل مجتمع و حالة وضعها الخاص ، فمثلاً إن كان ميزان القوة ليس في مصلحتك ، لن يكون من الحكمة أن تواجه بالسلاح فتفنى ..كما فعل نبي الرحمة مثلاً في بداية بعثته حيث لجأ إلى مهادنة الكفار حماية لنفسه و للمسلمين .. لكن في الغالبية العظمى من الحالات يتطلب الفعل رد فعل من نفس الطبيعة أو كما يقال :

(**لا يفلّ الحديد إلا الحديد**)

كما أبدع شعراء العرب في وصف ذلك بقول **عنترة** :

و إذا بُلِيتَ بِظالمٍ كن ظالماً

و إذا لَقِيتَ ذوي الجَهالةِ فاجْهَلِ

و قول **المتنبي** :

و لكِنَّ صَدم الشرِّ بالشرِّ أحزَمُ

وقول أحمد شوقي:

و الشرّ إن تلقَهُ بالخير ضقتَ بهِ

ذرعاً و إن تلقهُ بالشرّ ينحسِمِ.

و قول الفند الزماني:

و في الشرِّ نَجَاةٌ حين لا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

و قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

و كل ما سبق يصب في محرق واحد و هو مواجهة الفعل برد فعل من نفس الطبيعة و المقدار ..

⑤ لا تستلم حتى بلوغ هدفك مهما بلغت التضحيات:

لا تتوقع رفع الظلم عنك بسهولة ، فغالباً ما يتطلب الأمر منك سلسلة من التضحيات و المواقف الحاسمة و الحازمة كي ترفع الاضطهاد عن كاهلك .. و ربما انتهى بك المطاف إلى خسارة حياتك مرغماً أيضاً ، لكن الأهم في الموضوع أن قضيتك المحقة لا تزال حية ، كما قال صديقنا الديك في مقدمة مغالطتنا (لو قتلت و أنا أؤذن

كان أشرف لي) .. فإن كان مصيرك هو القتل في الحالتين فالأفضل لك أن تموت و أنت متمسك بحقوقك محاولاً رفع الأذى و التنمر و الاضطهاد عن نفسك ..

⑥ **لا تكرر التجربة بنفسك** : النقطة الأهم في هذا البروتوكول هو أنك في حال انتصرت و نجحت برفع الظلم عن نفسك ، لا تتعامل مع الطرف الذي ظلمك بمثل ما تعامل معك أو تتعامل مع طرف ثالث بنفس الطريقة فتفقد مصداقيتك وتتحول من مظلوم إلى ظالم كما يقول بيت الشعر الأيقوني :

لا تنه عن خلقٍ و تأتي مثله

عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

فكم هو أمر شائن أن تتعرض للتنمر و تذوق مرارته ثم تتنمر بنفسك على من هو أضعف منك ..

و **الغاية من رد الفعل ليست الانتقام بل رفع الظلم عن أنفسنا** ، لذلك نجد نبي الرحمة محمد عندما عاد إلى مدينته مكة منتصراً لم يقم بقتل كفار قريش الذين آذوه و هو قادر على فعل ذلك ، بل قال : (**اذهبوا فأنتم الطلقاء .. و من دخل بيت أي من زعماء قريش الكفار فهو آمن**) و هذا درس بليغ لجميع المسلمين بأنّ الغاية من الثورة على الظلم هي رفع الظلم و ليس الانتقام .. كي لا يدور الزمن دورته من جديد و يتبادل الطرفان الأدوار ..

⑦ تهانينا لقد حطمت كرة الثلج بمن دحرجها باتجاهك و نجوت برفع الظلم عن كاهلك !!

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الأولى (**كرة الثلج**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= سأقدم بعض التنازلات من حقوقي كي أحمي نفسي من الاضطهاد الكبير الذي أتعرض له ..

بل أن نقول :

= عندما تنفرط مسبحة الحقوق بالتنازل ستتدحرج كرة الثلج و تكبر أكثر فأكثر حتى تذهب بكامل حقوقك بما فيها ربما حقك في الحياة و الوجود من الأساس ، لذا لا تتنازل عن حقوقك و اتبع البروتوكول المناسب كرد فعل في مواجهة الفعل الذي يضطهدك حتى تصنع حاجزاً يوقف كرة الثلج و يحطمها ..

في صفحات التاريخ السوداء نجد محاكمة الفيلسوف الإغريقي سقراط الظالمة بتوجيه تهمتين له ، الأولى **إفساده عقول الشباب،** والثانية **الزندقة** وعدم إيمانه بالآلهة الوثنية التي كان يعبدها الإغريق في ذلك العصر، فأدين وحكم عليه بالإعدام .. و يقال أن سقراط عرض عليه أن يتنازل عن فلسفته ليعيش فرفض ، كما أنه رفض أن يرشي أنصاره وتلامذته الحراس كي يساعدوه على الهرب و واجه موته بشجاعة، فتم إعدامه بإجباره على تجرع كأس السم ليموت موتاً بطيئاً و هو يتلذذ بكل ثانية من حياته التي عاشها بكرامة لم يتنازل فيها عن قناعاته الصحيحة في وجه أوهام قاتليه ، و لعل أجمل ما قاله

سقراط في حياته تأكيده على أكبر ثورات الإنسان ضد ظروفه الخاصة أولاً بقوله :

(أعظم انتصارات الإنسان ، هي انتصاره على نفسه)

و بالفعل نجح سقراط بالانتصار على نفسه أولاً من خلال التفكير العقلاني السليم و على خصومه ثانياً من خلال عدم التنازل عن قناعاته المحقة فلم يقبل بذلك باضطهاد أي منهما له و هذا هو التعريف الحقيقي **للإنسان الحر** ..

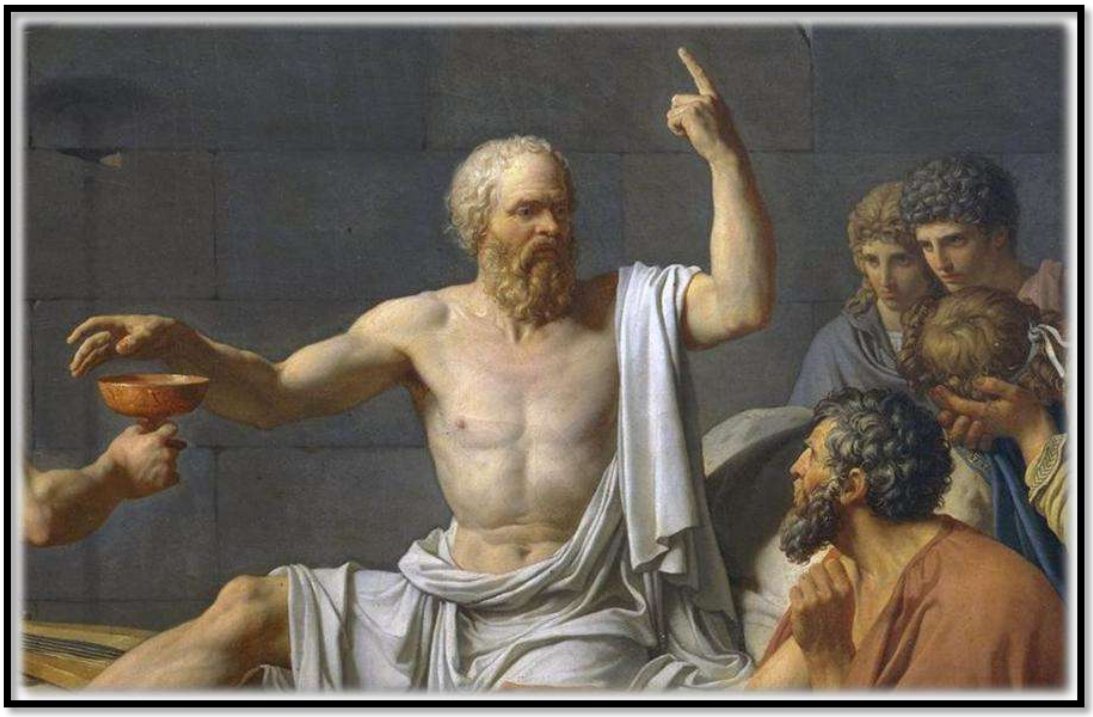

*****

..أفق الحدث..

= كيف هو صديقكِ راغب يا ندى ؟

= رائع ، إنّ علاقتنا تتطور بشكل سريع ..

= هذا خبر جميل ، خطوبة إذاً ..

= بالطبع لا ، ما يزال ذلك مبكراً .. لكن ..

= لكن ماذا ؟

= أنت صديقتي و مكمن اسراري يا فرح و أريد استشارتك بموضوع على أن يبقى سراً بيننا ..

= بالطبع بئر عميق كعادتي ..

= لقد حاول راغب أن يقبلني بالأمس فمنعته بقوة ، لذا اغتاظ بشدة و قال أنني لا أحبه فهي مجرد قبلة كتعبير عن الحب.. فهل تصرفي صائب ؟ أم معه حق فيما قال ؟

= بالطبع ليس معه حق .. و تصرفك صحيح بالمطلق

= لكن هنالك مجتمعات كثيرة حول العالم تعتبر فيها القبلة أمراً بسيطاً و شائعاً .. !!

= بالضبط .. مربط الفرس في الموضوع أنها أمر بسيط هنالك أي يفعله الشباب بكثرة ليصبح أمراً اعتيادياً ، لذا فالشاب عندما يقبل فتاة في تلك المجتمعات لا يقصد شيئاً سيئاً منها في أغلب الحالات و إنما عادة متبعة ، يمكنك القول أنه كمسك اليد في مجتمعات أخرى ، أمر عادي أيضاً إذ لا غاية أخرى منه .. أما عندما يحاول شاب أن يقبل فتاةً في مجتمع يرفض ذلك ، فهذا دليل على أنه يضع خطوة أولى على طريق الخطيئة الأكبر، المشكلة ليست في القبلة بحد ذاتها ، بل بما يرسم إليه راغب بعدها أي أنها توضح عقليته بحب تجربة الحرام المحظور و من يبدأ هذا الطريق لن يتوقف في منتصفه .. و ربما إن طاوعته في ذلك سينتهي به المآل يطلب منك مرافقته إلى السرير ..

= لهذه الدرجة ؟

= بالطبع .. يقال أنّ طريق الألف ميل يبدأ بخطوة ، و

طريق الخطيئة الطويل و الوعر يبدأ بتنازل وحيد فلا تقدميه ليس لراغب فحسب و لا في موضوع الحب بعينه ، بل لأي أحد و في أي موضوع من قضايا الحياة .

= فهمت .. أشكرك على النصيحة يا صديقتي ..

= أنا من يحييك على تصرفك السليم و الصائب ..

*****

لا شك عزيزي القارئ أن الحياة اختبرتك في مناسبات عديدة بتجارب شبيهة بجوهرها مع تجربة صديقتنا ندى و ربما تصرفت كصديقتنا ندى أو ربما استجبت لإغراءات الحياة، عندما يبدأ طريق الخطيئة بتصرف وحيد أو تنازل ، كموظف يرتشي بمبلغ بسيط أو فتاة تغوي شاباً بقبلة أو تلميذ يغش في امتحان بجواب قصير أو لص يرتكب سرقة صغيرة و هكذا .. قبل أن تتدحرج هذه الخطيئة ككرة الثلج لاحقاً فتصبح عادة و تتضخم تدريجياً حتى تصطدم بالنهاية بجدار العواقب و تؤذي مقترفها .. و هذا بالضبط هو جوهر مغالطتنا الثانية (**أفق الحدث**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(**هل الخطأ البسيط لا يحتسب بسبب ضآلة عواقبه** ، **كأن يقول أحدهم أو إحداهنّ** : **إنها مجرد قبلة و ليست علاقة جنسية ، لماذا كل هذا التزمت** ؟!

أم أنّ هذه مغالطة جديدة تنضم إلى عائلة مغالطاتنا ؟)

في الحقيقة الجواب على هذا السؤال يأتينا من مثل شعبي شهير و عميق للغاية على بساطته :

(سرقة البيضة مثل سرقة الجمل)

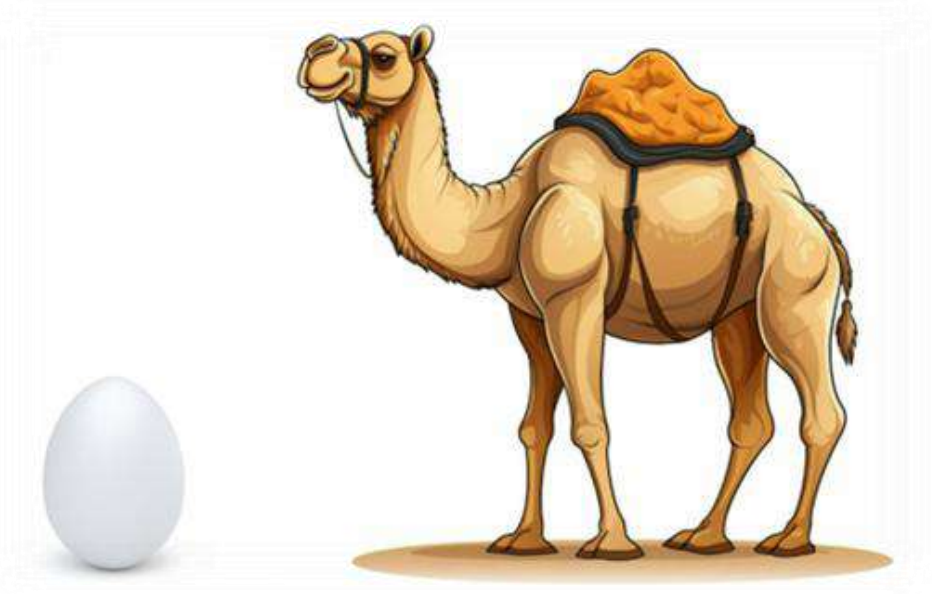

كيف لذلك أن يكون صحيحاً رغم اختلاف أهمية الشيء المسروق في الحالتين ، هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية عبر مقاربة مغالطتنا من **3** زوايا هامة :

1. **نظرية الثقب الأسود للخطيئة ..**
2. **نظرية مثلث برمودا الأخلاقي ..**
3. **أمثلة من واقع الحياة عن جوهر مغالطتنا ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نخوض غمار مغالطتنا الجديدة الشيقة و الحساسة هذه ..

❁ نظرية الثقب الأسود للخطيئة :

في الحقيقة عالم الخطيئة المظلم يشابه إلى حد بعيد بنية الثقب الأسود المظلم من **3** زوايا ..

◉ **الثقب يجذب الأشياء المارة بجواره بما فيها الضوء بقوة كبيرة** : و هذا حال دوامة الخطيئة ما إن يضع الإنسان قدمه فيها فستسحبه إلى ظلام قاعها الدامس ليغرق ضمير الإنسان كلياً ..

◉ **للثقب منطقة تدعى (أفق الحدث) و هي المنطقة التي يبدأ منها تأثير الجذب إلى غير رجعة** بمعنى آخر هي مسافة الأمان التي تفصل الأجرام السماوية عن الثقب الأسود .. و هو بالضبط مسافة الأمان التي يجب على الأجرام البشرية ألا يتجاوزوها في الحياة كي لا يُجذبوا إلى ظلام الخطايا ، فالموضوع برمته يبدأ بخطوة أولى فإن استساغها المرء غرق في مستنقع الخطايا النتن أكثر على نحوٍ غير عكوس ..

◉ **الثقب الأبيض** ، و هو البوابة الأخرى للثقب الأسود الذي تخرج منه الأشياء عبر ما يدعى علمياً **جسور أينشتاين روزن** ، و هو يعادل في الحياة مفهوم التوبة عن الخطيئة أي مغادرة ظلام الثقب الذي جُذب إليه .. و

كما أن الأجرام تدخل الثقب الأسود من جهة في الكون لتخرج من الثقب الأبيض في جهة معاكسة ، كذلك الإنسان الذي يدخل ظلام الخطيئة يخرج من الثقب الأبيض إنساناً آخر مختلفاً جذرياً و قد تعلم الدرس الأهم في الحياة (**طريق الظلام مرير و بلا نتيجة**) ، و لا غنى عن الإيمان بالله لتحقيق ذلك فوحده من **يخرج البشر من الظلمات إلى النور** ..

❁ نظرية مثلث برمودا الأخلاقي :

يشاع عن **مثلث برمودا** في المحيط الأطلسي أو ما يعرف **بمثلث الشيطان** بأنه منطقة جغرافية تكثر فيها حوادث الاختفاء للطائرات و السفن على نحوٍ غامض و غير عكوس ..

و هنالك في العالم مناطق أخرى شبيهة به **كمثلث التنين في المحيط الهادئ أو و جزيرة الأفاعي البرازيلية أو**

جزيرة الأشباح فلانان في أسكوتلندا أو جزيرة الكنز (البلوط) الملعونة في كندا أو بحيرة النطرون في تنزانيا أو وادي الموت في كاليفورنيا الأمريكية و غيرها .. و المشترك بين هذه البقاع الجغرافية كلها كما ذكرنا هو الاختفاء الغامض لكل من يدخلها .. و في الحقيقة هنالك ثالوث في الحياة شبيه بهذه المناطق إلى حدٍّ بعيد و بالأخص بمثلث برمودا أدعوه **مثلث برمودا الأخلاقي** و الذي يتألف من **3** أضلاع :

(**الحاجة** + **الطموح** + **الغريزة**)

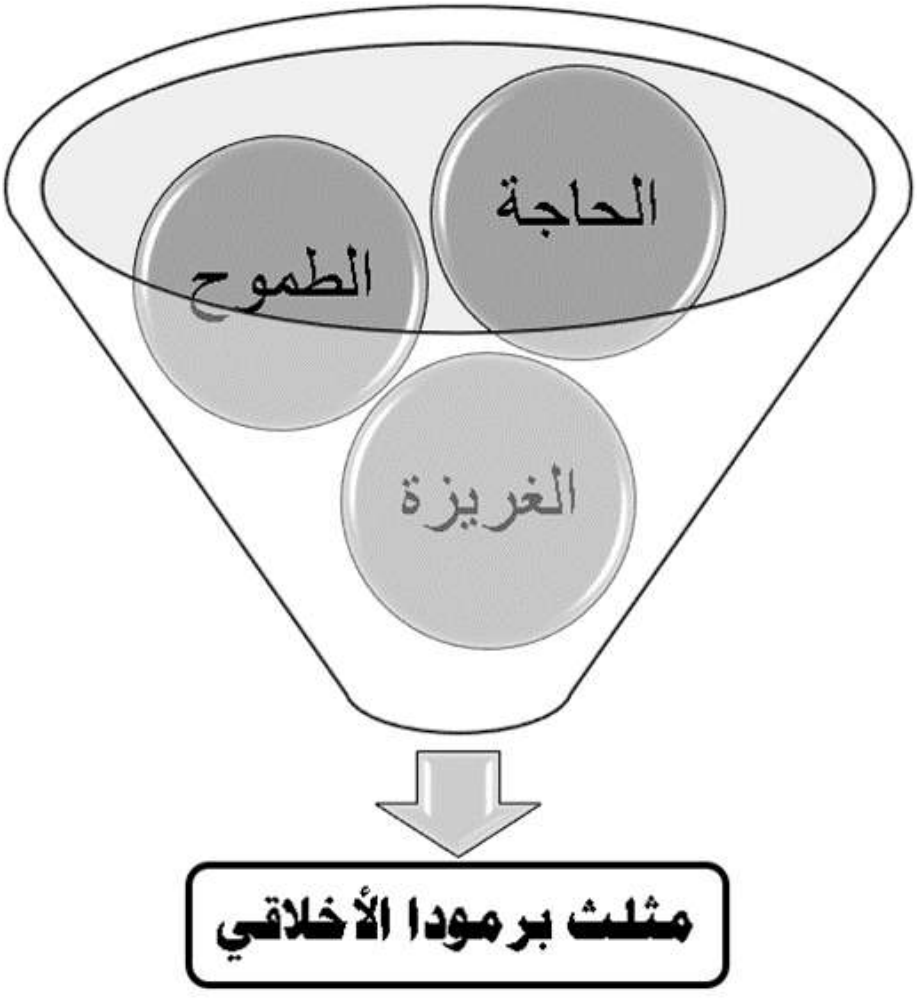

و كل إنسان يتنازل فيه عن ضميره يضيع إلى غير رجعة .. و لنوضح ذلك أكثر سنقارب كل ضلع من أضلاع هذا المثلث بمفرده :

◉ **الحاجة** : **فالموظف** الفقير تغويه الرشوة أو الاختلاس ، و **الإنسان الجائع** تغويه السرقة و هكذا .. و يلعب المال الدور الرئيسي في هذا البند ..

◉ **الطموح** : **فالطالب** الذي يريد دخول كلية جيدة في الجامعة يغويه الغش و **الرئيس** الذي يريد التشبث بعرشه يغويه الاستبداد و البطش العسكري ، و **الممثلة** المغمورة التي تريد الشهرة بأي طريقة تغويها العلاقات الجنسية مع منتجين و مخرجين ، و هكذا .. ليصبح طموح الإنسان الكبير الذي يريد تحقيقه بأقصر وقت و أيسر طريقة و أي أسلوب ثقباً بظلام دامس يجذبه إليه أو مثلثاً شيطانياً يضيع فيه ..

◉ **الغريزة** : فالإنسان الجائع أو العطش قد يقتل كي يسد رمقه، أما الغريزة الجنسية فهي أخطر الأمور في هذا المثلث التي إن استجاب لها الإنسان بدون وعي فسيطرت على عقله و ليس العكس هوى إلى حضيض الأخلاق و تلاشى كيانه الإنساني العقلاني ..

و بين هذه الأضلاع الثلاثة مصيدة يضيع فيها ضمير

الإنسان ، و البداية دائماً خطوة صغيرة تتجاوز أفق الحدث فتتلقفه غياهب الظلام ، و إن كان محظوظاً كفاية منتحته الحياة فرصة ثانية للتوبة بالخروج من ثقب أبيض ليتابع الحياة مجدداً بقلبٍ أبيض ناصع خالٍ من بقع الخطايا الملوثة .. **و باختصار مثلث برمودا الأخلاقي هو عبارة عن حصان بري جامح عليك ترويضه لتقوده أنت فتسد حاجاتك و تحقق طموحاتك و تلبي غرائزك بالحلال و ليس بالحرام ، لا أن يقودك هو فتسقط عنه صريعاً ..**

❁ أمثلة من واقع الحياة عن جوهر مغالطتنا :

◉ **تسوس الاسنان** : فتبدأ العملية برمتها ببؤرة

تسوس صغيرة ، إن أهملتها اتسعت و غزت السن بكامله .. و الخطيئة كالتسوس تماماً إن أنت خطوت أول خطوة على طريقها بحجة أنها خطوة صغيرة بلا عواقب ، امتد التسوس لينخر حياتك كلها ..

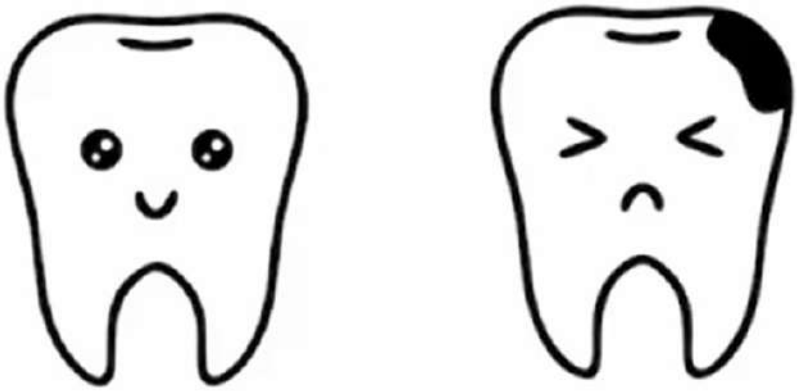

◉ **حبال الرسو MOORING LINES** : و هي عبارة عن **4** حبال قوية تثبت السفينة إلى الميناء لكن على الإنسان ترك مسافة أمان كافية بينه و بينها لأن سرعتها عند الإفلات أو الانقطاع تبلغ **800** كم في الساعة بمعنى أنها تقتل بالتأكيد أي شخص موجود بالقرب منها ..

فعلى الإنسان أن يترك مسافة أمان دائماً عن عالم الخطيئة (أفق الحدث) لأن حبالها إن أفلتت هشمته إلى أشلاء نفسية ..

◉ **إدمان المخدرات** : فالعملية كلها تبدأ بإبرة واحدة ثم أخرى حتى تتحول إلى إدمان ينهي حياة الإنسان النفسية و أخيراً الجسدية ..

◉ **الإشارات التحذيرية** : فإن أنت اقتربت مثلاً من منطقة ألغام و قرأت لافتة تطالبك بعدم الاقتراب و تجاهلتها فإنك ستعرض حياتك للخطر بلا شك ..

و الخطيئة في الحياة بينة على الدوام و لو جمّلها الإنسان في عينيه ، كما قال البارئ :

(بل الإنسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره)

بإشارة واضحة إلى أنّ أي خطيئة تغوي المرء تنتصب بجوارها لافتة تدعوه إلى عدم الاقتراب ، فإن تجاهلها فهذه مسؤوليته هو لا غير لأنه **تنازل** و تجاوز أفق الحدث

هذه باختصار فلسفة الخطيئة عزيزي القارئ تبدأ بتنازل وحيد ، بخطوة صغيرة تتجاوز أفق الحدث فيتلقفك ظلام ثقبها الدامس و يجذبك إلى قاع الدوامة .. **لذا تجنب سرقة البيضة لأنك إن فعلت ستسرق الجمل لاحقاً عاجلاً أم آجلاً فالموضوع برمته مجرد عقلية لا أكثر** .. و تذكر أن الله يمنحك فرصة للتوبة و الخروج من الثقب المظلم فاغتنمها في حال ضعفت يوماً و خطوت خطوتك الأولى عبر أفق الحدث ، و ليست التوبة بالامتناع عن الخطيئة بالإجبار بل بتغيير طريقة تفكيرك التي دفعتك إليها لاجتثاثها من جذورها ، و لا عجب أن نجد بذلك أن معنى التوبة في الثقافة المسيحية هو **ميتانويا metanoia** و التي تعني بالإغريقية (**إعادة صياغة التفكير**) !! بمعنى أن عليك أن تعي و تقتنع يقيناً بأن **درب الخطيئة المظلم بلا نتيجة إلا الضياع و الألم** ، أو كما يقال في

الفيزياء (**إعادة التجربة نفسها في الظروف نفسها سيعطي النتيجة ذاتها**) .. أي أن يغير الإنسان ظروف التجربة ليخرج بنتيجة مختلفة من الظلام إلى النور..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الثانية (**أفق الحدث**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= إنها قبلة صغيرة ، مبلغ بسيط ، سؤال وحيد في امتحان .. هل انتهى العالم ؟!

بل أن نقول :

= لقد كان **أبو عبد الله شمس الدين الدمشقي (ابن القيم)** محقاً في شعره الجميل هذا :

كل الحوادث مبداها من النظر

و معظم النار من مستصغر الشرر

فطريق الخطيئة الوعر و الطويل يبدأ بخطوة وحيدة .. فلا تخطوها و تتجاوز مسافة الأمان لأنك ستغرق في مستنقع من العسير عليك الخروج منه .. و تذكر أن **مثلث برمودا الأخلاقي (الحاجة & الطموح & الغريزة)** أشبه بحصان بري جامح عليك ترويضه كي تقوده أنت لا يقودك هو إلى طريق الضياع و الألم ، و ببساطة حقق

أركانه الثلاثة بالحلال لا بالحرام بإيمانك اليقين بالله و رزقه المحتوم الذي سيطلبك في الوقت المناسب .. دون أن نغفل عن حقيقة هامة للغاية في هذا الصدد ، و هي أن الحكومات التي لا تهيئ الأسباب لشعوبها كي يحققوا تلك الأركان بالحلال هي المسؤول الأول و الأخير عن اختيارهم طريق الحرام لتنفيذها ، فالسارق في بلد لا يساعده كي يسد رمقه و رمق أبنائه فقط ليبقوا على قيد الحياة ليس بمجرم بل حكومته هي المجرمة.. و علينا قطع يد تلك الحكومات لا يد السارق الذي لم تمنحه الدولة حقوقه البسيطة البديهية في الحياة .. و بالطبع نحن لا نشرع الخطيئة هنا تبعاً للظروف بل نتحدث عن حالات خاصة يكون فيها المسؤول عن الخطيئة هي البلاد و ليس المواطنين .. فالحق الأدنى للإنسان في بلاده أن يعيش مثلاً لا سيما إن وجد نفسه محاطاً بأثرياء بلا جهد أو عبر دروب الخطيئة نفسها التي نتحدث عنها في مغالطتنا و بلا رقيب أو حسيب ..

و في النهاية أتركك عزيزي القارئ مع هذه المقولة الرائعة **للإمام الشافعي** و أرجوك أن تفكر بها بعمق :

(أصعب الحرام أوله، ثم يسهل، ثم يستساغ، ثم يؤلف،ثم يحلو، ثم يطبع على القلب، ثم يبحث القلب عن حرام آخر !)

إنها متاهة لا تريد دخولها أبداً .. فاترك مسافة أمان دائماً تبعدك عن بوابتها (أفق الحدث فيها) ..

*****

بمحصلة مغالطتينا السابقتين (**كرة الثلج**) & (**أفق الحدث**) نتوصل إلى نتيجة وحيدة واضحة كالشمس بأن كل شيء سيء في الحياة يبدأ بتنازل بسيط ثم تنفرط المسبحة لتخسر كل شيء تدريجياً .. لذا تعلم عزيزي القارئ أن تقول (**لا**) **بكرامة** من الخطوة الأولى كي توفر على نفسك قول (**نعم**) **بذلّ** لاحقاً ..

مغالطة المنايا

خبط عشواء

(من كتب له عمر لا تقتله شدة)

في عام **1907**، كان هنالك رجل يدعى **جون بريست** يعمل كصيانيٍ للمحركات على متن **السفينة أستورياس** في رحلتها الأولى ، و حدث أن غرقت السفينة بسبب تسرّب المياه إلى غرفة المحركات حيث يعمل جون، لكنه نجا من الحادثة بأعجوبة لا تفسير لها.. وبعدها بأربعة أعوام، وتحديداً عام **1911**، كان جون واحداً من طاقم **سفينة أولمبيا** ، لينجو من الغرق مجدداً بعد اصطدام السفينة بسفينة ثانية أصغر منها و غرقهما..

وفي عام **1912**، كان بريست يعمل في غرفة المحركات على السفينة الأكثر شهرة عبر التاريخ **تيتانيك** ، و عند اصطدامها الشهير بجبل الجليد، و كان جون في قعر السفينة لكنه رغم ذلك استطاع الصعود إلى السطح و سبح في المياه المتجمدة، حتى وصل إلى أحد قوارب النجاة ، و تم إنقاذه من موت محقق ثانيةً !!

لم يتوقف جون عن عمله بعد نجاته من ثلاث حوادث غرق للسفن، وعمل بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية على متن **سفينة الكانتارا** ، التي غرقت بدورها في إحدى المعارك الحربية عام **1916** نتيجة انفجار، وكعادته نجا جون بريست الغرق!!

واصل جون عمله، وعاد في العام نفسه للعمل على متن **سفينة بريتانيك** التي تعرضت للغرق بنفس العام بعد انفجار لغم بحري بها ولم يتغير الأمر مع جون فكان من ضمن الناجين من هذه السفينة هذه المرة أيضاً !! و في العام التالي **1917**، بدأ عمله في **سفينة دونيجال** ، و تعرضت هذه السفينة لهجوم غواصة ألمانية، فتم إغراقها لكن جون نجا منها من دون أن يصاب بأي ضرر حتى أنّه لم يخدش على الإطلاق ..

الطريف في القصة أن جون اضطر للتقاعد بعد الحادثة الأخيرة لا لشيء، إلا لسبب واحد هو أن أحداً لم يقبل العمل معه بعد كل تلك الحوادث، إذ اعتبر هذا المحظوظ نحساً يُغرق كل سفينة يعمل عليها !!..

لكن كيف يمكن لإنسان عادي أن يقهر الموت كل هذه المرات ضارباً بكل قوانين المنطق و الاحتمالات عرض الحائط .. ؟!

*****

يقول الشاعر الجاهلي **زهير بن أبي سلمى** :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته و من تخطئ يعمّر فيهرمِ

بمعنى أنّ موت البشر حادثة عشوائية لا تحكمها أية قوانين ، و النجاة من الموت مجرد حظ لا أكثر !

فهل هذه الفكرة صحيحة بالفعل ؟

أم ثمة مغالطة ما تكمن خلف الأكمة و لديها أقوال أخرى ؟!!

هذا ما سنحاول معرفته معاً عزيزي القارئ خلال الصفحات التالية لنتأكد بالبراهين هل **الموت حادثة عشوائية كاليانصيب ينجوا منها سعيد الحظّ** ، أم **الموت**

هو حادثة منظمة تحكمها قوانين تفرض حدوثه في المكان و الزمان و الطريقة المناسبة ؟ وسننجز ذلك عبر مقاربة مغالطتنا من **3** زوايا هامة و شيقة :

① **الموت في عين الدين ..**

② **الموت في عين العلم ..**

③ **أمثلة عن أشخاص نجوا من الموت بأعجوبة ..**

مع سرد مجموعة قصص لا أشك للحظة أنها ستثير إعجابك و دهشتك في الختام ..

فهيا بنا نضع **الموت** تحت مجهر الفحص و التقصّي لنكتشف سوياً كيف يحدث (بشكل عشوائي أم بشكل منظم) ؟..

أولاً ، الموت في عين الدين :

الروحانيات تفترض بشكل بديهي أن موت الإنسان كولادته ، أمور لا رأي له فيها بل فرضت عليه من قبل السماء لغايات نبيلة له و للآخرين و للسماء ذاتها .. لذلك نجد في القرآن الكريم تأكيد صريح على أنّ موت الإنسان يحدث في الوقت الذي قدره الله له بالضبط :

(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون)

و كذلك آية أخرى تؤكد أن الموت عندما يحين لا شيء في الكون ينجيك منه :

(أينما تكونوا يدرككم الموت و لو كنتم في بروجٍ مشيدة)

و كل ذلك يوضح لنا فلسفة السماء فيما يتعلق بموت البشر و التي تقوم على ثالوث :

- الموت محدد في المكان و الزمان و بالطريقة المناسبة من قبل أن يولد الإنسان بالأساس ..
- الموت لا يمكن تقديمه أو تأخيره و لو لثانية ..
- الموت لا يمكن الهرب منه و سيدرك الإنسان إن اختبأ في أعلى الأبراج أو أعمق الأقبية ..

و في التراث قصة طريفة تختصر كل ذلك و تتحدث عن شخص آثم أتاه ملك الموت **عزرائيل** كي يقبض روحه فقال له الرجل :

- أرجوك أمهلني أسبوعاً واحداً فقط كي أوفي ديوني و التزاماتي و أودع أهلي و أحبابي ..

فاستجاب له عزرائيل و أخبره أنه سيموت بعد أسبوع غريقاً في الماء ، هنا قرر الرجل أن يتحايل على ملك الموت فسافر في رحلة بحرية على متن سفينة تغص بمئات الركاب و قال في نفسه :

● لا يمكن لملك الموت أن يغرق سفينة بكل طاقمها من أجل شخص وحيد !!

و في الموعد المنتظر بعد أسبوع زاره عزرائيل مجدداً فقال له :

○ الآن ستغرق و أقبض روحك كما اتفقنا ..

فرد الرجل بدهشة :

● هل ستغرق مئات الناس من أجل شخص واحد ..؟!

فابتسم عزرائيل وقال :

○ يا صديقي كل طاقم السفينة على شاكلتك ، أجّلت لهم

موعد موتهم فتذاكوا على السماء بالاحتماء بسفينة مكتظة .. و سهلوا عملي بأن أقبض أرواحهم جميعاً دفعة واحدة !!

فإن حسب الإنسان نفسه ذكياً بأن يسرّع موته بالانتحار أو يؤجله بالاحتماء في الأبراج أو الأقبية فإن السماء على علم بما يفكر به و موته بانتظاره في أي مكان يذهب إليه .. !!

لذلك لا تشغل تفكيرك عزيزي القارئ بموعد موتك أو طريقته ، لأن كل هذا التفكير لن يغير مما كتب و لن يعود عليك بأي فائدة .. **و تذكر أن ولادتك و موتك سيفرضان عليك بدون سؤالك .. لكن حياتك ما بينهما يمكنك أن تعيشها كما تقرر و تحب و هذا هو أجمل ما في الموضوع ..**

و لا تنسَ أن الموت ليس نهاية كل شيء ، بل نهاية شيء و بداية كل شيء ، **لذلك يدعى الموت منيّة لأنه كمنيّ الإنسان ما إن يخصّب البويضة الأنثوية سيموت كنطفة لا تأثير لها لتبدأ حياته من جديد كجنين إنسان يمكنه أن يغير العالم بل الكون ..**

ثانياً ، الموت في عين العلم :

في الحقيقة لا يمكن للعلم أن يثبت بشكل قاطع فيما إذا كان موت الإنسان مقدّراً أم عشوائياً .. إذ أنه ليس شيئاً محسوساً يمكن قياسه بالتجربة أو تحكمه القوانين ، لكن الأكيد أن هنالك كوكبة من القصص و الأحداث العجيبة التي حدثت عبر صفحات التاريخ و بعضها موثق في التاريخ الحديث لأشخاص نجوا من موت محقق و محتم وفق قوانين العلم ، بمعنى أن نجاتهم تندرج ضمن إطار المعجزات الحقيقية ، إذ لا تفسير لاستمرارهم أحياء إلا بتدخل قوى غيبية سماوية في ذلك ، مما يجعل العلم ينحني بخشوع للدين في هذه النقطة و يستسلم لما تقوله الآيات السابقة التي تحدثنا عنها تماماً كما حدث في قصة **النبي إبراهيم** عندما أراد أعداؤه أن يحرقوه حياً ، فالمنطق العلمي يفترض أن يتفحم و يموت ، لكن النيران لم تؤثر فيه على الإطلاق!! .. و هذا يقودنا إلى الشق الآخر من مغالطتنا و هو مجموعة قصص تفجر العقل حرفياً لأشخاص نجوا من الموت بمعجزة حقيقية

ثالثاً ، أمثلة عن أشخاص نجوا من الموت بأعجوبة :

في الحقيقية هذا البند يعجّ بالأمثلة المذهلة التي تنطق بحقيقة واحدة (**من كتبت له الحياة لا تقتله أي شدّة**) ، و اخترت لك عزيزي القارئ أكثرها إدهاشاً و عبرةً و التي ستجعلك تفكر كثيراً بمفهوم الموت بلا شكّ :

❁ رجل نجا من الموت 7 مرات في حياته ثم ربح

اليانصيب: في مطلع عام **1962** نجا أستاذ الموسيقى الكرواتي **فرانو سيلاك** أول مرة من الموت حين خرج القطار عن مساره وسقط في نهر جليدي، وما هي إلا أشهر قليلة حتى نجا مرة ثانية من سقوط طائرة بعد أن انفتح بابها وسقط فرانو من السماء إلى الأرض في حفرة من القش وقُتل حينها **19** شخصاً على الأقل و نجا هو .. هذا و قد نجا فرانو من **5** حوادث أخرى مهددة للحياة كإطلاق نار وحوادث مركبات وغيرها.. و لم يتوقف حظه هنا ، ففي العام **2003** ربح فرانو جائزة يانصيب قيمتها مليون دولار !!

❁ الفتاة التي سقطت من السماء إلى الأرض و لم تمت

: الانجليزية **ليندي هاردينج** نجت من سقوط حر

من على إرتقاع **2500** متر تقريباً عندما كانت تمارس رياضة القفز بالمظلات ، فعندما فتحت المظلة علق الحبل ، وعندما فتحت المظلة الاحتياطية اشتبكت الحبال ببعضها وسط الرياح الشديدة ، فسقطت نحو الأرض سقوطاً حراً لمدة **40** ثانية بسرعة وصلت **110** كم في الساعة قبل ان تصطدم بالأرض بشكل مباشر، و المذهل في الأمر أنّ كلّ الذي حدث لها هو ثقب في الرئة وكسر في ضلعين وكسر في الأنف لا غير على نحو يخالف المنطق و كل القوانين العلمية **!!** ، و قد تم علاجها وعاشت بشكل طبيعي بعدها ، و بعد مرور **7** سنوات على الحادثة استطاعت ليندي أن تتغلب على صدمتها وقامت بقفزة مظلية جديدة ..**!!**

❁ رجل ينجوا من قبلتين ذريتين !! :

نجا الياباني **تسوتومو ياماجوتشي** مرتين من قنبلتين ذريتين فجرتهما الولايات المتحدة الأمريكية في **6** و **9** أغسطس/آب عام **1945** بمدينتي هيروشيما و ناغازاكي اليابانيتين ، الأمر الذي أسفر عن مقتل حوالي **90** ألف شخص .. وأكدت الحكومة اليابانية عام **2009** أن ياماجوتشي كان موجوداً في كلتي المدينتين أثناء التفجيرين ، فقد كان بمدينة هيروشيما في **6** أغسطس/ آب، في رحلة عمل سائراً على قدميه عندما سمع صوت الطائرة وشاهد سقوط القنبلة و نجا منها بأعجوبة لا تفسر .. و بحلول **9** أغسطس/آب، عاد المواطن إلى منزله في ناغازاكي ليكون شاهداً على التفجير للمرة الثانية، ورغم تعرّضه للإشعاع في كلتي الحالتين، عاش حتى سن **93** .. !!

❁ شخص يدخل في غيبوبة في درجة حرارة 30 تحت الصفر لعشر ساعات ثم يعيش :

كان **بيك وذوس** يمارس هواية التسلق على الجبال في إحدى المرات عندما هبت عاصفة شديدة البرودة تسببت في دخوله في غيبوبة فوق ارتفاع **36** قدم و في درجة حرارة **30** تحت الصفر ، و بعد الكشف عليه في مكانه من قبل الأطباء أشار الجميع إلى استحالة نجاته لأن لا أحد ينجو من غيبوبة انخفاض درجة الحرارة ، فأعلنت عائلته وفاته .. و لكن بعد **10** ساعات أفاق **بيك** من غيبوبته و تحرك عائداً إلى المعسكر أسفل الجبل حيث تم إسعافه و عاش حياة طويلة بعدها ليروي قصته ..!!

❁ رجل يقاتل لأربع ساعات بعد أن انفجرت قنبلة بيده

: في عام **1945** دارت معارك طاحنة بين القوات الهندية البريطانية من جهة و اليابانيين من جهة أخرى في بورما ، و كان هنالك ضابط اسمه **لاجيمان** أحد أفراد القوات الهندية البريطانية ، و تم إلقاء ثلاث قنابل يدوية عليه هو و فريقه فسارع لاجيمان بحمل الأولى و الثانية و ألقاهم بعيداً ، و لكن لم يتمكن من إلقاء الثالثة و انفجرت في يده ففجرت أصابعه و سببت له جروحاً بالغة في جسده ، و على الرغم من ذلك استمرّ في المعركة و حارب لأربع ساعات حتى اضطر اليابانيون للاستسلام ، و رغم جروحه الخطيرة إلا أنه عاش حتى بلغ **92** عام و توفي عام **2010**.

❁ رجل لم يقتله السمّ و لا الرصاص : كان **راسبوتين** سياسياً هاماً في **روسيا** ، و كان له تأثير خاص على العائلة الملكية ، فتأمر عليه النبلاء و قاموا بدعوته إلى أحد القصور و وضعوا له السم في الطعام و الشراب ، لكنه لم يمت كما كان متوقعاً ، لذلك قاموا برميه بالرصاص و تركوه اعتقاداً منهم أنه توفى ، لكنه فاجأهم بخروجه من القصر راكضاً ، فأسرعوا خلفه يطلقون عليه الرصاص مجدداً و لكنه لم يمت ثانيةً ، فقيدوه و ألقوه في النهر المتجمد و كانت هذه الطريقة الوحيدة التي قتلته ..

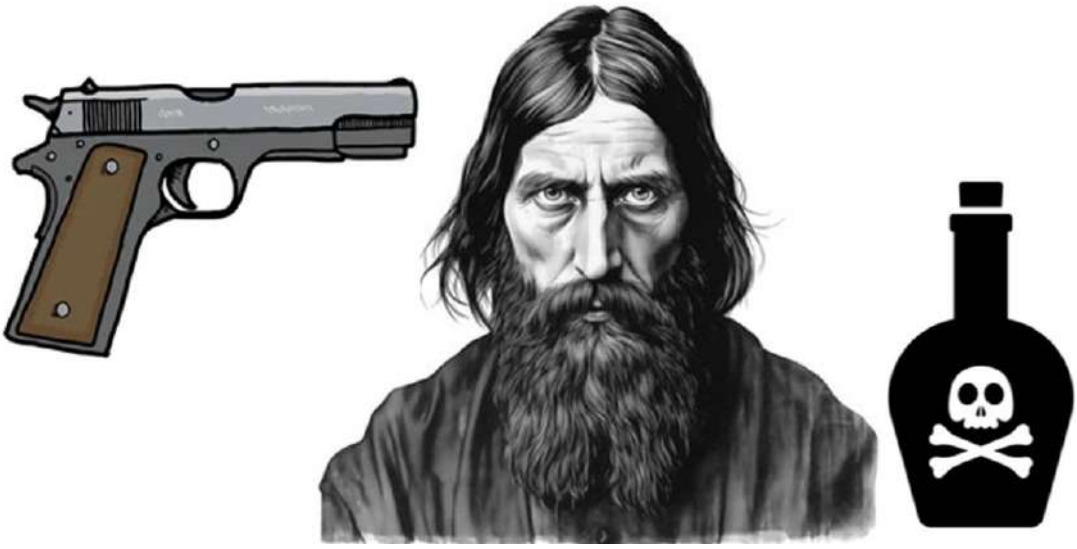

❁ شقه القطار نصفين و لم يمت : هل تتخيل أن يقوم القطار بشق إنسان نصفين ويخرج هذا الشخص من الحادث حياً؟ صدقت ذلك أم لا، لكنّ هذا ما حدث بالفعل **لترومان دنكان**، الذي كان يستقل قطاراً وسقط منه فجأة فعلق تحت عجلاته.. و لم يمت في هذه الحادثة، رغم أنّ القطار شقه إلى نصفين ، تم إجراء **23** عملية لإعادة

نصفيه إلى بعضهما مرة أخرى، وخرج من هذه العمليات بدون قدميه الاثنين و كليته، لكنه في النهاية خرج من المستشفى حياً.. !!

ولمزيد من الدهشة، فأنّ دنكان لم يفقد وعيه فوراً إثر هذا الحادث، بل بقي في وعيه لمدة **43** دقيقة وهو الذي استدعى الإسعاف بنفسه لنفسه ..

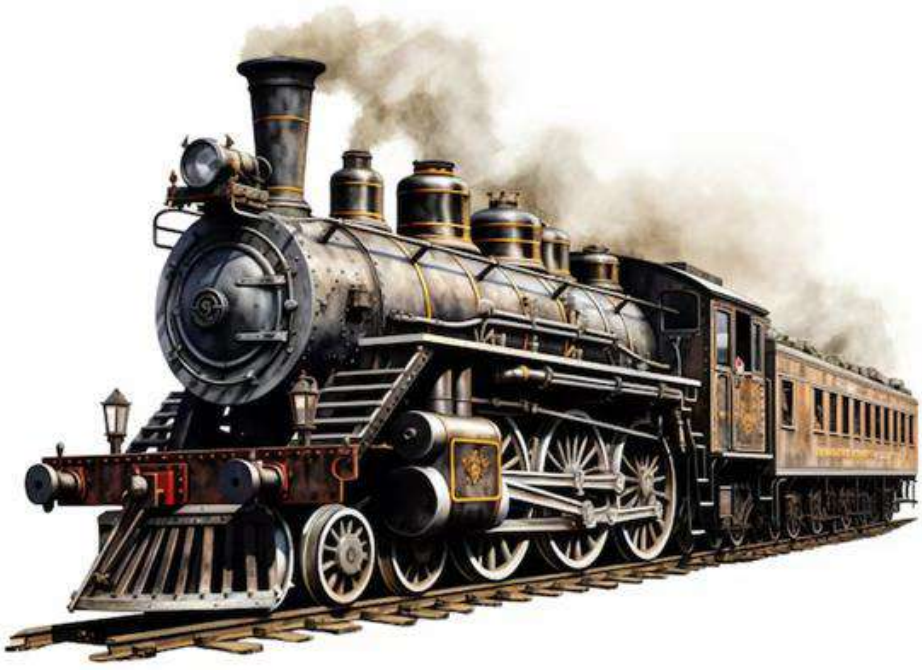

❁ رجل يتعرّض لجرعة أشعاع 400 ضعف الحدّ القاتل و لا يموت

: الباحث بمعهد فيزياء الطاقة في روسيا **أناتولي بوجوروسكي** ،تعرّض في إحدى المرات أثناء فحصه المعدات لإشعاع بقوة **200** ألف راد، من أكبر مسارع للجسيمات في الاتحاد السوفيتي ومر من دماغه مباشرة، مما أدى إلى انتفاخ وجهه بطريقة مرعبة جعلته بلا ملامح وبدأ جلده في التساقط ، كما أن الإشعاع

حرق وجه أناتولي وجزءاً من نسيج دماغه ، وعلى الرغم من أن جرعة إشعاع بقوة **500** راد فقط كفيلة بقتل أي إنسان، إلا أن الجرعة التي تعرض لها أناتولي البالغة **400** ضعف ذلك لم تقضِ عليه، و رغم هذا الحادث المروع إلا أن مخ أناتولي ظل سليماً وأكمل رحلته العلمية بنجاح، لكنه فقد سمعه في أذنه اليمنى وأصاب الشلل نصف وجهه بسبب احتراق الأعصاب التي تعرضت للإشعاع.. !!

❁ طفل يعيش بلا جزء من مخه : في عام **1987**

تعرض الطفل **أهاد إسرافيل** البالغ من العمر **14** عاماً لطلق ناري أصاب جمجمته وأفقده جزءاً كبيراً من المخ، حيث كان يعمل في أحد متاجر ولاية أوهايو، ولسوء حظه كان صاحب المتجر يجرب أحد الأسلحة فخرجت منه طلقة اخترقت جمجمة **أهاد** ودمرت الشق الأيمن من مخه.. تمكن المسعفون من نقل إسرافيل إلى المستشفى حيث أجري له عملية استمرت **5** ساعات.. و بعد الحادثة استطاع جراح تجميل أن يقوم بعملية زراعة سيلكون للجزء المفقود من جمجمة **إسرافيل**، وبعد هذه العملية مارس **إسرافيل** حياته بصورة طبيعية حيث يبلغ في وقتنا الراهن **43** عاماً، كما أنه تخرج من الجامعة مع مرتبة الشرف !!

❁ مثقاب يخترق جمجمته و لا يقتله : في عام **2003** وقع عامل البناء **رون هانت** وقع على ريشة المثقاب الكهربائي الحديدية، وكان طولها **45** سم، و لم

يمت! فقد كان رون يقف على سلم ويحفر في السقف، وعندما شعر أنّ السلم يهتز قام برمي المثقاب على الارض، و بعدها مباشرة وقع أرضاً، ولسوء حظه وقع رأسه على ريشة المثقاب التي صادف انها كانت متجهه للأعلى فدخل المثقاب رأس رون عبر عينه اليمنى وخرج من خلف جمجمته .. تم نقل رون للمستشفى، والاطباء قالوا أنّ الريشة عندما دخلت في عينه حركت المخ جانبا بدلا من اختراقه ، لذا قرروا أن ينزعوها من دماغه بسحبها مثلما دخلت بدلاً من الجراحة .. نجا رون من الموت ولم يصب بأي أعراض تدل على تضرر الدماغ ، الشيء الوحيد الذي فقده هو عينه اليمنى .. !!

❁ ضربه البرق 7 مرات و لم يمت !! : روي كليفلاند سوليفان هو مواطن امريكي عاش ما بين عامي **1912** و **1983** ، و كان يعمل كحارس لحديقة وطنية في ولاية فرجينيا ، و اشتهر بأنه تعرض لضربات الصواعق خلال حياته **7** مرات و نجى منها كلها

بأعجوبة لا يمكن تفسيرها إلا بحماية الله له ، حيث أنّ توتر الصاعقة الواحدة هو حوالي **300**

مليون فولت، أي مليون ضعف كهرباء المنزل الكفيلة بقتلك في العادة **!!**

و بمحصلة هذه القصص العجيبة كلها ، نعود إلى الآيات القرآنية التي عرضناها ، بأنّ الإنسان لا يموت إلا في يومه الموعود ، فإن كتب الله له الاستمرار بالحياة فلن تقتله أي شدّة ، لا صواعق ، لا إشعاع نووي ، لا سقوط من السماء ، لا سحق تحت القطار، لا غرق سفن ، لا تهشم دماغ و لا أي شيء آخر .. و هذا من زاوية أخرى هو إثبات فعلي على سيطرة الخالق على تفاصيل الكون ، فلا شيء يحدث إلا وفق إرادته .. لذا توكل عليه عزيزي القارئ و لا تحمل همّ أي شيء في الحياة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**المنايا خبط عشواء**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الموت عملية عشوائية و يمكن لأي حادثة في الحياة أن تقتلك ..

بل أن نقول :

= الموت عملية مبرمجة مسبقاً لكل إنسان من حيث (**الزمان** & **المكان** & **الطريقة**) من قبل أن يولد بالأساس و لا يمكن للإنسان أن يقدمها أو يؤخرها أو يهرب منها مهما فعل ..

يروى في متحف التاريخ أن الملك الطاغية **النمرود** قتلته بعوضة صغيرة دخلت إلى دماغه من أنفه فسببت له حالة من الجنون و العذاب الرهيب حتى أنه كان يطالب مساعديه بضربه على رأسه كي يخف الألم حتى انتهى به الأمر صريعاً.. لينطبق عليه مقولة الإمام **علي بن أبي طالب** :

(مسكينٌ بني آدم تُؤلمه البَقَّةُ وَ تقتله اَلشَّرْقَةُ)

فإن أراد الله أن يقتلك فأبسط الأمور كفيلة بتحقيق ذلك و إن أراد لك أن تعيش فلا شيء حرفياً في الكون يستطيع قتلك .. **فالمنايا** أبعد ما تكون عن (**خبط عشواء**) بل حوادث مدروسة و مبرمجة بمنتهى الدقة و الإبداع ..

و تبقى أهم حكمة في مغالطتنا :

(الموت كالولادة لا رأي للإنسان بهما ، لكنّ حياته بينهما بإرادته ليحياها كما يشاء ، و الأجدر به أن يحياها بما يعود على نفسه و على الآخرين و على السماء بالخير و الازدهار)

مغالطة الأنا والهوَ

(تجربة القصر)

وقف الشاب يتأمل اللوحة الفنية في المعرض و قد بثت في قلبه شيئاً من الرعب فهي تجسد بشراً يتصارعون بوحشية على متن طوف في وسط المحيط ، و زاد رعبه الصوت العميق للمرشد الفني من خلفه و هو يقول ..

= لوحة مخيفة بحق .. أليست كذلك ؟

التفت إليه و ابتسم ..

= بلا شك .. لماذا يتصارع هؤلاء الرجال على متن هذا الطوف سيدي ؟!

= للبقاء على قيد الحياة فمن يُقتل في المعركة سيؤكل لحمه ليستمر البقية أحياء ..

صعق الشاب من هذا الكلام و قال باستنكار ..

= ما هذه الهمجية و الوحشية ، أي خيالٍ مريض امتلكه

من رسم هذه اللوحة ؟!

= يؤسفني أن أقول لك أن الفنان الذي رسمها لم يأتِ بأي جديد من وحيه .. فاللوحة ليست إلا تجسيد لقصة حقيقية حدثت فعلاً على سطح هذا الكوكب ..

= هل تمزح ؟!

= إطلاقاً .. اللوحة تتحدث عن غرق السفينة **الفرنسية** الشهيرة (**ميدوسا**) عام **1816** غرب قارة إفريقيا و بالتحديد مقابل مدينة **نواكشوط** في **موريتانيا** ..

= و ما علاقة الطوف بالسفينة ؟

= فور غرق السفينة غادرها الأغنياء على متنها عبر قوارب النجاة، أما الفقراء من طاقمها و قد بلغ عددهم **157** شخصاً فغادروا على متن طوف صغير على أن تجره قوارب النجاة وراءها بالحبال ..

= و بعد ؟

= شعر الأغنياء بعد فترة أن جرّهم للطوف يبطئ من حركتهم لذا قطعوا الحبال التي تربطهم به كي يبحروا بشكل أسرع تاركين الطوف و من عليه في عرض المحيط لمصيره ..

= و ماذا حدث للفقراء على الطوف ؟

= للأسف بدأ اقتتال الرجال عليه من أجل البقاء على قيد الحياة و من انتصر فيهم عاش على أكل لحم من خسر

حتى عثرت عليهم سفينة بالصدفة بعد **13** يوم و قد تبقى منهم **15** شخص فقط ، وقد وثق هذه الحادثة الواقعية الرسام الفرنسي **تيودور جيريكو** و هو بعمر **27** سنة قبل أن يموت بعمر **32** سنة فقط ، لتخلد لوحته هذه اسمه و تلك الحادثة المريرة هنا في متحف اللوفر بباريس ..

= قصة هاربة من فلم رعب !!

= صحيح .. للأسف الإنسان كائن ميال إلى الأنانية المفرطة ، و لا يفكر إلا بنفسه و مصالحه ..

= و هذا ما تثبته تجربة السفينة ميدوسا ، فالأغنياء تخلوا عن الفقراء من أجل مصلحتهم ، و الفقراء قتلوا بعضهم لنفس الغاية ..

= تماماً و الخاسر الأكبر في هذه العملية هي الإنسانية كالعادة .. فالأنانية هي الخصلة الأسوأ في شخصية الإنسان لأنها منبع لكل ما هو سيء فيه .. أو كما يقول **المهاتما غاندي** :

(الأنانية هي مصدر كل الشرور)

*****

- **أنا مميز و لا شبيه لي ..**
- **ما أجمل أن أكون ملكاً يتبعني الملايين و يصغون لأوامري ..**
- **ما أفعله يستحق المديح .. و ما ينجزه غيري لا قيمة له..**

عبارات متنوعة يستخدمها بشر كثيرون في حياتهم كمبادئ و قناعات تجعلهم يحتقرون جهود الآخرين و يعظمون من إنجازاتهم الذاتية .. كما يميلون الى رؤية المحيط كخدم أو عبيد أو تابعين لهم يحترقون كوقود لأحلامهم و سعادتهم .. كحالة من تعظيم **الأنا** أو **الإيغو** كما يصفها الطب النفسي .. في يحين يسقط الهو من اعتباراتهم ليصبح أداةً بقبضة الأنا المتورمة في عقولهم ، و الخطير في الحكاية أن أغلب عظماء التاريخ (كما يصفهم البشر) اتهموا بهذا السلوك الأناني .. كحال **المتنبي ، دافنشي ، بتهوفن ، أينشتاين ، ستيف جوبز** و آخرين كثر ، إن كانوا كذلك بالفعل ! مما يخلق بين أيدينا مغالطة هامة و خطيرة للغاية في الحياة و هي مغالطة (**الأنا و الهو**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل الأنانية و الإبداع صنوان كوجهين لعملة واحدة ، بمعنى اننا يجب أن نركز على ذواتنا كي

نخرج أحسن ما فيها و بالتالي نبلغ السعادة في الحياة ؟ أم أنّ وجود الآخرين في حياتنا هو المسبب الأول للنجاح و السعادة ؟)

فأي الفرضيتين هو الصحيح ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية كمقاربة لمغالطة تهمّ البشر بلا أدنى شك و ترسم ملامح سلوكهم .. تتشعب خياراتها في عقولهم لتجعلهم في حيرة بين أي طريق عليهم اتباعه في حياتهم كي يبدعوا و يشعروا بالسعادة ، تقديرهم الكبير لذواتهم أم اهتمامهم بالآخرين ؟ و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا من **3** زوايا هامة للغاية :

① **حب الذات و الأنانية و النرجسية ..**

② **تجربة القصر ..**

③ **فلسفة أوبنتو ..**

فهيا بنا عزيزي القارب نخرج من عباءة الإيغو خاصتنا لنفهم أكثر حقيقة الحياة و أهمية وجود الآخرين من حولنا

أولاً ، حب الذات و الأنانية و النرجسية :

لنسرح قليلاً بخيالنا في الطبيعة من حولنا حيث نجد **نبات النرجس** الشهير و هو يسعى جاهداً للانفراد بالغذاء في

التراب لنفسه فيقتل جميع النباتات من حوله كي يحيا لوحده.. و من هذه الحقيقة العلمية اشتق اسم **اضطراب الشخصية النرجسية** في الطب النفسي، التي ينحو فيها المريض إلى قمع من حوله و تحقيره مع تعظيم ذاته و إنجازاته فقط ، فلا يرى في الكون على رحابته سوى شخصه و الباقي من حوله عبيد تحترق حياتهم و جهودهم لطموحاته و رغباته ..

و من نفس الزاوية نجد الأسطورة الإغريقية **(نرجس أو نرسيس)**.. ذاك الشاب الذي أصيب بلعنة فأغرم بحسن وجهه و بقي يتأمل انعكاس صورته على ماء البحيرة حتى قفز إليها من شدة إعجابه بنفسه و غرق !!

مما يعود بنا إلى سؤال مغالطتنا .. هل الاعتكاف على الذات هو أمر إيجابي و جميل كحال زهرة النرجس ،

يمنح الإنسان السعادة و يفسر ميله الفطري إلى الأنانية و الفوقية تجاه الآخرين !؟

على المقلب الآخر نجد مصطلحاً آخر كثيراً ما يختلط في عقول الناس مع الأنانية على نحوٍ خاطئ ، ألا و هو **حبّ الذات** ، فحب الذات أمر حميد بل ضروري للغاية كي نشعر بطعم الحياة و أهمية وجودنا فيها .. و كما يقال في المثل الشعبي :

(من لا يحبّ نفسه لا يعرف كيف يحب الآخرين)

أما الأنانية فهي حب الذات المتطرف و فيه لا يرى الإنسان سوى شخصه و إنجازاته في الوجود كما يحجم عن مقاسمة الآخرين مقتنياته أو مشاطرتهم سعادته ، و الأخطر أن تتفاقم أنانيته أكثر من ذلك فينهج سبيل نبات النرجس في حياته ، أي يسعى لتدمير كل من حوله كي ينفرد بنفسه على القمة .. و هنا يتحول إلى شخص نرجسي أي يبلغ (**ذروة الأنانية**) ..

ثانياً ، تجربة القصر :

تجربة رائعة و عميقة للغاية على بساطتها و تجيب بوضوح على سؤال مغالطتنا ، و فيها سأضع أمامك عزيزي القارئ ثلاثة خيارات كي تنتقي إحداها وفق قناعاتك و بمنتهى الحرية ، و هي :

- **أن تعيش في قصر مزود بجميع الخدمات بمفردك**

إلى الأبد ..

◈ أو أن تعيش في ذات القصر مع آلاف الخدم كعبيد لك إلى الأبد ..

◈ أو أن تعيش في ذات القصر مع آلاف الأصدقاء إلى الأبد.. ؟

و انتبه يا صديقي بأنك ستعيش في القصر في الحالات الثلاثة إلى الأبد.. و لاحظ أيضاً أن هذه هي الاحتمالات الثلاثة المتاحة منطقياً لأنّ الاحتمال الرابع مرفوض بالطبع من قبل الجميع و هو العيش في القصر مع آلاف الأعداء إلى الأبد ، فلا عاقل يقبل بذلك ، من منا يفضل وجود الأعداء من حوله ، بل إنّ ذلك أكبر مشاكل حياتنا في الدنيا !

لنحلل الآن كل خيار منها على حدة كي نتوصل في النهاية إلى الخيار الأنسب لنا منطقياً ..

❁ الخيار الأول : أن تعيش بمفردك إلى الأبد ..

ربما كانت الوحدة جميلة في بعض الأحيان بل ضرورية في ظروف معينة كي نتعرف على ذواتنا أكثر ، نرتب أفكارنا و أولوياتنا و نخطط لأحلامنا، لكن ليس إلى الأبد بالطبع .. فالإنسان بحاجة لإنسان آخر يتكلم معه ، يحدثه عن أحلامه ، مخاوفه ، همومه ، إنجازاته .. و هذه حاجة نفسية مثبتة بالعلم و التجربة لا بديل عنها لخلق إنسان سوي نفسياً ..

ما فائدة أي تفصيل في حياتك إن لم يكن هنالك من آراء و تعليقات عليه ، سواء كانت إيجابية تعزز من ثقتك بنفسك و تمنحك السعادة و الإحساس بالوجود و الفاعلية أو سلبية تصوب أخطاءك و تطور إمكانياتك فتخرج منك نسخة أفضل مما كنت عليه ؟.. ما قيمة الملك بلا حاشية أو الفنان بلا جمهور .. الناس من حولنا هم من يمنحوننا الوجود ،التطور ، المواساة ، الأنس و السعادة ، و ما اشتق لفظ الإنسان إلا من حاجته للإنس و قدرته على منحه لغيره كحاجة نفسية لا تفوقها أي حاجة أخرى .. و كما قيل في التراث :

(الجنة بلا ناس ، لا معنى لها من الأساس)

أي أنّ امتلاكك لكل شيء حرفياً ربما يمنحك السعادة لفترة من الزمن ، لكن ليس للأبد بكل تأكيد .. إذ سيفقد كل شيء معناه بعد مرور الوقت دون مشاطرتك إياه مع آخرين ..

❁ **الخيار الثاني** : **أن تعيش وسط جماعة تخدمك إلى الأبد ..**

ربما في بادئ الأمر سيمنحك ذلك شعورا بالتميز و الزعامة ، تماماً كحالة الديكتاتور على شعب لا يعنيه حالهم بل يرى فيهم أبواقا لمديحه و الطاعة العمياء له ، أو سيد في مزرعة من العبيد يستلذ بحريته على عكسهم و بإلقاء الأوامر عليهم، و لا تستهجن عزيزي القارئ بأن ذلك هو حلم كل إنسان و لو لفترة من حياته ، أن يشعر بالأهمية ، التميز ، التفوق على الآخرين ، السلطة و التحكم بغيره ، و إلا لما وجدنا صفحات التاريخ تغصّ بأعداد هائلة من الملوك الطغاة و لما لاقت العبودية رواجاً هائلاً لفترات طويلة من الحياة ..

و الذين من أجلهم نقشت مقولة (**أنا و بعدي الطوفان**) و عبارة (**اللهم أسألك نفسي**) في ضمائر الملايين مما جعل الشاعر الكبير **محمد مهدي الجواهري** يبدع أبياته الأيقونية هذه:

لحفظ الأنانيات سنّت مناهجُ

على الخلق صبّت محنةً و مصائبا

هي النفس نفسي يسقط الكلّ عندها

إذا سلمت فليذهب الكون عاطبا

بلى ربما أهوى سواها لأنه

يجرّ إليّ شهوةً و مآربا

و أنت نفسك يا صديقي ، ألا تحلم بأن تصبح زعيماً خلفه الحشود أو فنانا تهتف له الجماهير .. ؟

و لكن ..

بالعودة إلى النقطة الأساسية في تجربتنا و هي بقاء الأمور كما هي (**إلى الأبد**) .. في الحقيقة إن استمر هذا الوضع على ذات المنوال إلى ما لا نهاية فسيؤدي بلا شك إلى تصحر الروح ، تحجر القلب و تورم العقل تكبراً حتى تفقد كل هذه المزايا و مشاعر السعادة الزائفة معناها لتتحول إلى غيرة و حسد لجماعة الخدم و العبيد من حولك ، كيف أنهم يتشاطرون حياتهم و مشاعرهم ، في حين أنك تقبع وحيداً على عرشك بلا خليل أو شريك تحبه و يحبك و تتقاسمان تفاصيل الحياة سوياً ، و من أجل هذه الخلاصة بالتحديد أكد لنا الخالق تعالى بنفسه أنّ (**الأنا**) لوحدها لا تدوم و لا تفضي إلى سعادة فنجده بنفسه و

عظمته يستخدم في قرآنه كلمة (**هو**) و ليس (**أنا**) ليصف ذاته في جميع المناسبات تقريباً ، كقوله :

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهنّ سبع سموات)

و قوله :

(الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم)

و أيضاً :

(و أنه هو أضحك و أبكى * و أنه هو أمات و أحيا)

و عشرات الآيات الأخرى ..

في حين نجد لفظ (**الأنا**) في وصف فرعون الطاغي لنفسه بالقول : (**أنا ربكم الأعلى**) .. و في هذه إشارة عظيمة و بليغة من الله إلى الاهتمام بالآخر قبل الذات لبلوغ السعادة و فهم معاني الحياة ..

و لتوضيح حاجة الإنسان الملحة للآخرين نذكر حالة مرض التوحد عند الأطفال ، ففيه ينغلق الطفل على ذاته و يعجز عن تكوين صداقات أو تواصل مع المحيط مرضياً ، لكنه رغم ذلك و بسبب حاجته النفسية العميقة للآخر نجده يستخدم ضمير الغائب للحديث عن نفسه و كأنه يريد صديقاً و لو تخيلياً ، فمثلاً إذا كان اسم الطفل المتوحد هو آدم ، فإنه يقول إذا عطش : (**أدم يريد أن**

يشرب) أي يشير إلى الأنا بالهو ليغذي حاجته العميقة لوجود الآخرين من حوله ..

و كم هو نبيل و رائع **المهاتما غاندي** عندما صرّح بأنه يكره لعبة الشطرنج التي أبصرت النور في وطنه الهند لأنه يرفض فكرة أن تضحي القطع بنفسها تباعاً كي يبقى الملك حياً و خالداً بمفرده !

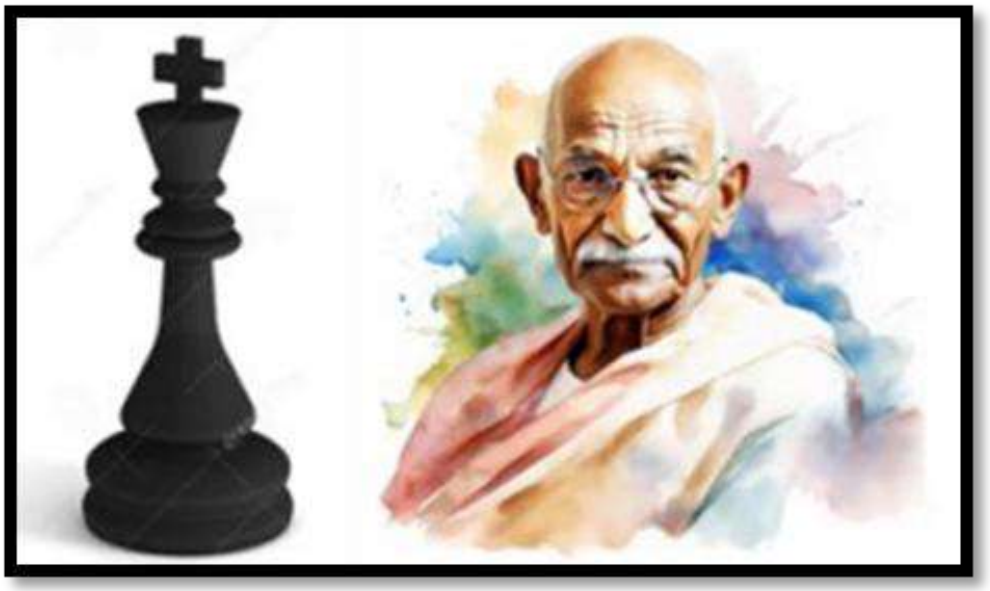

❁ **الخيار الثالث** : **أن تعيش وسط جماعة من الأصدقاء تتقاسمون لحظات الحياة إلى الأبد ..**

و بمقاربة بسيطة نجد أننا في هذه الحالة سنَحب و نُحب ، نَخدم و نُخدم ، نَتبع و نُتبع ، نتلقى الإطراء على إنجازاتنا و نقدر إنجازات الآخرين ، نلقي بهمومنا على أكتافهم و نحمل عنهم همومهم ، نخلو بأنفسنا لفترات و نتمتع بالأنس بين الآخرين في فترات أخرى .. أي ببساطة نحصل على مزايا الخيارين السابقين كلها مضافاً

لها إيجابيات جمة أخرى جديدة ، فلا ينقصنا شيء في حياتنا لتغدو متكاملة من جميع الجوانب .. مما يوصلنا إلى النتيجة الحتمية التي لا منافس لها بأن الحياة مع الأصدقاء إلى الأبد هو الخيار السليم ، و ما هذه إلا غاية الله من خلق البشر و تكوين الجنان لهم كي يعيشوا فيها سوياً كأصدقاء و عائلة واحدة كبيرة إلى ما لا نهاية .. في حين أنّ هذه الدنيا عبارة عن مجموعة تجارب يضع فيها الخالق أمامنا الخيارات الأربعة السابقة (**كيف نفضل أن نعيش في قصر الآخرة إلى الأبد ؟**) لنتوصل إلى الخيار الصائب بأنفسنا كقناعة متجذرة في أرواحنا ..

ثالثاً ، فلسفة أوبنتو :

فلسفة مذهلة تتماهى مع ما توصلنا إليه في تجربة القصر السابقة بمنتهى الروعة ، و تشيع في إفريقيا.. تقوم على مبدأ :

(أنا أكون لأننا نكون)

أي أن تعم الفائدة على الجميع و لا يحتكرها شخص بمفرده لنفسه ، و هنالك قصة عميقة ذات مغزى مرتبطة بهذه الفلسفة .. تتناول أحد علماء الاجتماع الذي قام بعرض لعبة على أطفال قبيلة **كسوزا** الإفريقية بوضع سلة من الفواكه اللذيذة قرب جذع شجرة و أخبرهم أن أول من يصل منهم إلى الشجرة يفوز بالسلة كلها .. لكنه عندما أعطاهم إشارة البدء تفاجأ بهم يسيرون سوياً

ممسكين بأيدي بعضهم البعض حتى بلغوا الشجرة وتقاسموا الفواكه من السلة سوياً .. و عندما سألهم لماذا فعلوا ذلك في حين كان بإمكان أحدهم الفوز بالسلة بأكملها لنفسه، أجابوه بتعجب : **أوبنتو** !! أي كيف يستطيع أحدنا أن يكون سعيداً فيما الباقون تعساء ؟؟!!

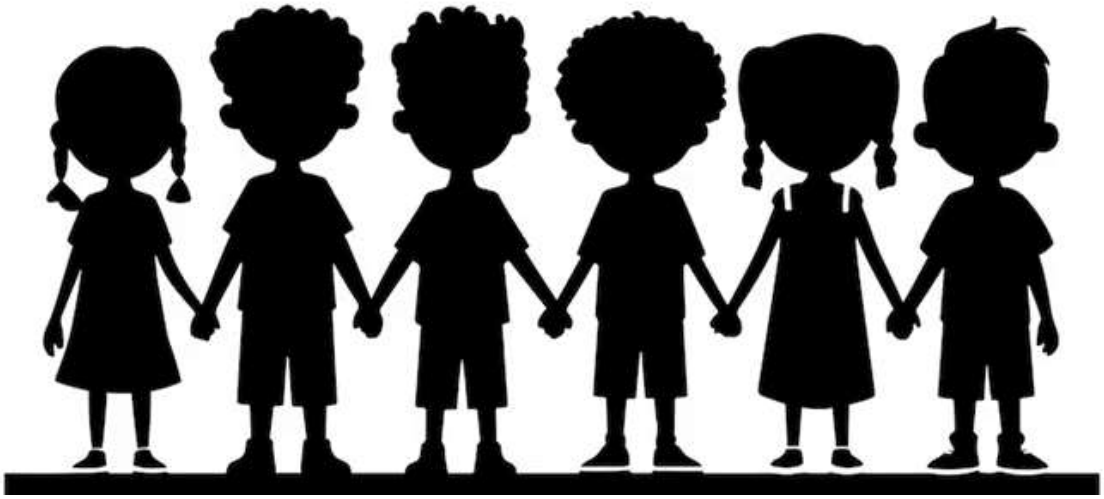

و هذا سر هام من أسرار الحياة التي تجهلها المجتمعات التي تدعو نفسها متحضرة ، في حين اكتشفه أفراد قبيلة بدائية ..

و هذا ما نجده في الأديان أيضاً عندما قال نبي الرحمة محمد :

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

كما نجد رسول المحبة **يسوع المسيح** يقول :

(تحب الرب إلهك و من كل قلبك، ومن كل نفسِك و من كل فكرك .. هذه هي الوصية الأولى العظمى و الثانية

مثلها : تحب قريبك كنفسك .. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس)

و التاريخ يعج بآلاف الأقوال لعظماء توصلوا إلى هذه الحكمة فأورثوها لنا بكلمات رائعة :

فيقول **الفيلسوف زرادشت** :

(السعادة تأتي لمن ينشرها)

و يقول الإعلامي الأمريكي **برنارد ملزر** :

(السعادة مثل القبلة، يجب مشاركتها للاستمتاع بها)

و أيضاً كلام **المهاتما غاندي** :

(تتوقف السعادة على ما تستطيع منحه، لا على ما تستطيع الحصول عليه)

كذلك قول الفيلسوف الفرنسي **أوغست كونت** :

(كي تحتفظ بالسعادة ، يجب أن تتقاسمها مع الآخرين)

و نختم بحكمة الأديب الكبير **نيكوس كزانتازاكيس** :

(الطريقة الوحيدة لتخليص نفسك هي بمساعدة

الآخرين)

في المثل الغربي مقولة شهيرة تقول :

there is no i in team

أي لا وجود للأنا في كلمة (**فريق**) .. أي علينا أن نتعاضد سوياً ممسكين بأيدي بعضنا لتحقيق الأحلام و بلوغ السعادة للجميع كأطفال إفريقيا و فلسفة أوبنتو بالضبط ..

و بالخلاصة نجد أنّ الأنانية أو النرجسية ليستا مرادفتين للإبداع و النجاح و السعادة .. بل إنّ السعادة التي يمنحها لنا الأحباء و ملاحظاتهم القيمة إيجاباً أو سلباً على أعمالنا هي ما تخرج منا أفضل نسخة ممكنة لذواتنا فنبدع بالفعل .. و أشك كثيراً أن عظماء التاريخ جهلوا هذه الحقيقة ، فالأنانية لا تقود إلا إلى الفشل عاجلاً أم آجلاً إذ هكذا صمم الله الحياة .. و في شعر **المتنبي** التالي ما يؤكد لنا ذلك و هو من أكثر الشخصيات التي اتهمت بالغرور و النرجسية في التاريخ العربي في حين نجده قد توصل إلى خلاصة مغالطتنا بنفسه فقال :

شرّ البلاد مكان لا صديق به

و شرّ ما يكسب الإنسان ما يصمّ

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الأنا و الهو**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أنا و بعدي الطوفان ..

بل أن نقول :

= أي حياة هذه إن ذهب الطوفان بالجميع و بقيت لوحدي .. ؟!!

ما قيمة أن أبقى و لو ملكاً بدون حاشية ؟! بل علينا أن نسعى كلنا لبناء سفينة لنا تنجينا جميعاً من طوفان النكبات في الحياة ..

و ألا نقول :

= أفضل العزلة بعيداً عن ضجيج الحياة و مكائد البشر ، كما تستهويني فكرة أن أكون سيداً يتبعه الآخرون..

بل أن نقول :

= العزلة جميلة بل ضرورية أحياناً ، كذلك حال الشهرة و السلطة .. لكن ليس إلى الأبد من جهة ، فعندها ستفقد مزاياها و تتحول إلى كابوس حقيقي يسلبنا كل جميل ، و من ناحية أخرى فإنّ وجودي ضمن فريق من الأصدقاء لن يحرمني من هذه المتع لفترات من حياتي .. فالأصدقاء يمنحونك مساحة لنفسك متى أحببت ، كما أنهم يطرون على إنجازاتك و يتبعون توجيهاتك السليمة و المفيدة برحابة صدر و وفاء ، ناهيك عن كونهم السند الذي تتكئ

عليه عندما تعصف بك الهموم و المصاعب كما ينبغي أن تكون عكازهم في النكبات ..

في قصة حياة **بوذا المستنير** أو ما يعرف **بسيدهارتا** ما يوجز مغالطتنا السابقة برمتها ..

فقد ولد بوذا في قصر والديه الأثرياء ، و حصل على كل شيء حرفياً ، لكن ذلك وهبه سعادة مؤقتة لفترة من حياته ثم أدرك بعدها أن امتلاك كل شيء لا يمنح سعادة أبدية .. لذا تخلى عن كل ذلك و هام في بقاع الأرض يبحث عن سر السعادة الأبدية بنفسه ليجده في النهاية من خلال **النيرفانا** (التحرر من العبودية للدنيا و أنانيتها و مغرياتها) عبر الالتفات إلى الآخرين و مشاطرتهم الحياة

بحلوها و مرها .. لتكون أجمل مقولات بوذا الأيقونة التالية :

(إن أعظم مصدر للسعادة هو الاعتناء بالآخرين)

مغالطة الشهر النسيء

(اليوم استدار الزمان)

= هل ستصحبني يا صديق كي نزور السيد عبد الله بعد عودته من الحجّ ؟

= بالطبع ، فهي زيارة ذات غايتين معاً ، المباركة له بإتمام فريضة الحج و الاطمئنان على صحته أيضاً ، لا بدّ أنك سمعت بحالات الإغماء و التجفاف الكثيرة التي جرت للحجاج في شهر آب المنصرم ، و من بينهم صديقنا عبد الله ..

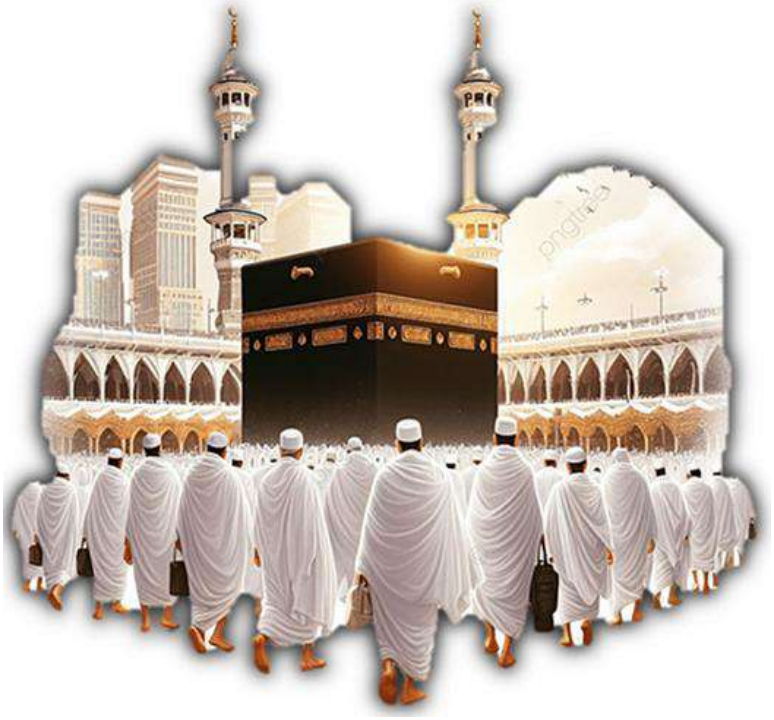

= بلى سمعت ، كيف يمكن تشريع الحج في مثل هكذا مناخ حارّ و جافّ ، في منطقة صحراوية حارقة كمكة المكرمة.. إنها تنهك الشباب اليافعين فما بالك بشخص كعبد الله تجاوز الستين من العمر !؟

= غير منطقي بالفعل ، إنه مشابه لتشريع صيام رمضان من شروق الشمس حتى غروبها في المناطق البعيدة عن

خط الاستواء التي يستمر فيها النهار لأكثر من عشرين ساعة في بعض الشهور ..

= إنّ هذا يتعارض مع الرحمة الإلهية .. ثمة شيء خاطئ وغير مفهوم !

= هذا ما أشعر به بدوري ..

*****

لقد تكرر هذا الحوار كثيراً للأسف عبر العقود الطويلة المنصرمة عندما تحول دين الرحمة الإسلام إلى نوع من التعذيب يفوق طاقة بعض البشر في بعض الظروف ، فتحولت الأركان التي شرعت كي تمنحنا السلام الداخلي إلى مشقة تنفرنا منها و تبثّ الشكوك في أرواحنا ، مما يفضي بنا إلى مغالطتنا الجديدة و الخطيرة (**الشهر النسيء**) مع سؤالها الهام المنبثق عنها :

(إن كان الإسلام دين رحمة بتوثيق من القول الإلهي :

{ و ما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين }

فكيف نجد بعض التشريعات الأساسية فيه مناقضة تماماً لهذه الرحمة، كالحجّ في ذروة الحرّ أو الصيام ليوم كامل متواصل أو حتى القتل و الصيد في

مواسم تكاثر الحيوانات ، هل هو تشكيك في جوهر الدين أم أنّ ثمة حلقة مفقودة في الحكاية تفسر هذا التناقض العجيب ؟)

و الجواب المبدئي المبسّط على هذا السؤال هو :

(بالطبع الإسلام كغيره من الأديان الإلهية يدعو إلى الرحمة و الرأفة بالحيوان و النبات فما بالك بالإنسان غاية الخلق و الحياة ، لذا فأي تشريع يتناقض مع هذا التوجه يفترض بالضرورة وجود خطأ بشري و ليس إلهي عبث بهذه الرحمة)

و لمقاربة هذا الجواب بشكل مفصّل أكثر سنقارب مغالطتنا الجديدة من زاويتين هامتين للغاية :

① **الأولى** : الدليل المنطقي الذي يؤكد وجود عيوب بشرية في بعض الاجتهادات أو الفتاوي ..

② **الثانية** : السبب الكامن خلف هذا الخطأ ، أي أين بدأ الخطأ من جذوره .. ؟

فهيا بنا عزيزي القارئ نمسك العدسة المكبرة و نقتفي الأثر عوداً بالزمن إلى الوراء كي نفهم ما الذي حدث

على أرض الواقع ، و كيف وصلنا إلى ما نحن عليه ؟

أولاً ، الدليل على الخطأ البشري :

و هذا الدليل على بساطته لا يدع مجالاً للشك بوجود هذا الخطأ ، و هو يتناول أسماء الشهور القمرية التي تسقط القناع عن سراب ما نتبعه اليوم في تطبيق أركان الإسلام على النحو التالي :

۞ **شهرا ربيع الأول و ربيع الثاني** تحصّلا على اسميهما من فصل الربيع كما يبدو بشكل جليّ و واضح .. لأنهما كانا يأتيان على الدوام في هذا الفصل ..

۞ **شهرا جمادى الأولى و جمادى الآخرة** تحصّلا على اسميهما من جمود حبات القمح في سنابل القمح بعيد الربيع و قبيل الصيف ، أما القول بأنهما يأتيان في فصل الشتاء عندما تتجمد المياه من شدة البرودة ، فهو نظرية غير منطقية حسب تراتب الأشهر فهما يأتيان بعد شهري ربيع الأول و الثاني أي بعد فصل الربيع !!

❁ **الأشهر الحرم الأربعة** و التي تشتمل على: ذي القعدة (**قعود العرب عن القتال**) و ذي الحجة (**الحج**) و محرّم (**تحريم القتال**) و رجب (**رجب النصال عن الأسهم أي نزعها ، بمعنى الامتناع عن القتال أو الصيد خلاله**) ..

❁ **صفر** و قد اشتق اسمه من خروج العرب للحرب أي بمعنى آخر (**تصفر البيوت بخلو ساكنيها**) ..

❁ **شعبان** و اشتق اسمه من تشعب العرب بين حرب و تجارة بعد قعودهم في رجب ..

❁ **رمضان** و يعود اسمه إلى الرمض و هو الغيث الذي يأتي في نهاية الصيف و بداية الخريف أي ان رمضان كان يأتي في أواخر الصيف دوماً بحدود شهر أيلول..

❁ **شوال** و الذي يشير إلى شول الإبل بأذنابها أي رفعها دعوة للتزاوج و يقال تشويل ألبان الإبل أي (نقصانها)

و في الحالتين هاتان الظاهرتان تحدثان في فترات معينة من السنة..

ننتقل الآن إلى الموضوع الخطير و الحسّاس الذي تتناوله مغالطتنا ، فبعد تحريك الأشهر القمرية على مدار الفصول انبثقت لدينا مشكلة حقيقية و كارثية سببت اختلال الميزان السائد إبان نزول القرآن و المنسجم مع أسماء الأشهر القمرية عند العرب و عاداتهم في كلّ منها ، و سنورد بعض أوجه هذه المشكلة على سبيل المثال لا الحصر :

1 ***اختلال معاني أسماء الشهور القمرية*** : فربيع الأول أصبح من الممكن أن يأتي في الشتاء!! و هو كاسمه مشتق من فصل الربيع ، فهل ذاك منطقي ؟ و شّوال موسم تزاوج الإبل سيأتي في غير ذلك .. و هذا ما ينسحب على بقية الشهور القمرية أيضاً !!

2 ***شهر رمضان أصبح من الممكن أن يأتي في حرّ الصيف اللهاب*** ،على نحوٍ خطير على صحة الصائمين طبياً ، فهل يعذّب الله عباده خاصة من يقيمون منهم في بيئات صحراوية كحال مهد الإسلام في شبه الجزيرة العربية بالصيام في هذه الأجواء الخانقة التي تسبب بلا أدنى شك التجفاف للصائمين مما يعرض صحتهم و ربما حياتهم للخطر ! في حين نجد أنه في التوقيت الأصلي لرمضان خلال شهر أيلول تتساوى فترة النهار تقريباً في

أغلب بقاع الأرض و تكون فترة معقولة فيزيولوجياً للصيام و معتدلة المناخ عبر أصقاع الكوكب ، و بذلك يسود العدل بين الناس من حيث مدة الصيام و ظروفه المناخية الموافقة ، ففي بقية فترات السنة هنالك مناطق على وجه الأرض لا تغيب فيها الشمس تقريباً..

③ *الحج كان يتم في الزمان الأول خّلل فترة الشتاء رحمةً بالحجاج الذين يأتون من كل بقاع الأرض*

فيقطعون ربما مئات أو آلاف الكيلومترات حتى يصلوا إليها بحيث يكون الجو معتدلاً في منطقة الحج (مكة)

، أما لاحقاً فأصبح من الممكن أن يتم الحجّ في ذروة لهيب الصيف مما يعرض الحجاج لضربات الشمس و التجفاف خلال أسفارهم أو خلال ممارسة شعائر الحجّ في العراء

حليقي شعر الرأس، و في التاريخ توثيق لآلاف الإصابات و الوفيات بسبب الحرّ الشديد في بعض مواسم الحجّ ، فإن كان الإسلام دين رحمة ، فأين الرحمة في ذلك ؟ هل يعقل أن يحج المرء في شهر آب اللهاب مثلاً في ذروة لهيب شمس الصحراء حليق الرأس .. إنه أقرب إلى الانتحار الذي حرّمه الله..!!

④ *الأشهر الحرم التي حرم الله فيها الصيد لغاية نبيلة وهي عدم إيذاء الطيور في فترة التعشيش و التفريخ*

لأنّ الطيور الجديدة الصغيرة تعتمد على آبائها في تغذيتها ، فإن تم صيدها و قتلها ماتت الصغار في أعشاشها ، و بالتالي إذا لم تكن هذه الشهور ثابتة اختلت هذه الغاية و تأذت الطيور البالغة منها و الصغيرة على حد سواء إذ قد

يسمح بالصيد في تلك الفترة الحساسة من دورة حياة الحيوانات ..

ثانياً ، السبب الكامن خلف هذا الخطأ البشري:

و نستهلّ هذه الزاوية بالتفسير اللغوي لكلمة تقويم و التي تعني حرفياً تصحيح المسار للملاءمة ، و هنا يأتي دور الشهر النسيء الذي كان يضاف إلى السنة القمرية كل مدة من الزمن للحفاظ على تراتبية الشهور القمرية و انسجامها مع الفصول حفاظاً على الأهداف التي ذكرت سابقاً أي أنه كان يقوّم الخطأ و الاعوجاج .. أما اليوم فلا تقويم حاصل بل مزيد من الاعوجاج و التخبط بين الأشهر القمرية و فصول السنة ..

لنتعرّف الآن أكثر على هذا الشهر الذهبي الهام أو الشهر النسيء بالعودة إلى جذوره قبل الإسلام :

❁ النسئ هو شعيرة من شعائر العرب في الجاهلية كان يقوم بها **بنو فقيم** من **قبيلة كنانة العدنانية** حيث قام

العرب وقتها بإضافة **11** يوماً كل عام أو **33** يوم كلّ **3** سنوات .. لردم الهوة بين التقويمين القمري و الشمسي بغية ضبط مواقيت :

- **الفصول الأربعة**
- **الزراعة**
- **التجارة**
- **الحجّ**
- **الصيد**
- **رحلتا الشتاء و الصيف الشهيرتان**
- **المناسبات الدينية**
- **الحروب**

❁ أول من نسأ الشهور هو **سرير بن ثعلبة** الكناني العدناني في الجاهلية و تابع العرب المهمة من بعده لأهميتها و منطقيتها و تنظيمها لحياتهم ..

نأتي الآن إلى مقاربة أكثر نقطة حساسة في هذا الموضوع و التي تسببت بشرخ و اختلاف فكري كبير بين المسلمين و هي التفريق بين مصطلحين هامين للغاية :

① إضافة الشهر النسيء بغية المحافظة على توازن الفصول ، المواسم ، العادات و المناسبات ..

② النسيء المحرّم في القرآن في سورة التوبة :

(إنما النسيء زيادة في الكفر يُضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً و يحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله)

فكما هو واضح في الآية على نحوٍ لا لبس فيه ، فالله هنا لا يحرم الشهر النسيء بحد ذاته ، فهو شهر هام يضبط حياة البشر و ينظم تفاصيلها و لا ضير منه على الإطلاق ، بل هو تحريم الله لتلاعب العرب في الجاهلية بالشهر النسيء بحيث كانوا يحللون القتال في الأشهر الحرم أحيانا لغايات و مكاسب شخصية ، ثم يعوضونها بتحريمه في الأشهر الحلل ، كذلك الحجّ أيضاً، فكانوا يحجون حسب رغباتهم ، فإن تناسبت مواعيد الحجّ مع أهوائهم و مصالحهم أحلوه، و إن تعارضت معها أجلوه ضاربين عرض الحائط بالظروف المناخية الصعبة التي قد تلحق

بالحجاج ، أي كما يحدث هذه الأيام بالضبط ! و نجد ذلك جلياً في الأبيات الشعرية التالية **لعمير بن كنانة** التي يتفاخر فيها بسلوك قومه الشاذّ هذا في الجاهلية :

لقد علمت معد أن قومي

كرام الناس أنّ لهم كراما

فأيّ الناس فاتونا بوترٍ ؟

و أيّ الناس لم نعلك لجاما ؟

ألسنا الناسئين على معدٍ ؟

شهور الحلّ نجعلها حراما

بعد التطرق إلى هذه الآية الخطيرة و تفسيرها المختلف عليه بدون داعٍ كما شرحنا ، لا بدّ هنا من ذكر حادثة غاية في الأهمية جرت في **حجة الوداع** سنة **9** هجري عندما قال نبي الرحمة :

(اليوم استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض)

فهنالك آراء مثيرة للاهتمام تشير إلى أن ما قصده الرسول بكلامه هذا أنه في ذاك اليوم عاد ترتيب الأشهر القمرية

لنصابه الصحيح بعد تلاعب الجاهليين به بحسب مصالحهم ، بحيث يمكن للمسلمين ابتداءً منه إضافة الشهر النسيء بشكل مناسب من جديد كل فترة لإعادة ضبط الفصول و المواعيد و المناسبات لتعود الرحمة الإلهية فتلقي بظلالها على البشر في تطبيق الأركان من حجّ و صيام و على الحيوانات أيضاً بحمايتها من القتل و الصيد في فترات التكاثر و التعشيش ..

أي أنّ شهر ذي الحجة الذي تمت فيه حجّة الوداع جاء بين الخريف و الشتاء كما ينبغي ..

للأسف لاحقاً بعد وفاة الرسول محمد و بعد اعتماد السنة الهجرية كبداية للتقويم القمري تم إسقاط الشهر النسيء من الإسلام بدون تبرير على الإطلاق لتمضي السنون بدون تقويم فاعوّج مسارها واختلطت الفصول فأصبح رمضان يأتي صيفاً و الحج في ذروة الحر و الأشهر الحرم خارج مواعيد تفريخ الحيوانات و التجارة و الزراعة في مناسبات مختلفة غير ثابتة أو مناسبة .. في حين لا تزال هنالك شعوب كثيرة حتى اليوم كاليابانيين ، الصينيين ، الهنود و اليهود تضيف أياماً لكل سنة قمرية للحفاظ على توازن التقويم القمري الذي تخلى الإسلام الأولى به عنه !!

بعد مقاربة موضوع ترتيب الأشهر القمرية و انسجامها مع فصول السنة و المواسم و المناسبات عبر الزاويتين السابقتين ، أظن عزيزي القارئ أنك ستفكر منطقياً ثانيةً في السراب العبثي الذي يلاحقه المسلمون منذ قرون و الذي يخلق العناء و المشقة و اختلال ميزان العدل و المساواة بينهم في تطبيق أركان الإسلام .. علّنا بهذه المقاربة المتواضعة لهذه المغالطة المهمة نلقي حجراً في مستنقع الموروث السائد الراكد فنستحث الهمم و العقول لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح فتسود الرحمة الإلهية حياتنا من جديد .. كما قال البارئ في الذكر الحكيم :

(**يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر**)

و قوله أيضاً :

(**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**)

فما نعاني منه اليوم من ظلم في تطبيق الأركان هو خطأ بشري سببناه لأنفسنا و الله سبحانه بريء منه ..

و كمعلومة أخيرة غريبة و هامة فإن شهر رمضان و بسبب دورانه بحذف الشهر النسيء سيأتي في عام **2030** مرتين في أوله و في آخره ، فهل من المنطقي أن نصوم مرتين في عام واحد أو لا نصوم أبداً في عام

آخر !! ثمة خطأ حادث بلا أدنى شك !!

*****

في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة الحسّاسة (**الشهر النسيء**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الله الذي خلقنا غير عادل في توزيع المهام و المسؤوليات ، كما أنه يعرض صحتنا و حياتنا للخطر عند تطبيق بعض أركان الدين في بعض السنوات ضمن ظروف مناخية صعبة للغاية ال تلائم فيزيولوجيا الجسم البشري ..

بل أن نقول :

= الله رحيم و الإسلام دين رحمة و عدل .. و أيّ موضوع يفتقر إلى هذين الصفتين يطرح إشارات استفهام كثيرة عن وجود خطأ بشري سبب هذا الاختلال فعلينا العودة إلى العقل و جذور المشكلة لتصويب الخطأ ، كي لا ينطبق علينا قوله تعالى :

(**و ما ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون**)

لا تؤجر عقلك و روحك لأي شخص يتحدث و يناقش في علوم لا يفقه فيها أو يفتي بأمور يرفضها العقل و المنطق جملةً و تفصيلاً ، فتكون ككسيح يقوده أعمى إلى الهاوية

.. بل كن سيد نفسك بأن تأخذ ما يوافق عليه العقل و المنطق و ترفض كل ما يخالفهما .. أما بوصلتك الوحيدة فينبغي أن تكون (رحمة الله) ، فأي شيء يجلب المشقة اللاإنسانية تأكد أنه من غير الله .

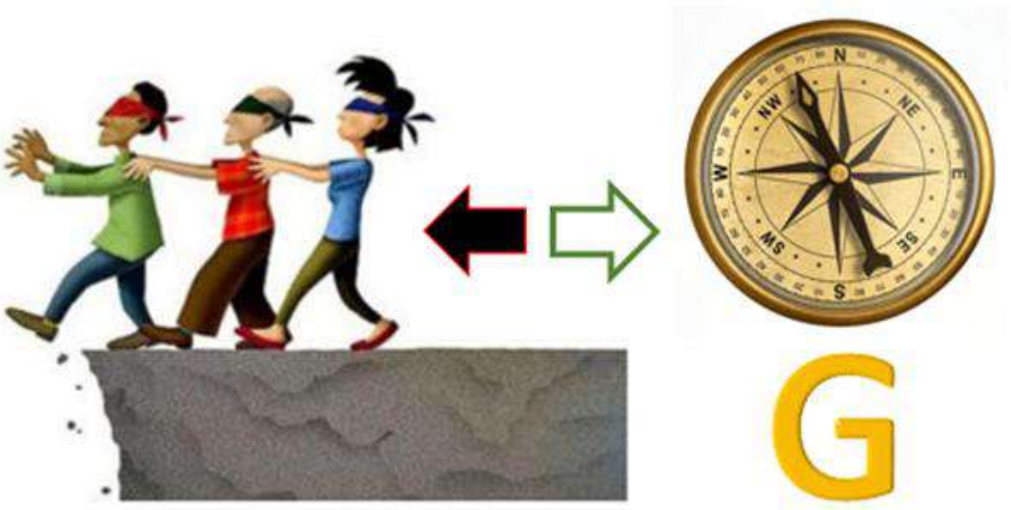

مغالطة لعنة الفراعنة

(خرافة الكارما)

= بروفيسور جاك أخبار هامة للغاية ..

= قل على الفور يا فتحي ..

= عثرنا على حجرة الملكة كليوبترا أخيراً ..

= متأكد ؟

= بالطبع .. هذا ما كتب على جدران الحجرة ، و لكن..

= لكن ماذا ؟

= مكتوب أيضاً أنّ من يتجرأ على انتهاك حرمة قبرها سيفتح الباب للعنة هائلة عليه ..

= هذه ليست مشكلة يا فتحي .. هذا ما يكتب عادة على جميع الغرف الملكية .. قدني بسرعة إليها ..

تم فتح الناووس و عثر على مومياء كليوبترا المحنطة بالفعل مع عشرات القطع الأثرية التي لا تقدر بثمن .. و لكن ..

بعد بضعة أيام من ذلك الاكتشاف الضخم عانى البروفيسور البريطاني جاك و العامل فتحي من التهاب رئوي حاد أنهى حياتهما في غضون ساعات ، كما تعرض مساعده البروفيسور المصري خالد لحادث سير أودى بحياته و حياة زوجته و ولديه .. أكثر من ذلك تعرضت مختلف مناطق مصر لهزات أرضية قوية .. فهل هذه هي لعنة الفراعنة المشهورة ؟ أم انها مجرد صدف عبثية ؟! لكن لماذا الآن بالتحديد ؟!!!

*****

لا أظنّ أنّ هنالك إنساناً على وجه الأرض لم يسمع من قبل بلعنة الفراعنة أو على أقل تقدير بمصطلح اللعنة الذي يعني تهديداً من شخص ما أو جهة معينة تجاه أي شخص ينتهك حرمتها بأي طريقة من الطرق بأن المصائب ستلحق به و التي كثيراً ما تكون صادقة فتحدث الكوارث بالفعل ! لكن ما سرّ هذه اللعنات و ما تفسيرها ؟ و هل لها جذور منطقية علمية بالفعل أم أنها مجرد صدف تحدث بتزامن غريب لا أكثر ؟!! هذا ما سنحاول مقاربته في مغالطتنا الجديدة (**خرافة الكارما**) ، و كجواب وجيز مبدئي على أسئلتنا السابقة نقول :

(الكارما تحكمنا جميعا فأي فعل نقوم به له رد فعل علينا من طبيعته خيرة أم شريرة عاجلاً أم آجلاً ، و اللعنات شكل من أشكال الكارما ، كما أن صفحات التاريخ تعجّ بقصص مذهلة عن لعنات حقيقية وقعت بالفعل و تسمو كليا عن كونها مجرد صدف عبثية سواء من حيث كثرتها أو نوعيتها)

إذن عزيزي القارئ كما ذكرنا آنفاً سنقوم بمقاربة مغالطتنا الجديدة عبر تحليل مفهومين هامين للغاية و يرتبطان ببعضهما بشكل وثيق و هما (**الكارما**) بأمثلتها التي يختبرها كل منا يومياً مراراً و تكراراً و(**اللعنة**) التي تعجّ صفحات التاريخ بحكاياتها التي سنأتي على ذكر أشهرها في ختام مغالطتنا و التي تفجر العقل حرفياً و ستدهشك بلا شك..

أولاً ، مفهوم الكارما :

و هو ببساطة كما يعرف أغلبنا ملخص بعبارة شهيرة :

(الجزاء من جنس العمل)

أو كما يقول تعالى في قرآنه الكريم :

(من يعمل مثقال ذرة خيراً يره * و من يعمل مثقال ذرة شراً يره)

فأبسط الأمور التي نقوم بها و لا نكترث لها في حياتنا اليومية سترتد علينا بشكل أو بآخر لتحاسبنا من طبيعتها خيراً أو شراً ..

و كما يقول اللاما التيبتي **ساكيونغ ميفام** :

(الكارما في حياتنا حقيقة لا تقبل الشك كحال الجاذبية ، لكننا لا ندرك ذلك في كثير من الأحيان)

و الكارما كلمة سنسكريتية الأصل و تعني :

(العمل أو المصير)

و هي مفهوم أخلاقي في المعتقدات **الهندوسية** ، **البوذية** ، **اليانية** ، **السيخية والطاوية** ، يشير إلى مبدأ السببية بحيث أنّ النوايا و الأفعال الفردية تؤثر على مستقبل الفرد بطريقة ما ، بحيث أنّ حسن النية و العمل الخيّر يسهم في إيجاد الكارما الجيدة والسعادة في المستقبل، أما النية السيئة والفعل القبيح فيسهم في إيجاد الكارما السيئة والمعاناة في الغد .. كما ترتبط الكارما مع فكرة الولادة الجديدة بتناسخ الأرواح في الديانات الهندية بحيث أن تأثيرها عابر للأجيال ، فربما تم ثوابك أو عقابك على

أفعالك في جيل معين ، أو خلال جيل لاحق آخر أيضاً.

من تجربتي الشخصية أذكر قصة عجيبة و مفعمة بالعبر عن تأثير الكارما المذهل ، فأحد معارفي تعرض للظلم من قبل أولاده الثلاثة مما دفعه للدعاء عليهم بقهر ألا يمشي أياً منهم في جنازته .. و على نحوٍ مدهش توفي أصغر أبنائه قبل وفاته دون سبب واضح ، أما الابن الثاني فقد سافر خارج البلاد و لم يتمكن من حضور جنازة والده عندما توفي ، في حين أنّ الابن الثالث الأكبر الذي بقي على قيد الحياة و في الوطن تعرض لحادثة غريبة يوم الجنازة حيث دخل إلى حمّام منزله فتعطلت قبضة الباب و لم يتمكن من فتحه للخروج إلى الجنازة ، فبقي محتجزاً في الحمام حتى انتهاء الجنازة و عودة المودعين ، و لا تتخيلوا درجة الفزع ، الألم و الندم التي

عصفت به و قد رأى دعوة أبيه المظلوم تتحقق بحذافيرها تماماً و لعنته تنصب على أبنائه حتى بعد موته ..

أو كما يقول نبي الرحمة :

(اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام و تصل إلى السماء على الفور دون عائق)

فاحترس عزيزي القارئ من أي فعل يصدر عنك فإن له رد فعل من السماء طال الزمن أو قصر لتدفع الثمن غالياً لات ينفع الندم ، و من جهة أخرى لا تتوانى عن فعل الخير مهما صغر فإنه سيرتد عليك خيراً و ثواباً لاحقاً من حيث لا تحتسب .. أو كما يقال في التراث الشعبي :

(كما تدين تدان)

فالموضوع أشبه بحلقة من أحجار الدومينو تسقط بنفسك أول حجر منها فيتتابع تساقط الأحجار حتى يسقط عليك آخر حجر خيراً أو شراً ..

ثانياً ، مفهوم اللعنة :

اللعنة مصطلح يشير كما شرحنا باقتضاب في جواب أسئلة المغالطة إلى انتقام شخص أو جهة لنفسها ممن ينتهك حرمتها أو يظلمها .. و قد يكون ذلك شكل من أشكال الكارما بحد ذاته ، و ربما تدخّل السحر الأسود و الشعوذة فيه ، و السحر شيء ذكر في جميع الأديان الأرضية و السماوية و لا يمكننا إنكاره أو تجاهله ببساطة ، سواء كان حقيقياً أم خدعة ما كما وضحنا في مغالطة سابقة.. و ربما الموضوع يشتمل على خدعة ما كاستخدام مواد سامة كغاز مثلاً أو مجرد صدف تضخمت بتناقل القصص كحال الأساطير ..

و في الحقيقة التاريخ كما أسلفنا يعج بقصص غريبة و عجيبة عن لعنات تحققت على نحوٍ مذهل و غير مفسر ، وسنرد على ذكر أشهرها الآن لأتركك عزيزي القارئ مع الدهشة العارمة من تفاصيلها المحيرة ..

❁ لعنة الفرعون توت عنخ أمون :

بدأت أسطورة لعنة الفراعنة عند اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عام **1922** وأول ما لفت انتباه العلماء عبارة منقوشة على المقبرة تقول :

(سيضرب الموت بجناحية السامين كل من يعكر

صفو الملك)

و تلا اكتشاف المقبرة بالفعل بعدها سلسلة من الحوادث الغريبة التي بدأت بموت كثير من العمال القائمين بالبحث في المقبرة وهو ما حير العلماء والناس، وجعل الكثير يعتقد فيما سمي بلعنة الفراعنة بالفعل ..

و توت عنخ آمون صاحب المقبرة والتابوت واللعنات حكم مصر **9** سنوات ، و رغم أن الملك توت عنخ آمون ليست له أي قيمة تاريخية وربما لم يفعل الكثير في عهده ، خصوصاً أنه كان في عصر ثورة مضادة علي الملك أخناتون أول من نادى بالتوحيد .. لكن من المؤكد أن هذا الملك الشاب قد استمد أهميته الكبرى من أن مقبرته لم يمسها أحد من اللصوص طوال آلاف السنين.. فوصلت إلينا بعد **33** قرناً سالمة كاملة وأن هذا الملك أيضاً هو مصدر اللعنة الفرعونية الشهيرة

التي نتحدث عنها ..

وقد اكتشف مقبرته عالم الآثار **هوارد كارتر** الذي كان يملك في ذلك الوقت عصفور كناري في قفص ذهبي، و في يوم اكتشاف المقبرة دخل ثعبان إلى القفص و لدغ العصفور فقتله على الفور لتبدأ بعدها سلسلة الأحداث الغريبة التي كرست لأسطورة لعنة الفراعنة ..

فقد قيل أنّ عاصفة رملية قوية ثارت حول قبر توت عنخ

آمون في اليوم الذي فتح فيه ، كما شوهد صقر يطير فوق المقبرة ومن المعروف أن الصقر هو أحد الرموز المقدسة لدى الفراعنة..

كذلك في يوم الاحتفال الرسمي بافتتاح المقبرة أصيب **محمد زكريا** و هو عالم آثار مصري مشارك في حملة اكتشاف المقبرة ، بحمى غامضة لم يجد لها أحد من الأطباء تفسيراً .. وفي منتصف الليل تماماً توفي محمد زكريا في القاهرة.. و الأغرب من ذلك أن التيار الكهربائي انقطع عن القاهرة دون أي سبب واضح في نفس لحظة الوفاة .. وقد أبرزت صحف العالم نبأ وفاة محمد زكريا ، كما ربطت صحف القاهرة بين وفاته و انقطاع الكهرباء و اكتشاف القبر فزعمت أن ذلك كله تم بأمر الملك توت عنخ أمون كانتقام له .. !!

❁ لعنة جزيرة جيولا الإيطالية :

تقع هذه الجزيرة في البحر التيراني و بالتحديد في خليج نابولي، كجزء من أرخبيل كامبانيان البركاني .. و هي عبارة عن جزيرتين صغيرتين يصل بينهما جسر حديدي ، واسم الجزيرة يعني باللاتينية (الكهف الصغير) .. و هي قريبة جداً من الساحل، ويمكن الوصول إليها سباحةً.. في الأصل كانت موقعاً لمعبد صغير مجهول ، و في القرن **17** كانت الجزيرة مليئةً بالمصانع الرومانية القديمة، ثم أصبحت نقطةً بحريةً للدفاع عن خليج نابولي في القرنين التاليين ..

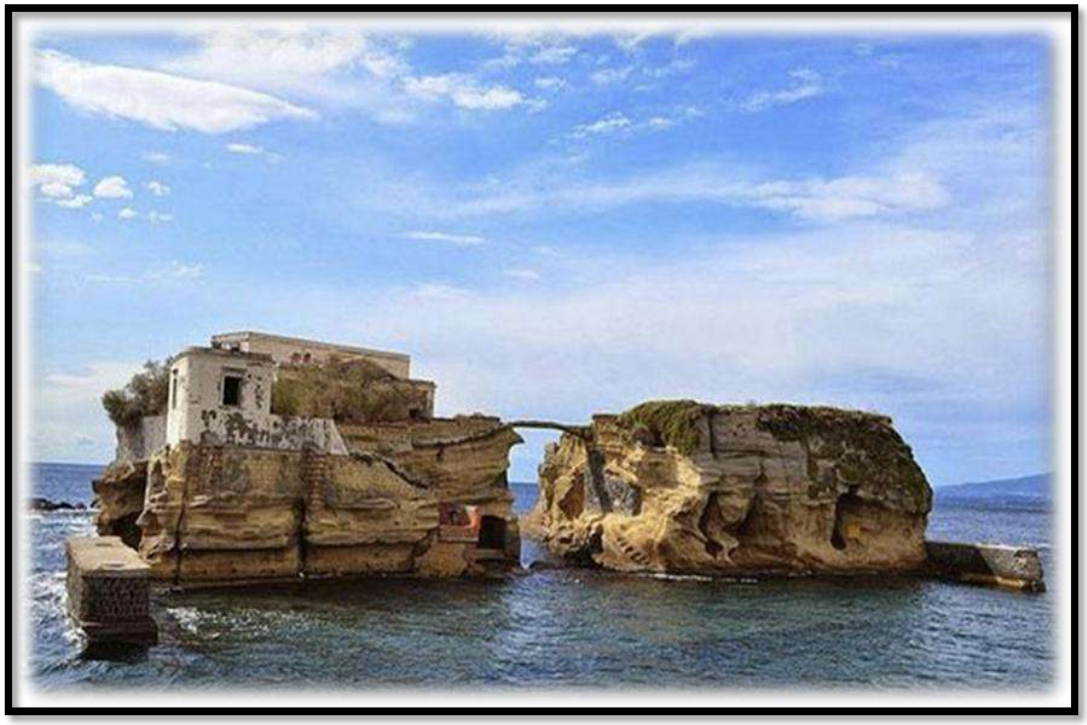

في نهاية القرن **19** شاعت على الجزيرة قصة غريبة عن ناسك يدعى ماغو اتخذها موطناً له و يقال أنو كان

ساحراً و نسجت حوله الكثير من القصص الغامضة ، عاش لسنوات علي ما يقدمه له صيادو المنطقة من صدقات، لكنه اختفى فجأة بعد أن هدد بأن يغادر الجزيرة و لم يظهر ثانيةً و يقال أنه ألقى لعنة عليها قبل أن يرحل عنها .. و منذ تلك اللحظة بدأت القصص الغريبة تحدث على الجزيرة .. فبعدها بفترة قصيرة امتلك الجزيرة تاجر إيطالي ثري يدعى **لويجي دي نيغري** و بنى عليها فيلا صغيرة مازالت موجودة حتي الآن لكنه لم يبقِ فيها طويلاً على نحو مريب و سرعان ما انتقلت ملكيتها إلى المهندس البحري **نيلسون فولي**، صهر السير آرثر كونان دويل مؤلف روايات المحقق الشهير شارلوك هولمز ، لكنه غادرها سريعاً و انتقلت ملكيتها مجدداً إلى **نورمان دوغلاس**، مؤلف كتاب أرض سيرن ..

في القرن **20** استمرت السمعة السيئة للجزيرة من عدم استمرارها بيد مالك محدد لفترة طويلة، بل أكثر من ذلك بعد أن أصبحت ملكاً للسويسري **هانز براون**، عُثر عليه ميتاً فيها وملفوفاً في بساط .. و بعد فترة قصيرة، غرقت زوجته في البحر.. فاشتراها الألماني **أوتو غرونباك**، الذي توفي بنوبة قلبية أيضاً أثناء إقامته في الجزيرة.. ثم انتحر المالك التالي للجزيرة و هو صانع الأدوية **موريس إيف ساندوز** ، في مستشفى للأمراض العقلية في سويسرا ..

كل ما سبق هو البداية فحسب ، فمالك الجزيرة التالي الألماني، البارون **كارل بول لانغهايم**، تعرض للدمار الاقتصادي بعد شرائها مباشرةً.. ومن بعده أصبحت الجزيرة ملكًا **لجياني أنيلي**، مالك شركة فيات للسيارات في تورينيزي، والذي عانى من وفاة العديد من أقاربه منذ اشتراها و كأنها لعنة تصيب كل من يسكنها .. وبعده امتلكها **ج. بول جيتي**، الذي عانى بشكل غامض من انتحار ابنه الأكبر، وموت ابنه الأصغر، وخطف حفيده قبل وفاته بدوره .. و كان آخر مالك خاص للجزيرة هو **جيانباسكوال جرابوني** الذي دخل السجن بعد شرائها مباشرةً ..

تحدثت الصحافة الإيطالية عن لعنة الجزيرة من جديد في عام **2009** ، بعد مقتل **فرانكو أمبروسيو** و زوجته **جيوفانا ساكو**، اللذان كانا يمتلكان فيلا مقابل الجزيرة بالضبط مما عزز لعنتها أكثر .. !!

فهل هذه القصص المتلاحقة مجرد صدف عبثية أم لعنة الراهب ماغو ، غريب !!

❁ لعنة الحاكم التركي :

في عام **1941** قام علماء الأنثروبولوجيا **السوفييت** بنبش قبر أثري لأحد حكام **تركيا** ليجدوا نقشاً عليه يتضمن تحذيراً يقول (**بأن من يتجرأ على نبش القبر**

سيطلق العنان للعنة الحاكم عبر غزوهائل على وطنه)

، و بالفعل بعد ثلاثة أيام فقط من نبش القبر غزت ألمانيا النازية الاتحاد السوفييتي بأكثر من أربعة ملايين جندي و نعرف جميعاً أية كوارث أعقبت ذلك من خسائر مادية و بشرية مهولة .. !!!

❁ لعنة تيبكانو (لعنة تيكومسيه) :

في منتصف القرن العشرين، بدأت وسائل الإعلام الأمريكية بملاحظة نمط معين في موت رؤساء البلاد، إذ إنه بدءاً من الرئيس **ويليام هنري هاريسون** و انتهاءً **بجون إف كينيدي**، تنتخب البلاد كل فترة رئيساً في سنة ميلادية تنتهي بصفر و يموت في منصبه و هو على رأس عمله كرئيس ..

و كان **هاريسون** أول رئيس يتوفى بمنصبه عام **1840**
و من الرؤساء الآخرين الذين ماتوا في منصبهم **أبراهام لينكولن** الذي انتخب عام **1860** ، و أيضاً **جيمس غارفيلد** الذي انتخب عام **1880** ، **ويليام ماكينلي** الذي انتخب عام **1900** ، **وارن هاردينغ** الذي انتخب عام **1920** ،**فرانكلين روزفلت** الذي انتخب عام **1940** ، و أخيراً **جون كينيدي** الذي انتخب عام **1960** ..

و جميعهم لم يعيشوا لما بعد انتهاء فتراتهم الرئاسية !!

و يقال أنّ هذا النمط الغريب كان بسبب لعنة ألقاها زعيم **جماعة شاوني** الهندية، وهو **تيكومسيه**، على هاريسون و الرؤساء من بعده ، بعدما هزمت قوات هاريسون الزعيم تيكومسيه في معركة **تيبكانو** عام **1811** ..

❁ لعنة فرسان الهيكل :

شنّ **فيليب** ملك فرنسا، بالتواطؤ مع البابا **كليمنت الخامس**، هجوماً مفاجئاً في حربه على الإنجليز و سجن على إثره **جاك دي مولاي** زعيم تنظيم فرسان الهيكل الذي تعرض للتعذيب على مدار **7** سنوات، و في النهاية تم حرقه حياً ، لكن قبل إعدامه العلني لعن دي مولاي الملك و البابا و دعا أن يموتوا بسرعة .. بالفعل وعلى نحو عجيب مات كل من البابا كليمنت

الخامس والملك فيليب في غضون عام من ذلك و في ظروف غامضة، علاوةً على ذلك مات أبناء الملك فيليب الثلاثة جميعاً في غضون السنوات القليلة التالية، كما مات حفيده الذكر الوحيد !!

❁ لعنة المدرب جوتمان :

تعود قصة هذه اللعنة إلى عام **1963**عندما حقق المدرب المجري **جوتمان** لقب الدوري البرتغالي مرتين مع نادي بنفيكا، كما قاده لإحراز بطولة دوري أبطال أوروبا مرتين متتاليتين، أمام نادي برشلونة ونادي ريال مدري الإسبانيين العريقين ..

اعتقد المدرب عقب هذه الإنجازات التاريخية أنه يستحق زيادة في الأجر وطالب الإدارة بذلك، التي قابلت طلبه بالرفض..

غضب جوتمان من رفض النادي لطلبه، فقرر ترك الفريق، وقال جملته الشهيرة قبيل مغادرته :

(لن يفوز بنفيكا بكأس أبطال أوروبا بدوني طوال مئة عام)

و منذ ذلك اليوم خسر بنفيكا خمسة نهائيات في دوري أبطال أوروبا، و ثلاثة نهائيات في الدوري الأوروبي، الأمر الذي رسخ اعتقاداً تاماً عند أنصار النادي بوجود (**لعنة جوتمان**) ..

في عام **2014** و خلال احتفالية مرور **110** سنوات على تأسيس النادي، كشفت إدارة الفريق عن تمثال للمدرب **بيلا جوتمان** أمام ملعب النور لفك اللعنة و

إرضاء المدرب في قبره ، لكن الغريب أن لعنته لا تزال مستمرة ، إذ خسر الفريق بعد ذلك نهائيين متتاليين في الدوري الأوروبي أمام تشيلسي و إشبيلية .. ليكون ذلك بالتالي عاشر نهائي متتالي يخسره النادي منذ لعنة المدرب جوتمان !!

فهل هذه مجرد مصادفة ؟ موضوع يستحق التفكير ، أليس كذلك عزيزي القارئ ؟!!

هذه مجموعة من قصص اللعنات الشهيرة من حقب تاريخية مختلفة على سبيل المثال لا الحصر كما سبق و ذكرنا كي تعزز جواب مغالطتنا بوضوح .. و لا شكّ أنك استشعرت أنامل الكارما و اللعنات كيف تداعب صفحات التاريخ لتقول كلمتها النهائية الحاسمة و لو بعد آلاف السنين ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الغريبة و الشيقة (**خرافة الكارما**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول ..

= سأفعل ما يحلو لي في حياتي فلا رادع لي .. و حيواتنا تجري خبط عشواء بطريقة عبثية ..

بل أن نقول:

= إن محاسبة السماء لنا بالثواب أو العقاب هو حقيقة لا تقبل الجدل أو النقاش في حيواتنا و يجسدها ببساطة مفهوم الكارما ، بحيث أنّ أي فكرة أو قول أو فعل يصدر عنا سيلف العالم و يرتد علينا بنفس الطبيعة التي خرج بها منا ..

فعلينا الاحتراس و الحذر فيما يختلج في صدورنا أو يخرج من أفواهنا أو أيدينا لأنّ الكارما ليست خرافة بالتأكيد ، صحيح أنها قد تمرض أحياناً فتتأخر لكنها لا تموت و ستحاسبنا لا محالة على كل ذلك .. كما قال

الفيلسوف المتصوف **جلال الدين الرومي** :

(اعلم بأن ما أنت ساعٍ إليه ، هو ساعٍ إليك)

و ألا نقول :

= اللعنة خرافة لا أكثر .. لا أؤمن بها و لا تثير في أعماقي أي خوف أو قلق ..

بل أن نقول :

= اللعنة شكل من أشكال الكارما ربما عبث بها السحر الأسود أو غيره فبعث فيها الحياة ، و التاريخ خير دليل على أنها تسمو عن الصدف و العبثية في مناسبات كثيرة ، لذا علينا احترامها مع الاحتراس و الحذر في التعامل معها كي لا نفتح على أنفسنا أبواباً من الشقاء لا يمكننا إغلاقها لاحقاً ..

تكرر في القرآن قول الله تعالى (**ألا لعنة الله على الكاذبين أو الكافرين أو الظالمين ..**) و في ذلك إشارة صريحة من الخالق إلى أن اللعنة حقيقة و ليست مجرد خرافة .. و كما أنّ لله لعناته فإن للأتقياء و الصالحين من أتباعه لعناتهم الخاصة .. و لا تدري عزيزي القارئ فإن الله يضع سره في أضعف خلقه ، فلا تستهزئ بمن لا يعجبك شكله أو كلامه أو هندامه أو من حرمته الحياة من المال أو السلطة أو الجاه فتظلمه أو تتعامل معه بلا احترام أو تقدير ، فقد تكون كلماته و دعاؤه عليك أكبر

لعنة تعصف بحياتك فتدمرها .. و تذكر على الدوام بأن لعنة المظلوم أخطر بكثير من لعنة الفراعنة المشهورة ، فالأولى تشق عنان السماء لتصل آنياً إلى الخالق العادل المنتقم الجبار فيستجيب لها كما وعد ، أما الأخيرة فهي على الأرجح سحر أسود أو خدعة ما بإطلاق مواد أو غازات سامة من نواويس المومياوات تفتك بالجسم سريعاً

و مع هذه الحقيقة أختم بهذه الأبيات البليغة للإمام **الشافعي** :

إذا ما الظالم استحسن الظلم مذهبا

و لجّ عتوا في قبيح اكتسابه

فكِله إلى صرف الليالي فإنها

ستبدي له ما لم يكن في حسابه

فكم رأينا ظالما متمردا

يرى النجم تيهاً تحت ظل ركابه

فعما قليل وهو في غفلاته

أناخت صروف الحادثات ببابه

فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى

ولا حسنات تلتقي في كتابه

و جوزي بالأمر الذي كان فاعلا

و صبّ عليه الله سوط عذابه

مغالطة داروين

والتطور

(وجه العلم وأوجه الدين)

= ما لك تقفز هنا و هناك كالقرود .. ؟

= أنا سعيد في أحضان هذه الطبيعة الخلابة ..

= بل أنت تثبت لي بأن **داروين** كان محقاً في نظريته !

= بخصوص ماذا ؟

= بأن الإنسان تطّور من قرد ..

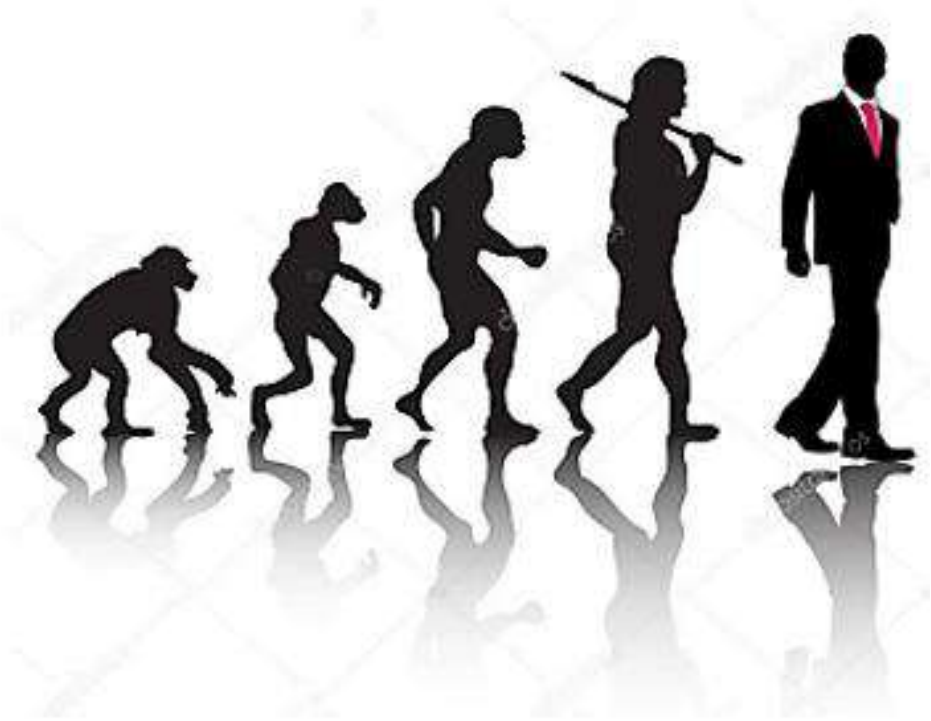

= لكن داروين لم يقل هذا أبداً !!

= كيف لم يقل ؟ لقد اعتبر الملحدون كلامه مقدساً لأنه يهدم قصة خلق الله للإنسان و يؤكد أن الإنسان صنيعة الصدفة و التطور ..

= أولاً يا صديقي، داروين مؤسس علم التطور كان شخصاً مؤمنا بالله لا ملحداً ، بل إنه ذكر في مقدمة كتابه الشهير(**أصل الأنواع**) أنّ كتابه يتطرق لتطور الكائنات

بعد خلقها ، و لا يتحدث عن طريقة نشوئها على الأرض

= مذهل ! و ثانياً ..؟

= داروين طرح فكرة أنّ الإنسان و القرد ينحدران من سلف مشترك ، لا أنّ القردة تطورت إلى بشر ، و هذا السلف المشترك أقرب إلى الإنسان منه إلى القردة كما أثبتت الأحافير ..

= مذهل أكثر .. إذاً فنحن نعيش أكذوبة كبيرة ..

= يمكنك قول ذلك ، لأنّ الإنسان لا يقرأ فلا يتعلم فيهذي بما لا يعرف ..

*****

إذا كما قرأت عزيزي القارئ ، داروين مؤسس علم التطور كان مؤمنا بالله ، و لم يتطرق إلى طريقة الخلق بل إلى تطوّر الخلق و أخيراً لم يقل أنّ أصل البشر قردة .. و كلّ هذه الأفكار الشائعة بين الناس هي أركان مغالطتنا الجديدة (**داروين و التطوّر**) ، و التي سنحاول من خلالها مقاربة فكرة التطور من مختلف زواياها فنقول ما لها و ما عليها ، لأدعك عزيزي القارئ في النهاية أن تؤمن بما تشاء بنا على عقلك النير و محاكمتك المنطقية لما ستقرأه خلال الصفحات التالية و لإنجاز هدفنا هذا سنلجأ لمقاربة مغالطتنا من **3** زوايا هامة و شيقة للغاية :

① نبذة عن نظرية داروين للتطور ..

② التطور في عين العلم ..

③ التطور في عين الدين ..

فهيا بنا نربط الأدلة العلمية و الدينية من أحافير و تاريخ و جغرافيا و أقوال و كتب دينية كي نفهم أكثر ما هو التطور و كيف يحدث و ما جوهره و ما هي الكناية منه أو غايته و ما إسقاطاته على الكون الأكبر؟

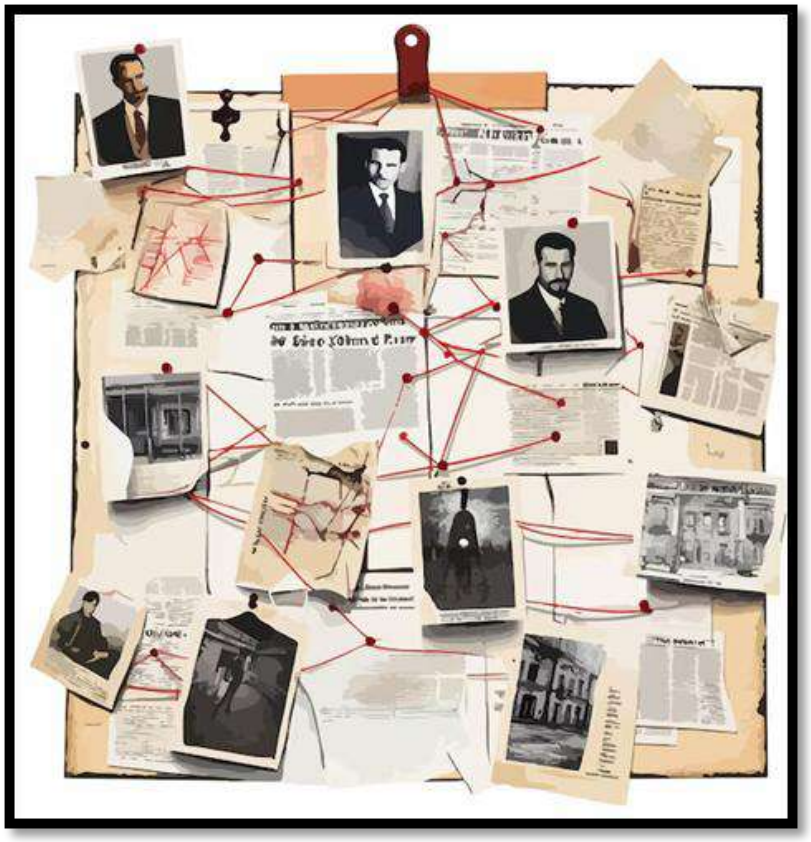

أولاً ، نبذة عن نظرية داروين للتطور :

لنظرية التطور ثلاثة أركان أساسية :

❁ تعريف التطور : هو تغير الصفات الوراثية المتوارثة

بين الكائنات الحية مع المرور الزمن من جيل لآخر مما يؤدي إلى ظهور صفات جديدة في النوع الواحد أو ظهور أنواع جديدة بالكامل ..

❁ **داروين و كتابه** : يعتبر العالم الإنجليزي **تشارلز داروين** عرّاب التطور و صاحب أشهر نظيرة حوله و التي شرحها في كتابه المعروف (**أصل الأنواع**) ، الذي نشره عام **1859** و احتوى على تفاصيل رحلته البحرية و مغامراته حول العالم و ما رآه و حلله و استنتجه فيها

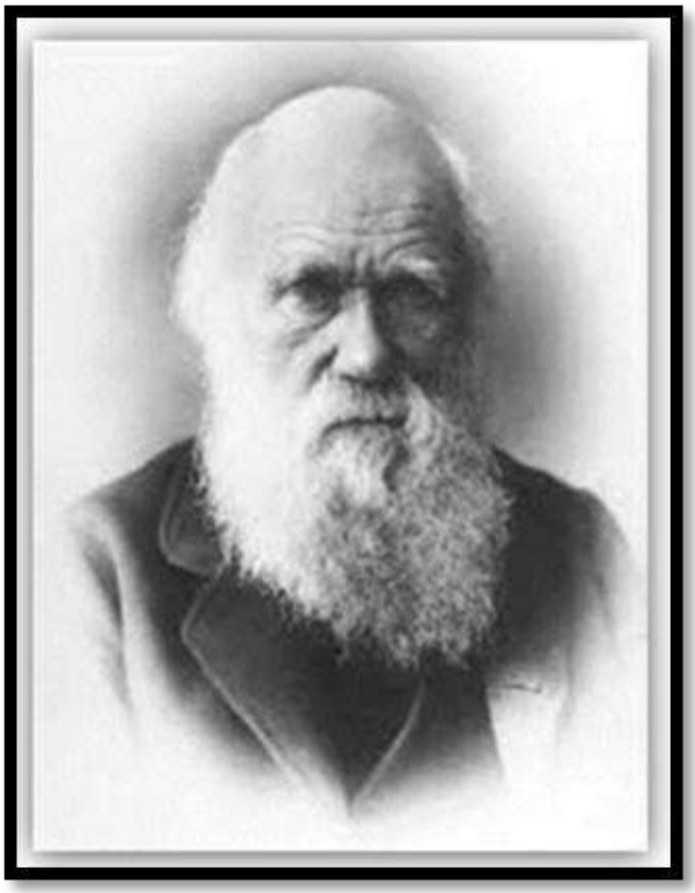

❁ **آليات التطور** : نظرية التطّور تفترض حدوث تغيير في التركيب الجيني للكائنات عبر الأجيال المتعاقبة، وينتج هذا التغيير عن **3** طرائق رئيسية :

① **الانتقاء الطبيعي** : و يعني أنّ الصفات التي تبقى في الكائنات الحية هي الصفات التي تمكنها من العيش والتكاثر في بيئتها، وفي المقابل تقلّ لديها الصّفات التي لا تحمل أية فوائد بقائية أو تكاثرية للنوع ، أي يمكن التعبير عن ذلك بقانون البقاء لأصلح ، و خير مثال عن هذا العامل هو التطور الذي طرأ على الحيتان بسبب التغيرات البيولوجيّة العشوائية وفق ما تدعيه نظرية التطور حيث كانت الحيتان حيوانات برية ثم برمائية أكثر ثم أصبحت تكيّفاً مع نمط الحياة البحرية مع مرور الوقت و ظهور العديد من الأجيال المختلفة المتطورة ، وأكثر قدرة على العيش و التنفس في الماء

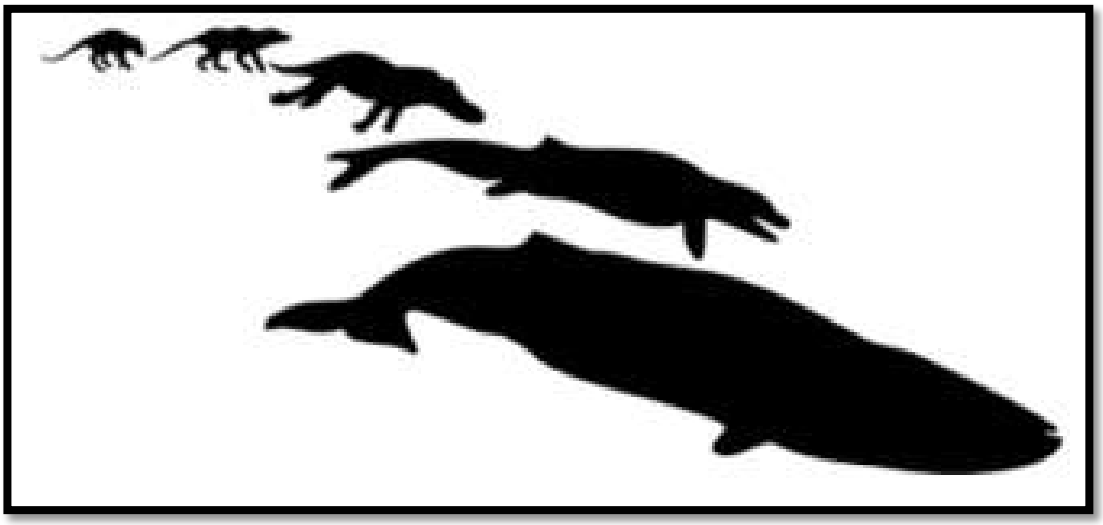

فمع المزيد من التغييرات الجينية العشوائية تحرّكت فتحة التنفس للأعلى و الخلف لمسافة أبعد عن الرأس ، كما تغيرت أجزاء الجسم الأخرى للنسل القديم من الحيتان فتحولت الساقان الأماميتان إلى زعانف، واختفت الساقان الخلفيتان، وأصبحت أجسادها أكثر انسيابية، كما تطّور

الذيل لديها لتصبح قادرة على دفع أنفسها بشكل أفضل في الماء..

② **التزاوج بين أنواع مختلفة**: فتختلط الجينات و تنتج أنواع جديدة ..

③ **الطفرات** : و هي تبدل طارئ في الجينات يؤدي لظهور صفات جديدة ثم أنواع جديدة بمرور الزمن ..

ثانياً ، التطور في عين العلم :

في الحقيقة هنالك قائمة طويلة من الأدلة التي يدعم بعضها نظرية التطور ، في حين يشكك البعض الآخر فيها ، و سنقوم بذكر أهمها على سبيل المثال لا الحصر :

① الأدلة التي تدعم نظرية التطور :

❁ **الأحافير** : حيث يمكن من خلال الأحافير و المستحاثات معرفة الشكل الذي كانت عليه الحياة في السابق ، فهي تُظهر تطور الكائنات عبر الأزمنة المختلفة و تعطي أدلة هامّة قد تدعم صحّة النظرية القائلة بأنّ الكائنات الحية المعقّدة في الوقت الحالي قد انحدرت من كائنات أخرى أكثر بساطة منها في السابق

❁ **تماثل التركيب بين الكائنات المختلفة** : وهو الأمر الذي قد يدلّ على انحدار كل مجموعة من الأنواع من سلف مشترك ، ومن الأمثلة على ذلك تشابه أذرع الإنسان مع الأطراف الأمامية للقطط والكلاب و أجنحة الطيور و زعانف الحيتان و امتلاكها لنفس النوع من العظام .

❁ **تشابه أجنة النوع الواحد من الكائنات الحية** : وهو أيضاً شيء قد يعّد دليلاً على تشاركها في السلف ، فعلى سبيل المثال تمتلك جميع أجنّة الفقاريات ذيلاً و شقوقاً خيشومية كالتي تمتلكها الأسماك، لتختفي هذه التراكيب مع مرور الوقت عند البعض منها بعد ولادتها كإشارة إلى حدوث عملية التطور فيها مع الزمن ، وفي المقابل فإنها تبقى عند البعض الآخر ..

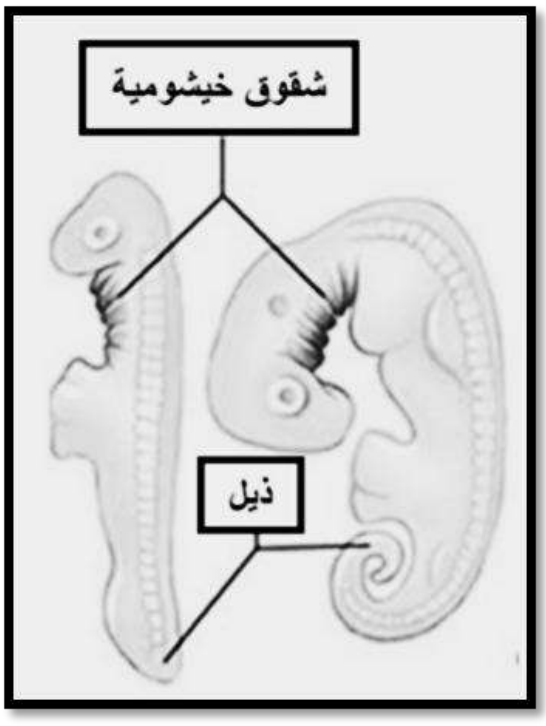

❁ **الأعضاء الضامرة** : فقد يدلّ تراجع تطّور بعض الأعضاء مثل عظم الذيل أو العصعص والزائدة الدودية عند الإنسان على صحة نظرية التطور حيث أدّى هذا التطور إلى تقليل حجمها بسبب انعدام الحاجة إليها مع مرور السنوات..

❁ **تقارب أو تطابق تسلسل الحمض النووي DNA و RNA** بين بعض المجموعات من الكائنات الحية دون غيرها .. و هذا دليل قوي بدوره باشتراكها بالسلف نفس الذي تطورت منه ..

❁ **توزيع الكائنات على سطح الأرض** : حيث يمكن ملاحظة وجود تشابه كبير للكائنات الحية مع بعضها في مكانين بعيدين للغاية عن بعضهما على الأرض بوجود بعض الاخلافات سواء بضمور أعضاء أو ظهور أعضاء جديدة أو صفات جديدة كتغيرات اللون أو طبيعة الغذاء، وهو الأمر الذي قد يدّل على أن هذه الكائنات المتشابهة قد هاجرت في الأصل من مكان إلى آخر وتطّورت هناك لتكّون أنواعاً جديدة أكثر تكيفاً على العيش مع البيئة الجديدة، وهو ما يفسّر تشابه الكائنات بين تلك المنطقتين على نحوٍ كبير حتى أنها تصنّف على أنها من ذات النوع .. كذلك الأمر وجد العلماء أن بعض أنواع الحيوانات التي تعيش في شرق أمريكا الجنوبية وغرب إفريقيا

تتشابه إلى حد كبير بصفاتها باعتبار أن هاتين المنطقتين الجغرافيتين كانتا ملتصقتين ببعضهما منذ زمن سحيق ثم تباعدتا و تشكل المحيط الأطلسي بينهما ، فتفرقت هذه الحيوانات إلى بيئات مختلفة لكنها حافظت على تشابه كبير بينها مع اختلافات هامة تلائم بيئاتها الجديدة و مناخها ..

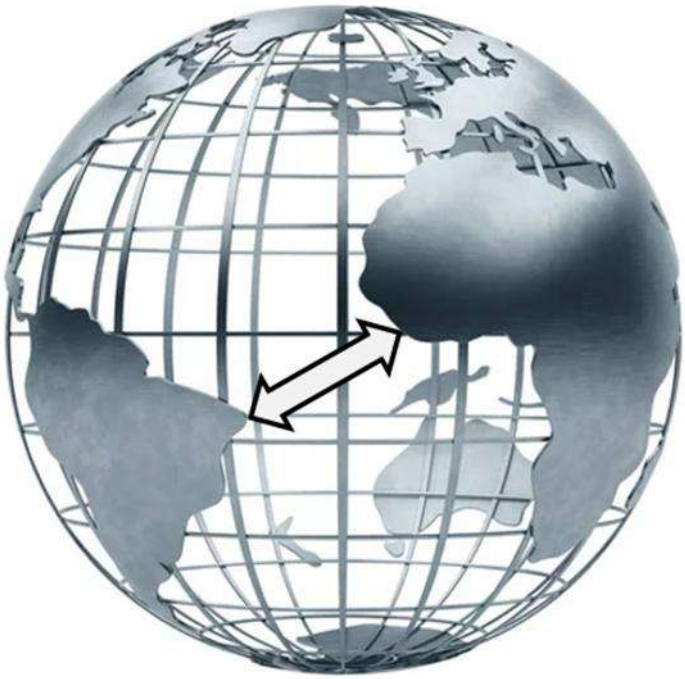

و غيرها من النقاط الداعمة بقوة لنظرية التطور ، و كما ترى عزيزي القارئ فإنها أدلة ال يمكن إنكارها على الإطلاق أو تجاهلها ! ..

② الأدلة التي تشكك في صحة نظرية التطور :

❁ **تعتمد نظرية التطور على حدوث الطفرات بشكل عشوائي وغير موجّه لحدوث التطور:** لكنّ الطفرات

العشوائية لا تسبب تطور أنواع جديدة من الكائنات الحية ، وإنما تؤدي بدلاً من ذلك إلى إنتاج أفراد مصابين بعيوب خلقية ..

❁ **الكيمياء الحيوية لا تدعم وجود نظرية التطور**:

فالخلايا في جسم الإنسان تعمل كمصنع متكامل ومعقد ، و لا يمكن للعمليات العشوائية و غير الموجّهة أن تنتج هذا النظام المعقّد من التنظيم الخلوي ..

❁ **الافتقار لوجود الأحافير التي تُظهر المرحلة الوسطى من تطور الكائنات الحية** : فمعظم الأحافير التي اكتشفت تُظهر الأنواع الجديدة والمتطورة بشكل مفاجئ دون تتطور متدّرج من أسلافهم عبر وجود أحافير انتقالية بين النوعين أي أنّها لم تمّر بمراحل متدّرجة من التطّور كما تدّعي النظرية .. و هذه نقطة هامة للغاية ، فلو أنّ الكائنات تطورت عبر مراحل تدريجية كثيرة ،

فيجب بالفعل العثور على أحافير تعكس هذا التدرج ، و هذا ما لم يجده العلماء و الباحثون على أرض الواقع ..

❁ امتلّك كائنات حية بدائية لأعضاء معقدة و متطورة أكثر منها عند كائنات أكثر تطوراً : و هذا يخالف منطق التطور الذي يفترض أن التطور يسير باتجاه وحيد نحو الأفضل ، و كمثال نجد العين عند بعض الحشرات أكثر تطوراً و تعقيداً منها عند الثدييات بما فيها الإنسان !! ..

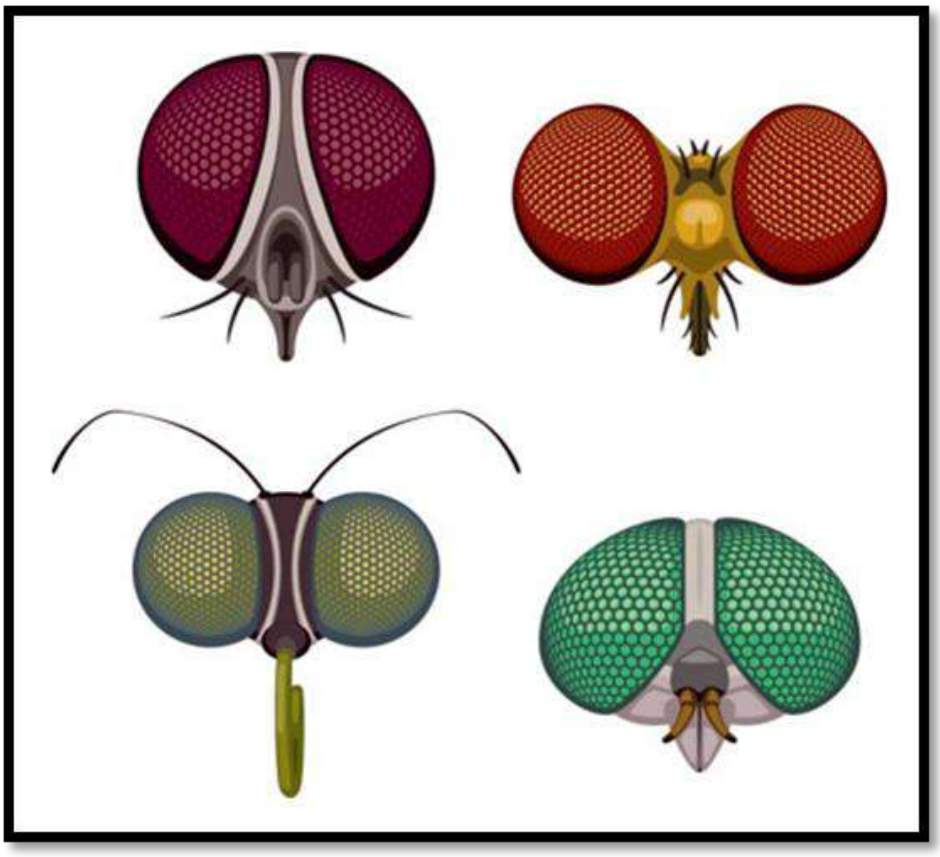

و غيرها من النقاط المشككة التي لا يمكن تجاهلها بدورها و تزعزع الإيمان المطلق بنظرية التطّور .. لتبقى هذه النظرية بسبب كثرة الأدلة الداعمة و المشككة لها أكثر

النظريات إثارة للجدل و الأسئلة في العالم ..

ثانياً ، التطور في عين الدين :

قبل الخوض في غمار هذه الزاوية لا بد من التأكيد على أنه لا يجوز وجود تعارض بين العلم و الدين أبداً ، بل كلّ منهما يكّمل و يدعم الآخر، كما يقول العالم العبقري **ألبرت أينشتاين** :

(العلم بلا دين أعرج و الدين بلا علم أعمى)

فمما لا شك فيه بأن الله خلق الكون بما فيه وفق قوانين علمية محددة اكتشف البشر بعضها و لا يزالون يكتشفون المزيد مع تقدم السنوات .. فمثال الانفجار الكوني العظيم أصبح حقيقة علمية لا شك فيها بعشرات الأدلة العلمية الدامغة في العصر الحديث من قبيل اكتشاف إشعاع الخلفية الكوني ، توسع الكون و التشويش الذي تراه و تسمعه على شاشة التلفزيون في حالة عدم التقاط قناة معينة و الذي هو أثر الأشعة الراديوية التي خلّفها الانفجار العظيم و غيرها من الأدلة .. حتى أنّ العلماء تمكنوا من تقدير زمن حدوث ذاك الانفجار منذ **13.8** مليار سنة .. و هذا ما يرفضه المتشددون دينياً كونه يخالف تصوير عملية الخلق في القرآن ، رغم أن القرآن حمّال أوجه و يمكنك تفسيره بطرق مختلفة بعضها يتناسب مع الحقائق العلمية كقوله تعالى :

(إن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما)

و يمكن تفسير هذه الآية ببساطة بأنها تشير إلى حالة الكون قبيل الانفجار الكوني العظيم عندما كانت المادة و الخلاء كتلة واحدة ثم تفرقتا عن بعض بعد الانفجار.. و لا تختلف قضية التطور عن قضية الانفجار العظيم أبدا ، إذ يمكننا تفسير آيات قرآنية كثيرة على نحوٍ ينسجم مع نظرية التطور كحال الآية التالية :

(ما لكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً)

و هذه الآية تشير بشكل صريح إلى أنّ خلق الإنسان مّر بمراحل عديدة متتالية و لم يحدث دفعة واحدة ..

و أيضا نجد الآيات التالية :

(و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرارٍ مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)

و على خلاف ما يقول البعض بأنّ هذه الآيات توضّح تطور الجنين في رحم أمه ، فنجد ببساطة من بداية الآيات ذكر خلق الله للإنسان من سلالة قريبة من الطين .. و

هذا بحدّ ذاته ينسجم مع نظرية التطور التي تقول بتحول العناصر الكيميائية بطريقة ما إلى خلية وحيدة (**نطفة**) ثم تطور هذه الخلية إلى خاليا متعددة و تمايزها بحسب تأثير البيئة إلى خلايا متخصصة وظيفيا (عظام ، عضلات .. إلخ) .. و لا يخفى علينا جميعاً أنها عملية تطورية ، إذ كان بمقدور الله ألا يخلق الإنسان من الطين بل أن يقول له كن فيكون ، ليتجسّد أمامه بشراً سوياً مكتملاً ، لكنّ الخالق يوضّح بشكل صريح أنّ ذلك لم يحدث ..

و هذه العملية التطورية تشرح بالضبط نشوء شجرة السماء (**الزيتونة**) في الكون الأكبر عبر سلسلة الأحداث التالية كأول عملية تطورية في الحياة :

في البدء كان الانفجار ..

ثم كانت الكيمياء ..

ثم تنفست الكيمياء فكانت الخلية ..

ثم تطورت الخلية فأصبحت كائناً ..

ثم تطور العقل فوجد الوعي و ولدت المشاعر و الزمن ..

ثم تطور العقل اكثر فبدأ يكتشف الكون ..

ثم تطور العقل اكثر فأكثر حتى اكتشف كامل الكون

و روّضه كحصان بريّ ..

ثم استدار الكون كخاتم في إصبعها ..

و اليوم نحن نمشي على خطاها ..

و هكذا نجد مجدّداً أنّ العلم لا يتعارض مع الدين و أنّ نظرية التطور ربما كانت كنظرية الانفجار العظيم حقيقة علمية جرت بمشيئة إلهية و تدبير رباني لحكمة معينة ..

النقطة الهامّة الأخرى في هذا الصدد هي فكرة خلق آدم في الجنة و هبوطه إلى الأرض و بأنّ ذلك يؤكد بأن الإنسان وجد كما هو على الأرض بدون عملية تطورية.

و في الحقيقة هذه النقطة شائكة بلا شك .. لكن نعود إلى فكرة أن القرآن حمّال أوجه .. فلماذا لا يكون آدم و حواء هما اصطفاء لله من بين الكائنات التي تطورت إلى الجنس البشري الواعي ، و بأنّ الجنّة كناية عن حياة النعيم التي اختبراها على الأرض قبل عصيان أوامر الله ؟..

و لا ننسّ هنا أن مدينة عدن في اليمن تحمل اسم جنة الخالق ، فربما كانت هذه المدينة ذات يوم منذ آلاف السنين عبارة عن صورة مصغّرة عن الجنة ، فيها كل ما

احتاجه آدم و حواء اللذين عاشا فيها.. طبعاً هذه مجرد فرضية أو احتمال أو تفسير معيّن ..

بل إنّ بعض رجال الدين من أمثال الشيخ المصري محمد عبده قالوا بأن آدم و حواء هما رمز لكافة الجنس البشري المتطور عن أسلافه و ليسا مجرد شخصين مفردين ، و هذا أيضاً مجرد احتمال و تفسير آخر ..

و هنالك زاوية خطيرة هامة لابدّ من التطرق إليها الآن ، وهي أّن تفسير رجال الدين لآليات خلق آدم و حواء تتناقض كلياً مع الاكتشافات العلمية ، فمثلاً لو أنّ الله خلق آدم بالفعل بعد خلق الكون مباشرةً و أنزله إلى الأرض ، فلماذا لا نجد هياكل عظمية لبشر من جنس الإنسان الحالي العاقل تعود لملايين السنين و منذ بدء تشكّل الأرض ، في حين أنّ أقدم هيكل عظمي لهذا الجنس عثر عليه في المغرب و تعود لحوالي **300** ألف سنة لا أكثر ؟! ليس ذلك فحسب بل إنّ البشر اكتشفوا

أحافير و مستحاثات لكائنات بسيطة تعود لملايين السنين و لم يكتشفوا أي أثر لكائنات حية أكثر تطوراً طوال تلك الفترة الزمنية الهائلة ، مما يوجه بقوة إلى إمكانية تطور هذه الكائنات البدائية عبر تلك الفجوة الزمنية المؤلفة من ملايين السنين إلى كائنات حية معقدة ، و تفسيرات الآيات القرآنية في هذا المجال تطول و تتشعب ، لكن ما يهمنا في الحكاية كلها أنّ العلم لا يتناقض مع الدين بمعنى أننا يجب ألا نلوي ذراع العلم بتفسيرات غير منطقية كي تلائم النص الديني فالعلم له وجه واحد فقط تحكمه القوانين لتفسير الحقائق العلمية المثبتة بالدليل ، أما النصّ الديني فحمّال أوجه باعتراف رجال الدين قاطبة ..

*****

في ختام مقاربة مغالطتنا الشهيرة و الشائكة للغاية بين البشر(**داروين و التطور**) ، من المنطقي بعد الآن ألا نقول :

= أصل الإنسان قرد بلا شكّ ..

بل أن نقول :

= ما من عالم قال ذلك أبداً ، فجميع الاكتشافات العلمية تكذب خلاف ذاك ..

و ألا نقول :

= التطور و الدين يناقضان بعضهما ..

بل أن نقول :

= الدين و العلم يدعمان بعضهما و لا يتصارعان ، فلماذا لا يكون التطور هو طريقة الله في خلق الكائنات ، فما نختلف عليه ليس حدوث التطور من عدمه فهو نظرية مدعومة بأدلة كثيرة منطقية ، بل كيف حدث التطور ؟ هل هو وليد الصدفة (كيمياء أنتجت خلية تطورت إلى كائن) و من تلقاء نفسه ،أم أنه متوالية من الأحداث بتدبير إلهي ؟

إذا نظرنا من حولنا في الحياة و عبر التاريخ نجد أنّ كل شيء تمّ عبر عملية تطور ، من أجهزة الهاتف أو الحواسيب التي كانت بدائية ثم تطورت تدريجياً إلى نماذج مذهلة و لا زالت في تطّور مستمّر ..

أو العلوم بفروعها المختلفة التي حبت على درب التطوّر ثم خطت خطواتها الأولى حتى باتت تركض الآن بتسارع رهيب كحال الفيزياء التي بدأت ببضعة قوانين بسيطة

عند رجل الكهف بأنّ الرمح ذا النهاية الحادة أكثر ينطلق في الهواء بقوة أكبر أو كلما زاد حجم الصخرة زاد وزنها و صعب حملها ، ثم ظهرت الفيزياء الكلاسيكية مع نيوتن و اليوم نجد الفيزياء الحديثة كميكانيكا الكّم التي تتعدل و تتطور باستمرار ، أو علم الفلك الذي بدأ برصد نجوم السماء بالعين و وصل اليوم إلى رؤية مجرات في حدود بتلسكوبات فضائية متطورة كهابل و جيمس ويب، بل أكثر من ذلك ، الكون برمّته نشأ عبر عملية تطورية من نقطة مفرطة الكثافة إلى جزيئات دون ذرية فذرات فعناصر و بعدها مجرات بنجوم و كواكب و أقمار و كويكبات و سدم ..

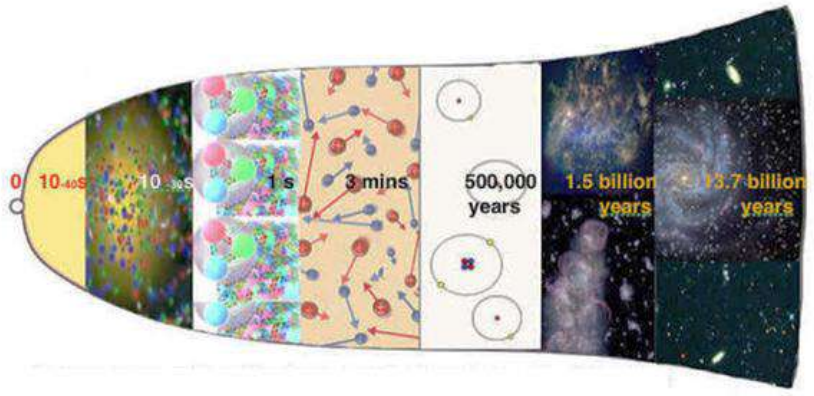

فالتطور سمة الحياة و ديدنها ، و ليس مستبعداً على الإطلاق أن تكون الكائنات الحية تطورت في نشأتها بأمر إلهي ... فالأهمّ في هذه المغالطة كلها هو التأكيد على أنّه ما من شيء تم في هذا الكون إلا بإرادة إلهية و لكن وفق قوانين علمية ، لذا أدعك عزيزي القارئ مع هذا السؤال الأخير و أتمنى أن تفكر به قليلاً بعمق :

(إن كان البشر و الحيوانات قد نشأوا من عملية تطور عبثية بالفعل، فمن خلق النباتات بتنوعها الرهيب على الأرض ، كيف يمكن أن تتحول بذرة صغيرة إلى شجرة باسقة عملاقة عن طريق الصدفة البحتة ؟ ومن وجه هذه النباتات لاحقاً كي تتمايز إلى أنواع مختلفة و تشكل مصدر الغذاء الرئيسي للبشر و الحيوانات ؟)

إنّ الخالق يثبت وجوده في كل تفصيل من تفاصيل خلقه ، و وجوده أمر غير قابل للشك ، فالعبثية و الفوضى لا يمكن أن تنتج هذا الكون المذهل و هذه الأرض الفريدة بتنوع ما عليها على نحو متكامل يخدم بعضه البعض بطريقة متقنة مفعمة بالفنّ لا يشقّ لها غبار .. و الحقيقة المغيبة في هذه الحياة أن ما من إنسان ينكر وجود الله بسبب أدلة منطقية دامغة يقدّمها ، بل على خلفية ظروف

صعبة عاشها في طفولته أو في حياته اللاحقة فنقم على السماء و بالتالي رفض وجود الله ببساطة .. هكذا بال دليل و لا دراسة .. أي أنه موضوع نفسي وجداني بالأساس و ليس علمياً على الإطلاق !!

مغالطة أثر الكوبرا

(الرمال المتحركة)

قال موزع الأوراق في لعبة البوكر في إحدى صالات القمار في لاس فيغاس :

= فليظهر اللاعبون أوراقهم ..

فتح جاك أوراقه و هو يبتسم بثقة من انتصاره فلديه **FULL HOUSE** و احتمال خسارته ضئيل للغاية .. فتح بقية اللاعبين أوراقهم تباعاً و كان جاك في طريقه نحو الفوز كما توقّع حتى فتح آخر لاعب أوراقه ليصدم بأنّ لديه **STRAIGHT FLASH** و بذلك خسر جاك ماله كله فقد دخل به كاملاً **ALL IN** ..

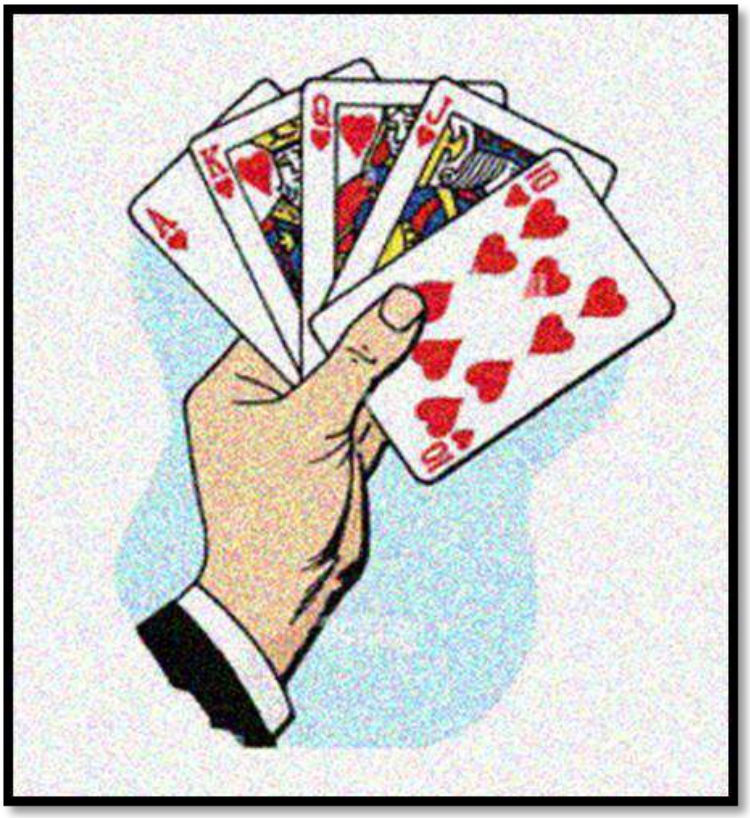

خرج جاك من صالة لاس فيغاس يجر ذيول الخيبة بعد أن خسر ثروته كلها .. و هو يفكر ، ما الحل الآن ؟ لديه

خياران ، إما أن يقلع عن القمار و يستمّر بعمله كي يعوّض خسارته ، أو يقترض مبلغاً من المال كي يقامر به مجدداً و يعوّض خسارته ثم يرد المال لصاحبه ..

و لأنّ جاك ماهر جداً في لعبة البوكر قرر اقتراض المال و المحاولة مجدداً ..

بالفعل هذا ما حدث ، لكن جاك خسر المال مجدداً لسوء حظه ، فتفاقمت ديونه و مشكلته ، لذا اقترض مجدداً مزيداً من المال فخسر ثانية ، و هكذا حتى ترتبت عليه مبالغ هائلة و رفعت عليه أكثر من قضية فحوكم بالسجن في النهاية حتى يعيد الأموال التي لا يملكها إلى أصحابها

فما الذي حدث في الحقيقة ؟ لقد حاول جاك حلّ مشكلته ، لكن طريقة الحلّ فاقمت مشكلته و زادتها تعقيداً و سوءاً حتى أدت به إلى ظلمات السجن .

*****

لا شكّ أننا جميعاً مررنا في حياتنا بتجربة مماثلة لتجربة صديقنا جاك ، عندما حاولنا حلّ مشكلة اعترضت طريقنا في الحياة فانتهى بنا الحلّ إلى وضع أسوأ بكثير من الوضع الذي فرضته المشكلة علينا ، و هذا هو بالضبط جوهرمغالطتنا الجديدة (**أثر الكوبرا**) مع سؤالها المحوري التالي :

(هل لكل مشكلة حلّ بالفعل ، أم أن بعض الحلول

تفاقم المشكلة ؟ و كيف يمكن لحل بالأساس أن يزيد من سوء نكباتنا ! و هو حل ؟)

و جوابنا المبدئي الوجيز كالعادة على هذا السؤال و الذي ربما سيشائمك قليلاً عزيزي القارئ هو :

(أجل بعض المشاكل الكبيرة = النكبات = لا حلّ لها سوى انتظار فرج الله لأنّ حلها سيفاقم مساوئها حتى يصل بنا إلى نقطة الانكسار و اللاعودة كما حدث بالضبط مع صديقنا جاك .. و هذا ما يدعى أثر الكوبرا)

فما قصة هذا المصطلح الغريب (أثر الكوبرا) ؟ و كيف نشأ ؟

أثر الكوبرا مصطلح يشير الى الفكرة التالية :

((حل مشكلة قد يفاقم من سوئها))

و قد نشأ هذا المفهوم في الهند إبّان الاستعمار البريطاني في القرنين **19** و **20** .. فحينها عانى البريطانيون من زيادة أعداد أفاعي الكوبرا في العاصمة دلهي على نحو خطير ، فقرّروا حلّ المشكلة بأن أعلنوا مكافأة مالية لكلّ من يصيد ثعباناً من المواطنين .. بالفعل أقدم الهنود على

قتل الكثير من الأفاعي بغية اقتناص الجائزة ، بل أكثر من ذلك أقدم السكان على تربية الأفاعي لقتلها و كسب المال مما سبب خسائر اقتصادية كبيرة للحكومة البريطانية لذا ألغت المكافأة في النهاية ..

فماذا كانت النتيجة ؟

أصبحت الثعابين التي تم تربيتها من قبل السكان بلا قيمة لهم لذا تركوها في الطبيعة فتكاثرت أكثر من الأول .. !!

و هكذا كان حلّ مشكلة انتشار الأفاعي سبباً في زيادة انتشارها بدلاً من إنقاص عددها ليصبح مصطلح أثر الكوبرا شاملاً لأي حالة مماثلة بعد ذلك ..

نبدأ من حيث انتهينا مع أثر الكوبرا بقول عميق للإمام **علي بن أبي طالب** :

(للنكبات غايات تنتهي إليها ، و دواؤها الصبر

عليها و ترك الحيلة في إزالتها ، فإن الحيلة في إزالتها قبل انقضاء مدتها و بلوغ غايتها سبب لزيادتها)

و بالفعل بعض المشاكل الكبيرة التي تعصف بحياتنا كنكبات تكون بغاية إلهية منشودة ، و في حال حاولنا تلافيها أو حلها زاد حجم النكبة أكثر لأنّ الله ببساطة يصمّم على بلوغنا نهايتها كي نتعلم الدرس البليغ منها ، لذا من الأنسب في هذه الحالة انتظار فرج الله لها بعد بلوغنا هذه الغايات لتنحسر تدريجياً حتى تختفي و تبقى الحكمة و العبرة منها ..

و لتوضيح هذه الفكرة الهامة أكثر سنتطرّق إلى مجموعة أمثلة من الحياة أغلبها طبي من وحي توجهي المهني تدعم هذه الحقيقة و تشرحها بعمق أكثر لإيصال فكرتنا بوضوح :

❁ **المثال الأوّل ، الرمال المتحركة :**

ففي حال سقط إنسان في رمال متحركة فالعلم يقول بأن حركته الشديدة كمحاولة لإخراج نفسه منها سيجعله يغوص فيها أكثر و بسرعة أكبر و الحل المنطقي الوحيد في هذه الحالة هو البقاء ثابتاً و هادئاً لأطول فترة ممكنة حتى يمر أحدهم بالجوار و يقدم لك يد المساعدة .. و أي حلّ آخر سيفاقم مشكلتك لتغوص في

الرمال بسرعة أكبر !!

❁ **المثال الثاني ، انكسار المعاوضة في قصور القلب:**

فعندما يتلف جزء من القلب و يخرج من الخدمة يحاول الجسم معاوضة ذلك برفع الضغط الشرياني عبر تقبيض الأوعية ، حبس السوائل و الشوارد و زيادة عمل النسيج القلبي الطبيعي ..

لكن عندما يبلغ التلف جزءاً كبيرا من القلب ، تنكسر هذه

المعاوضة فيهبط الضغط الشرياني كثيراً و تتشكل الوذمات في الكواحل و غيرها ، فإن حاول الطبيب رفع الضغط هنا عبر تسريب السيرومات كحلّ للمشكلة فإنه يجهد القلب أكثر و يزيد حجم و رقعة الوذمات كما يدخل المريض في وذمة رئة حادة قد تودي بحياته !!

❁ **المثال الثالث ، الضائقة المادية :**

فكثيراً ما يلجأ الناس لحل مشاكلهم الاقتصادية إلى الديون كي يحافظوا على مستوى المعيشة نفسه ، مما يفاقم المشكلة المالية أكثر ، في حين أن الحل المناسب لها هو الاقتصاد و تخفيض مستوى المعيشة كي يلائم ميزانيتهم حتى تتحسن ظروفهم أو يصادفوا فرص عمل أفضل بدخل أكبر فيعودوا عندها إلى مستوى المعيشة السابق و ربما أفضل منه .. و مثال آخر مشهور عن هذه الفكرة هو حالة التضخم المالي الذي يصيب دولة ما عندما تلجأ لحلّ انهيار قيمة عملتها بطبع الكثير منها!

❁ المثال الرابع ، الرهاب الاجتماعي :

ففي هذا الاضطراب النفسي تنتاب المريض نوب هلع عند احتكاكه بالناس من حوله فيحلّ المشكلة بالانزواء و الانعزال عن المجتمع مما يزيد حدة الرهاب و يفاقم خطورته و ربما أدى إلى انتحار المريض من شدة يأسه

في حين الحلّ لهذا المرض هو بالإغراق اي الانفتاح على الآخرين حتى الوصول إلى درجة التعود و انحسار الرهاب ، بالطبع رفقة العالج الدوائي و النفسي المناسب

❁ المثال الخامس ، صدمة النزيف :

ففي حالات النزف الشديد ينخفض الضغط الشرياني كثيراً لكنّ رفعه مباشرةً بمقبضات الأوعية يزيد نقص تروية الأطراف مسبباً احتشاءها و تموتها ..

أما التدبير المناسب في هذه الحالة فهو تعويض الدم و السوائل أولاً حتى نصحح نقص الحجم قدر الإمكان ثم

نستخدم مقبضات الأوعية بأمان لرفع الضغط الشرياني

و كما نرى بوضوح من هذه الأمثلة ، فكلها مشاكل عويصة و محاولة حلها بطريقة خاطئة يفاقم من خطورتها لدرجة قد تنهي حياة الإنسان أو تدمرها على أقل تقدير ..

في حادثة شخصية جرت معي منذ سنوات ، كنت ذات صيف في قريتي ألوذ من حرّ المدينة و ضجيجها، و كان أبي قد وضع مادة لاصقة على قطعة رخام كي يمسك بفأر عاث خراباً في المنزل ، و وضع القطعة أمام المنزل ، لكن للأسف و من سوء حظ أحد العصافير أنه أعجب بمنظر القطعة البراق من السماء فهبط و وقف عليها فالتصقت قدماه بها و عجز عن الطيران مجدداً ، و من

شدة خوفه و فزعه أخذ يرفرف بجناحيه بقوة أكثر كي يخلص قدميه لكن جناحاه التصقا بدورهما على القطعة و كلما حاول تخليص نفسه أكثر زاد التصاقهما أكثر حتى عجز تماماً عن الحركة و انا أراقبه مشفقاً عليه بحزن ، و كلما حاولت مساعدته اشتد هياجه ، لكنه عندما تثبت تماماً ، استكان لوضعه الراهن و استسلم ليديّ ، فقمت بإذابة المادة اللاصقة بمشتق نفطي حتى حررته بالكامل و سمحت له بالطيران ، و لو أن العصفور استسلم لواقعه منذ علقت قدماه لأمكنني تحريره بسهولة و بسرعة ، و لوفّر على نفسه هذا الكّم من الفزع ، و لما خسر كثيراً من ريشه ..

و هنا نعود إلى فكرتنا الرئيسية ، إعمال الحيلة في النكبات يفاقم من المشكلة كأثر الكوبرا !!

في قصة مفعمة بالعبر ذات صلة بمغالطتنا حدثت بالفعل

في ولاية تكساس الأمريكية عام **2020** ، التقت شابة مصادفة بفتى أحلامها ، فتعرفت عليه أكثر و أحبته و اقتنعت تماماً بأنه الشاب الذي طالما حلمت به ثم تزوجا .. لكنها أخفت عنه سرّاً بأنها لا تنجب بسبب استئصال رحمها من قبل .. و عندما لم تنجح بالحمل لمدة عام أصر زوجها عليها بأن يذهبا للمشفى لإجراء فحوص توضح سبب عدم حدوث الحمل فأدركت الشابة بأن أمرها سيكتشف و سيعرف زوجها أنها كذبت عليه و بالتالي ستخسر حبها و فتى أحلامها و يتطلقان ، طبعاً هذه تعتبر نكبة في حياتها و كان الأحرى بها أن تعترف لزوجها بالحقيقة فإما أن يقبلها كما هي عاقراً أو يطلقها و يبدأ كل منهما حياةً جديدة ، لكنها قررت حل المشكلة بطريقة أخرى ، فأقنعت زوجها بالتريث لشهر آخر قبل اللجوء إلى الأطباء فوافق على مضض.. و بعد أسبوع أخبرته كذباً بأنها حامل بحسب الاختبار المنزلي ففرح بشدة.. أما هي فبدأت تحجز مواعيد وهمية في المشفى لمراجعة طبيب النساء و تدعي أنها ذاهبة إلى مواعيدها ، و عندما تقدمت أكثر بحملها المزعوم قامت بشراء صور إيكو مزيفة تظهر جنينها المفترض و بطن صناعية من السيليكون من موقع الكتروني .. و لعبت دور الحامل تماماً كمحاولة منها للتشبث بزوجها لأطول فترة ممكنة .

لكن موعد الولادة اقترب و كذبتها أوشكت على الانكشاف بل على نحوٍ أكبر و أسوأ ، و هنا كانت فرصتها الثانية

لحل المشكلة مجدداً بالاعتراف بكذبها و إنهاء الأمور ..

لكنها أوغلت في كذبتها أكثر و على نحوٍ أخطر بكثير، فقد تعرفت عبر مواقع التواصل الاجتماعي على سيدة حامل في نهاية حملها و أصبحتا صديقتين ، ثم أخبرتها بأنها تنوي زيارتها للتعرف عليها شخصياً ، و بالفعل قامت بالزيارة لكنها كانت تخفي حلاً أخيراً كارثياً لمشكلتها التي وقعت فيها ، فقد أقدمت على طعن السيدة الحامل حتى الموت و شقت بطنها ثم استخرجت جنينها و مضت به إلى المشفى بسرعة كي تدعي أنها ولدت في منزلها قبل أوانها .. لكنّ شرطة المرور أوقفتها بسبب سرعتها الزائدة و وجدت الجنين معها فشكت بأمرها و قصتها و رافقتها إلى المشفى ليتبين بأنّ الجنين ميّت و بعد فحصها النسائي تبين أنها لم تلد كما قالت بل لم تكن حاملاً بالأساس، و بعد فترة تم اكتشاف جثة السيدة الحامل

و بربط القصتين ببعضهما و إجراء اختبار **DNA** للجنين المتوفي تبين أنه ابن السيدة المقتولة فتم إلقاء القبض على السيدة الكاذبة و حوكمت بتهمة القتل العمد ثم زجت في السجن مدى الحياة .. و هنا نجد مجدداً أنّ إعمال الشابة الحيلة في حل نكبتها المتمثلة بعجزها عن الحمل و بالتالي التهديد بخسارة زوجها فاقمت سوءها حتى انتهى بها المطاف إلى جريمة قتل خسرت معها ليس زوجها فحسب بل حريتها أيضا بقية عمرها ، و لو أنها استكانت لقضاء الله و قدره لوفرت على نفسها كل هذا و ربما بقي زوجها معها رغم عدم قدرتها على الإنجاب ..

فكما تلاحظ جيداً عزيزي القارئ ، إعمال الحيلة في المشاكل الكبيرة العويصة بحلول اعتباطية غير عقلانية أو مدروسة قد ينتهي بك إلى كوارث حقيقية أكبر بكثير من مشكلتك الأصلية كما حدث مع هذه الشابة (**مشكلة أنها عاقر**) أو صديقنا جاك في مطلع المغالطة (**مشكلة خسارة ماله**) حيث أدت حلولهما غير المناسبة إلى السجن و فقدان كل شيء ..

و كخلاصة أخيرة إن واجهتك نكبة ما في حياتك فاعتمد **البروتوكول** البسيط التالي لتجاوزها بأقل الخسائر الممكنة :

① شخّص سبب مشكلتك بدقّة، و لا تتسرع بالحل ، فالتشخيص الصحيح أول خطوة و أهم خطوة لحل

المشاكل.

② فكّر بهدوء بحلّ سليم لا يفاقم خطورة المأزق ..

③ في حال فشلت حلولك المنطقية الآمنة استكن لواقعك و استسلم ليد الله الرحيم الذي كما ابتلاك بالنكبة سيعينك على الخروج منها بعد تحقيق الغاية النبيلة و العبرة الملهمة منها و التزم الدعاء ، فلا شيء يدوم ، لا فرح و لا ترح كما قال الإمام **علي** مجدداً :

دع المقادير تجري في أعنتها

و نم نوماً قريراً هانئ البالِ

فما بين غفلة عينٍ و انتباهتها

يغيّر الله من حالٍ إلى حالِ

ببساطة اعتبر مشاكلك كالأشخاص من حولك ، قد لا تتفق معهم أبداً ، لكن عليك التعايش معهم و قبولهم ، فوجودهم بحياتك ليس عبثياً ، بل وضعهم الله في طريقك لحكمة يعلمها و متى بلغت هذه الغاية سينسحب هؤلاء الأشخاص من حياتك ..

و لم أجد جملة بسيطة لكن عميقة تصف هذه الفكرة بإبداع أكثر من مقولة الفيلسوف الهندي **أوشو** :

(تقبّل مشكلتك كهدية من الله)

فكلّ عقبة تعترض طريقنا تحمل هدية من الله في طياتها على هيئة درس بليغ أو نجاة من مشاكل أكبر ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الشائعة و الحسّاسة (**أثر الكوبرا**) من الحكمة و التعقل ألا نقول بعد الآن :

= أنا في ورطة و يجب عليّ حلها سريعاً قبل تفاقمها ..

بل أن نقول :

= للنكبات غايات سماوية يجب أن تؤول إليها فعليك

الصبر و الرضا بحكم الله و حكمته و قضائه .. و هذا لا يعني الاستسلام او عدم السعي لإيجاد حلول ، بل أن تتريث في تشخيص سبب المشكلة و إيجاد حلول منطقية لها لا تفاقم من سوئها فإن عجزت عن ذلك ، عليك ألا تتسرّع باللجوء إلى حلول اعتباطية تبدو من ظاهرها فرجاً لكنها في أعماقها تضيف مشاكل إضافية أو تزيد من شدة المشكلة الأصلية أو تسرّع من عواقبها ..

من أكبر العبر الإلهية في خلق الكون المبدع هو توالي الليل و النهار و كأنّ الخالق يقول لنا :

(**الحياة دورات متتالية من يسر و عسر .. شدة و رخاء .. نكبات و انفراجات ..**))

فاصطبر عزيزي القارئ على مشاكلك و عسرك كما قال تعالى :

(و اصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)

فهل من كلام مريح و مفائل أكثر من ذلك ، أنت بحماية الخالق النبيل و تحت ظل رحمته و في عيونه التي لا تنام و لا تغفل عنك .. فكما ابتلاك بالمصيبة لحكمة في نفسه سيعينك بفرجه في الوقت المناسب لتشرق الشمس من جديد بعد الغيوم و المطر .. و تذكّر أنّ أشدّ لحظات الليل حلكةً هي التي تسبق بزوغ الفجر مباشرةً ، و في نهاية كل نفق مظلم ضوء يشير إلى مخرجه مهما بلغ طوله و

اشتدت عتمته .. فاصطبر على عتمة ليلك و نفقك (نكباتك) و تيقّن بأن فرج الله ينتظرك على بعد خطوات من ذروة العتمة ، كما قال الإمام الشافعي :

و لربّ نازلةٍ يضيق لها الفتى

ذرعاً و عند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت و كنت أظنها لا تفرج

مغالطة أصابع اليد

(سواسية كأسنان المشط)

اقتربت عربة الملك بهدوء حتى توقفت و فتح بابها ، فأفلت الأب يد ابنه و سارع بالارتماء أسفل باب العربة فنزل الملك على ظهره حتى بلغ الأرض ، و الرجل يبتسم بزهو أنّ الملك بنفسه داس عليه ..

لاحقاً في ذلك اليوم شاهد الابن و أبوه جارهم العجوز الفقير يحاول النزول عن حماره بمشقة بالغة ، لكن الأب اكتفى بإلقاء التحية عليه و تابع طريقه ، فالتفت إليه الابن بدهشة ..

= لماذا لم تساعد جارنا العجوز يا أبتي على النزول و هو بحاجة لذلك ، في حين ساعدت الملك صباحا على النزول على جسدك و هو ليس بحاجة .. ؟

= لأنّ الناس مقامات يا بني و أصابع يدك ليست مثل بعضها.. كيف تقارن ذاك العجوز الفقير بملك يحكم البلاد كلها .. ؟

= مقامات !! ما معنى ذلك ؟ في الحقيقة لقد رأيت اليوم ملكنا للمرة الأولى ، إنه متغطرس و متكبر تكاد عربته لا تتسع لرأسه المتورم غروراً .. أما جارنا فهو فقير طيب القلب و لطالما قدم لنا المساعدة دون مقابل .. إن

كانت الناس مقامات كما تدعي فجارنا في مقام أعلى بكثير من ذاك الملك ..

= اسكت يا ولد .. كيف تجرؤ على قول ذلك ؟ ربما سمعك أحد .. !!

= و لماذا أسكت ؟ لقد أخبرني جدي رحمه الله ذات يوم أنّ الناس جميعاً يأتون الحياة عراة و يغادرونها عراة و ما يكسوهم بين هذين اليومين هو أخلاقهم و عملهم الصالح .. وجدي محق برأيي ، لذا فإن جارنا مستور أكثر من ملكك العريان ..

*****

الناس مقامات ..

عبارة نرددها كثيراً في حياتنا اليومية ، لتخرج عن صيغتها الأساسية التي وضعت فيها (أي لكل إنسان مقام بحسب علمه و أخلاقه) إلى كل شيء آخر .. فالأغنياء بمقام أعلى ، و أصحاب السلطة في منزلة عليا و لون البشرة يتدخل بدوره في التصنيف ثم الدين و الطائفة و غيرها .. لتصبح تلك العبارة مرتعاً للعنصرية البغضاء التي تفرق بين البشر على أسس واهية و غير منطقية .. لتستحق أن تكون لقباحتها و خطورتها ختام مغالطاتنا في هذا الجزء من رحلة المغالطات التي آمل أن تستمر بعون الله ..

إذن مغالطتنا الأخيرة هي (**أصابع اليد**) في إشارة إلى مقولة شائعة أخرى مماثلة في المضمون للسابقة (**أصابع يدك ليست مثل بعضها**) ليكون سؤال المغالطة الجوهري كما أسلفنا :

(هل الناس بالفعل بمقامات مختلفة تجعلهم متفاوتين كأصابع اليد ؟)

رغم أنني أحب الحياد و العقلانية في مقاربة المغالطات لكنني ميّال للاستشهاد بأي مقولة لأي شخص أو أي مثل شعبي إن كان يدعم الفكرة الصحيحة التي أؤمن بها بنفسي على أقل تقدير .. و لا أجمل من أن يأتي الجواب على هذا السؤال من **نبي الرحمة** بقوله :

(**الناس سواسية كأسنان المشط**)

بمعنى أنهم يتساوون بالحقوق و الواجبات .. و سلوكهم فقط لا غير من يميزهم عن بعضهم بالارتقاء لمقامات عليا أو التدهور إلى قاع البشرية ..

و لتفسير هذه الفكرة أكثر سنلجأ لمقاربة مغالطتنا من **3** زوايا هامة للغاية :

1. **لماذا يجب أن يكون البشر سواسية ؟ ..**
2. **المساواة لا تكافئ العدل ..**

③ الأسس الواهية لتمييز البشر ..

فهيا بنا عزيزي القارئ في مغامرة شيقة أخيرة نثبت فيها معاً بأن البشر سواسية كأسنان المشط بالفعل ..

أولاً ، لماذا يجب أن يكون البشر سواسية ؟

سنجيب على هذا التساؤل المنطقي من أربع زوايا تحيط به من كل الجهات (فلسفية ، إنسانية ، دينية و غيبية) :

❁ **وجهة النظر الفلسفية** : فلسفياً الحياة لا يمكن أن تستمر إلا بالعدل .. و العدل لا يمكن أن يتحقق إلا بالمساواة بين البشر ، فلو انتشر الظلم بين الناس لأفنوا بعضهم بعضاً و انتهت الحياة على الأرض بل أجهضت في مهدها ..

فالمساواة و العدل أساسيان لاستمرار تيار الحياة قبل

أي اعتبارات أخلاقية و إنسانية لهما .. فهما عمود الخيمة و حجر الزاوية فيها ، و ليسا من كماليات الحياة البشرية.. و خير دليل على هذه الزاوية هو المجتمعات التي يغيب القانون فيها فتتفشى الجريمة و الفاحشة و الظلم و الاحتكار و غيره فيها ، فتدمرها و تجعلها لقمة مستساغة للاحتلالات من قوى أكثر تنظيماً و بطشاً منها.

❁ **وجهة النظر الإنسانية** : هنالك نظريتان تحكمان هذه الزاوية :

① **نظرية العريان** : أي أنّ كل الناس يولدون و يموتون بنفس الهيئة (**عريانين لا يحملون معهم شيئاً**) مما يمنحنا حكمة و عبرة بأنّه لا تميز لأحد على غيره إلا بالأخلاق و الأعمال الخيّرة ، فالحياة نفسها لم تميز بين إنسان و آخر عندما أوجدته فيها ، كما لم تفرق بين اثنين بطريقة مغادرتها ، فكيف لنا أن نخلق طبقات بين الناس على أسس واهية ؟

إنّ خير من اختصر هذه النظرية هو الشاعر العريق **أبو العتاهية** بأبياته الأيقونية هذه :

نأتي إلى الدنيا و نحن سواسية

طفل الملوك هنا، كطفل الحاشية

و نغادر الدنيا و نحن كما ترى

متشابهون على قبور حافية

أعمالنا تعلي وتخفض شأننا

وحسابنا بالحق يوم الغاشية

② **نظرية المرآة** : أي عندما يكتوي الإنسان بنيران الظلم يدرك قباحته و مرارته، فيشعر بأخيه الإنسان و يرى فيه نفسه كأنه ينظر في المرآة فلا يرغب بمشاهدته يتعرض للظلم الذي لحق به ، أي أنه لا يظلم غيره لأنه لا يريد أن يظلمه أحد بدوره .. باختصار الحياة تعلمنا أن نكره لغيرنا ما نكرهه لأنفسنا بمعنى ألا نكون ظالمين ..

❁ **وجهة النظر الدينية** : إنّ جميع الأديان أكدت على فكرة العدل الإلهي و تساوي الناس في الحقوق بين يدي خالقهم ، فنجد البارئ يقول :

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

كما نجد نبي الرحمة يقول :

(لا فضل لعربي على أعجمي و لا للون بشرة على غيره إلا بتقوى الله و العمل الصالح)

فالعمل الصالح هو الفيصل الوحيد في تمييز البشر عن بعضهم.

و هذه الحقيقة الدينية دفعت الفيلسوف الإغريقي الشهير **زينون الرواقي** لقوله الشهير الواقعي:

(المساواة من صنع الله ، أما التمييز فهو من صنع البشر)

❁ **وجهة النظر الغيبية** : البشر لا يعرفون بالضبط قيمة كل إنسان في الحياة ، ما بذله من جهد في حياته و ما أنجزه من خير خلالها .. فهذا أمر غيبي يختص بالإله ، لذا علينا ألا نحتقر أحداً بناءً على شكله أو هندامه أو طريقة كلامه، فنحن لا ندرك تماماً أي مهمة عظيمة خصه الله بها .. و أبسط مثال قريب إلى عقلي و قلبي

هو مثال عبد الله والد النبي محمد .. فقد رحل عن الحياة شاباً بسيطاً و لم يترك ذلك الأثر الضخم للبشرية بأفعاله و لا شك أن كل من عرفه نظر إليه بفوقية و بأنه تكملة عدد في البشرية لا أكثر، لكنه في الحقيقة أنجب أحد أعظم البشر في التاريخ ، و يكفيه هذا الأثر كي ندرك أن حياته كانت هامة للغاية .. ليصبح بدوره أحد أسنان المشط البشري بقيمة لا تقل عن أي سن آخر فيه .. كذلك الحال فإنّ أغلب الأنبياء و العظماء اختارهم الله كبشر عاديين في بداياتهم ، ميزتهم الأساسية الأخلاق أو الفضول للمعرفة .. أما الأثرياء أو أصحاب السلطة فغالباً ما ينشغلون بنمط حياة فوقي لا يسمح لهم بالالتفات إلى ما حولهم لاكتشاف الجديد أو مساعدة الآخرين فلا يتميزون إلا بمالهم أو سلطتهم .. و لهذه القاعدة استثناءات بالطبع.

ثانياً ، المساواة لا تكافئ العدل :

بعد سرد الزوايا الأربعة الهامة ، لا بد من التنويه إلى أنّ المساواة لا تعني تكافؤ البشر بالمزايا بغض النظر عن جهدهم بل التساوي بالحقوق الأساسية (كالحياة ، الحرية ، التعليم .. و غيرها) في حين يتفاوتون كثيراً تبعاً لأعمالهم و أخلاقهم ..

و طبعا المساواة في الحقوق يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الفردية كي تصل بنا الى العدل النهائي .. فالمساواة لا تعني العدل دائماً كما توضح الصورة التالية

بشكل مبدع ..

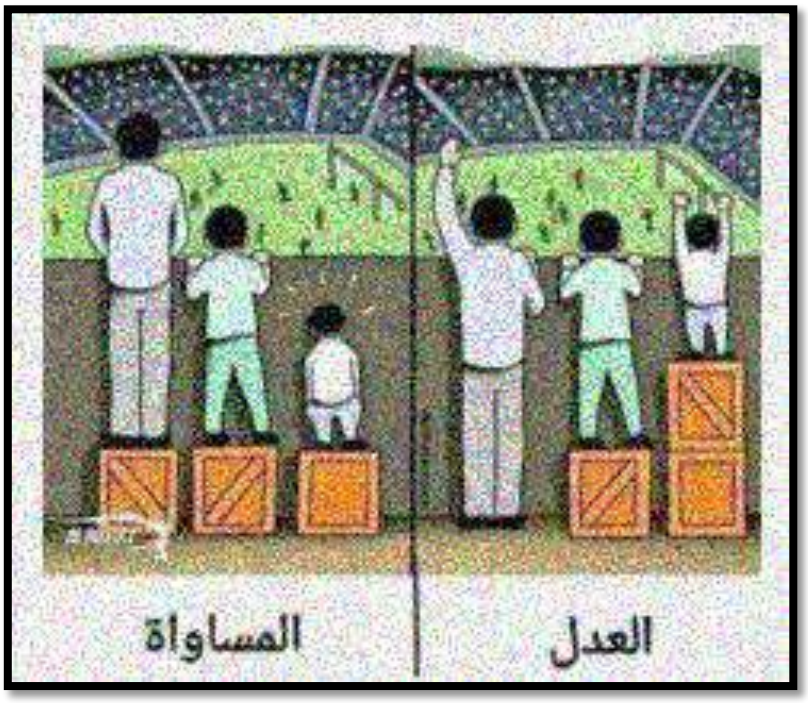

و خير مثال على هذه النقطة الهامة هي تجربة الشيوعية ، التي لها ما لها و عليها ما عليها ..

ففكرة تساوي البشر بالدخل و المزايا بغض النظر عن جهدهم و سلوكهم هو أمر غير منطقي و غير قابل للتطبيق و هو ما سبب اضمحلال تلك الفلسفة في العالم .. دون أن ننكر أن فكرة المساواة بين البشر بشكل عام

التي نادت بها هي فكرة نبيلة و سامية لكن بحاجة لدراسة أوسع كي تطبق بشكل صحيح ..

ثالثاً ، الأسس الواهية للتمييز بين البشر :

التاريخ البشري يعج بالأمثلة عن العنصرية و تقسيم البشر إلى طبقات اعتماداً على أسس واهية و حمقاء ، و لعلّ أشهر هذه الأسس هو :

❁ **التمييز على أساس لون البشرة** : كالرق في فترة الجاهلية أو استعباد الأوروبيين للأفارقة و استغلالهم في مزارع القطن و قصب السكر ، و الذي وصل بهم أحياناً إلى قطع يد الإنسان الإفريقي كي يشعر بالدونية تجاه غيره من ألوان بشرة مختلفة صفراء ، بيضاء أو حمراء

❁ **التمييز على أساس عرقي** : كحال النازية و تفوق العرق الآري على غيره ، و الذي أدى إلى كارثة الهولوكوست بسبب نظرة هتلر لليهود على أنهم جنس أقل مكانة ..

❁ **التمييز على أساس الدين** : و للأسف نجد هنا اليهود نفسهم الذين يضطهدون الفلسطينيين على خلفية أنهم شعب الله المختار و الأحق بالأرض و الحياة .. كما نجد اضطهاد البوذيين في ميانمار لمسلمي الروهينجا أيضاً لنفس السبب ..

❁ **التمييز على أساس التطور و القوة العسكرية:**

كحال الإسبان و البرتغاليين في اجتياحهم لأمريكا الجنوبية و ارتكاب المجازر بحق الهنود الحمر ، أو احتلال بريطانيا للهند و غيرها من الأمثلة ، من منطلق أن الدول المتطورة أحق بثروات الدول الأقل تطوراً بمباركة من السماء حسب زعمهم !

❁ **التمييز على أساس الثروة** : كتفوّق طبقة النبلاء في أوروبا على عامة الشعب ، الأمر الذي أفضى في النهاية إلى ثوران تلك الشعوب و الإطاحة بتلك الطبقة كالثورة الفرنسية الشهيرة ..

و لأنّ المنطق و الصواب ينتصر لنفسه على الدوام ، فهذا التقسيم الظالم للبشر لم يستمر .. فانتشرت المساواة بين البشر على اختلاف ألوانهم لنجد **نيلسون مانديلا** أو **باراك أوباما** كرؤساء لبلدانهم بفضل تضحيات جسام ممن سبقهم ، كما نجد دول العالم أعلنت استقلالها و انسحبت قوات الاحتلال و الاستعمار منها ، كذلك طبقة النبلاء انتهت إلى غير رجعة ، و المستقبل كفيل بإنهاء ما تبقى من مظاهر عدم المساوة الأخرى بين البشر ...

في الأساطير الإغريقية القديمة نجد أسطورة مميزة عن بقية الأساطير ، بذلت جهدها و حياتها من أجل المساواة ليس فقط بين البشر بل أيضاً بين البشر و الآلهة ، إنها

أسطورة بروميثيوس خالق البشر و منجدهم .. و هي خير ختام لمغالطتنا هذه :

(**بروميثيوس** هو أحد حكماء **التايتن** و هم من الآلهة الأقوياء الجبابرة الذين حكموا الأرض خلال العصر الأسطوري الذهبي، بحسب الميثيولوجيا الإغريقية ..و اسم بروميثيوس يعني **بعيد النظر** ، إذ كان بروميثيوس قادراً على رؤية المستقبل والتنبؤ به، ربما كان هذا السبب الذي جعل بروميثيوس يقف إلى جانب زيوس (أبو الآلهة) في حربه ضد والده كرونوس و مناصريه من التايتن ، فقد علم بروميثيوس أن النصر سيكون حليفاً لزيوس في النهاية ..

بعد أن انتصر زيوس كافأ بروميثيوس لوقوفه إلى جانبه في الحرب بأن جعله مستشاره الخاص، كما عهد إليه وإلى أخيه **إبيمثيوس** مهمة تشكيل **البشر و الحيوانات** ..

أنجز إبيمثيوس مهمة تشكيل الحيوانات بسرعة، بينما كان بروميثيوس الذي تولى تشكيل البشر أكثر بطئاً رغبةً منه بإتقان ما يصنع .. لكن في هذه الأثناء استنفد أخوه أغلب الموارد في صنع الحيوانات، بحسب ما تقول الأسطورة، فأعطاهم سرعة العدو والرؤية عن بعد وحدة السمع، كما أعطاهم رداءً من الفراء ليدفئهم من البرد، ومختلف الأسلحة للدفاع عن أنفسهم مثل القرون والأنياب ولم يبق

شيء للإنسان .. فأشفق بروميثيوس على البشر ولجأ إلى زيوس كبير الآلهة طالباً منه المزيد من المعدات، إلا أن زيوس رفض ذلك فقد كان يريد أن يبقى البشر ضعفاء كي لا يتحدّوه في يوم من الأيام ..

عندما فشل بروميثيوس من أخذ أي معدات من زيوس قرر اللجوء إلى السرقة ، فقد أحب البشر كثيراً وأراد لهم أن يتفوقوا على مخلوقات أخيه .. فسرق القدرات والهبات المتنوعة من آلهة الأوليمب مقدماً للبشر فنون العمارة والبناء والنجارة واستخراج المعادن وعلم الفلك وتحديد الفصول والأرقام والحروف الهجائية .. ولم يكتفِ بذلك، بل علمهم أيضاً كيفية استئناس حيوانات أخيه إبيمثيوس وركوبها والإبحار بالسفن ، كذلك أعطاهم موهبة التداوي والشفاء ..

عندما علم زيوس بصنيعه غضب منه غضباً شديداً، إذ رأى أنه بالغ في شأن البشر ، لكنه لم يعاقبه واكتفى بتحذيره ..

بعد أن أعطى بروميثيوس كل تلك العطايا والهبات للبشر، وجد أن ما ينقصهم هو شيء واحد فقط :

(**النار**) ، فقد آمن بروميثيوس بحسب الأسطورة بقدرة البشر على الإبداع والإنتاج، وكان متأكداً أنهم عندما يكتشفون النار سيحسنون استخدامها ويصنعون بها العجائب .. لكن النار كانت موجودة فقط في جبال

الأوليمب ملكاً لكبير الآلهة زيوس، ويحرسها إله الحدادة هيفاستوس الذي كان مكلفاً بصنع الدروع للآلهة و الصواعق لزيوس .. ومع ذلك لم يجد بروميثيوس ضرراً من سرقة شعلة منها لإعطائها للبشر، فتسلل إلى كهف هيفاستوس في جبال الأوليمب واستغل انشغاله ليسرق شعلة من النار ويخفيها في عصا مجوفة كان يحملها ..

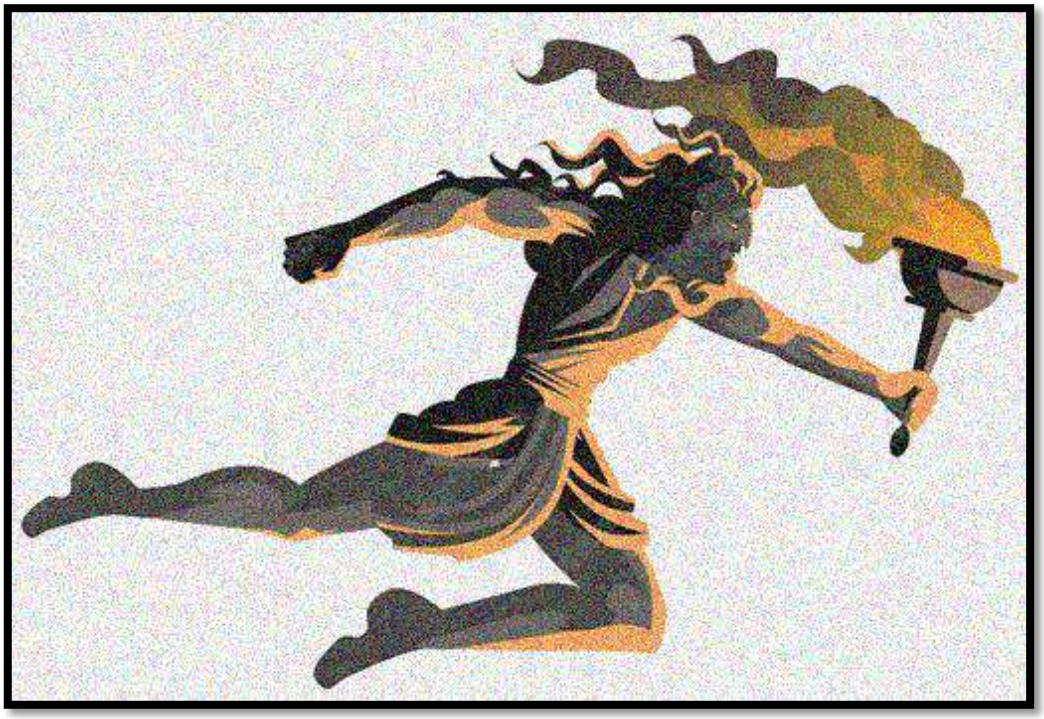

مع استخدام النار تعلم البشر اصطياد الحيوانات وطهي لحومها، ووصلت رائحة الشواء إلى الأوليمب فعلم زيوس بخيانة بروميثيوس له وقرر معاقبته .. إلا أن بروميثيوس عرض عليه أن يقاسمه البشر لحومهم الشهية مقابل أن يسمح لهم بالاحتفاظ بالنار، وهنا بدأ البشر بتقديم **القرابين** لكبير الآلهة .. لكن لم يدم رضا زيوس بالرغم من القرابين المقدمة له سوى لفترة قصيرة، فقد ساءه

سرعة تطور البشر وازدهار حضارتهم وثقافتهم مع مرور الأيام بفضل القدرات والهبات التي قدمها لهم بروميثيوس وعلى رأسها نار الأوليمب ..

هنا قرر زيوس أن يعاقب بروميثيوس على فعلته بشكل حازم ، فاستدعى هيفاستوس (إله الحدادة) وطلب منه أن يصنع سلاسل قوية يقيد بها بروميثيوس على صخرة في **جبال القوقاز** .. و في كل صباح كان يأتيه نسر عملاق يدعى **آثون** ينهش كبده، الذي يعود لينمو من جديد في المساء ليستمر عقاب بروميثيوس الأبدي ..

و ذنبه الوحيد هو حب البشر مع رغبته في مساعدتهم ، لكن بروميثيوس لم يكن مستاءً من هذا العقاب، فقد كان يعلم بما يملكه من قدرة على التنبؤ أن بطلاً خارقاً اسمه **هركليس** سيأتي ليحرره في المستقبل من عذابه، وأن

زيوس سيعفو عنه في النهاية لكن سيأمره بارتداء حلقة حديدية من حلقات السلسلة التي كان مكبلاً بها في إصبعه ليتذكر أخطاءه ، و هذا ما حدث لاحقاً بالفعل ..

وتكريماً للبطل الأسطوري بروميثيوس سارق النار، ارتدى اليونانيون القدماء الخواتم ليتذكروا على الدوام منقذهم بروميثيوس ، واليوم ترمز الشعلة التي يحملها الرياضيون في افتتاح دورات الألعاب الأولمبية إلى شعلة النار التي سرقها بروميثيوس من الآلهة ناقلاً إياها إلى الأرض كما تشير الحلقات الأولمبية الخمسة الملونة في الشعار الأولمبي إلى حلقات سلاسله في أصابع البشر على اختلاف ألوانهم))

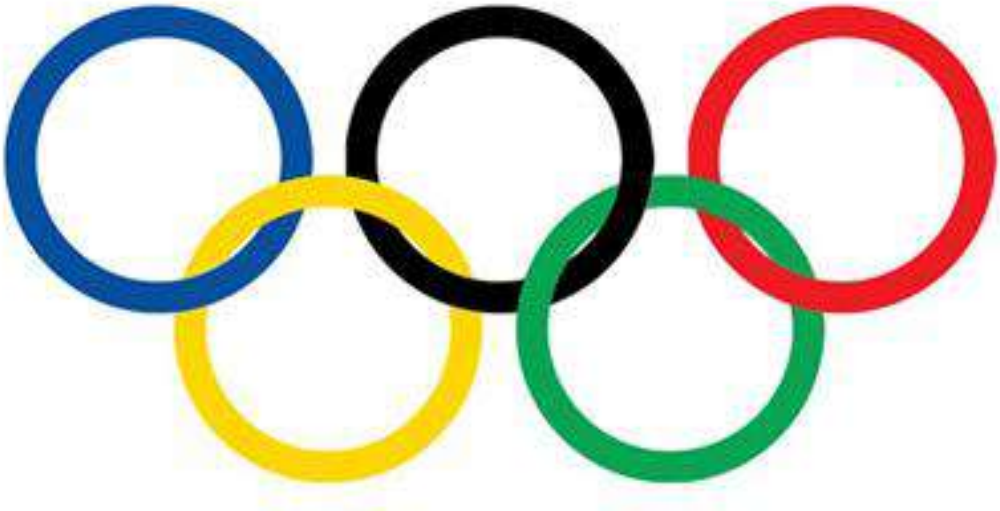

و ما أشبه هذه القصة بتاريخ البشرية بين طبقة (الآلهة أو الملوك أو النبلاء أو أصحاب البشرة الفاتحة أو الأقوياء ..) ، و طبقة (البشر أو عامة الناس أو الأفارقة أو الضعفاء ..) ...

و ما أشبه بروميثيوس بعظماء التاريخ من بشر كرسوا حياتهم و ضحوا بأنفسهم لإلغاء هذه الطبقية و إرساء أسس المساواة بين الجميع ، بالموارد و الطاقات و الحياة و الحرية و كل شيء إيجابي و ضروري آخر ..

*****

في ختام مقاربتنا لآخر مغالطات الكتاب (**أصابع اليد**)

من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الناس مقامات بحسب لون بشرتهم أو ثروتهم أو سلطتهم أو تطورهم التكنولوجي أو دينهم أو جيناتهم .. كأصابع اليد المختلفة بالضبط ..

بل أن نقول :

= الناس سواسية كأسنان المشط و ما يعلي مقامهم في الحياة هو أخلاقهم و صلاح أفكارهم و أقوالهم و أفعالهم فقط لا غير .. و علينا التعامل مع الآخرين وفق هذه المعادلة ..

بين أصابع اليد و أسنان المشط تاريخ من الظلم و الثورة على الظلم كما وضحنا في الصفحات القليلة السابقة .. تاريخ يروي حكاية صراع مرير من أجل المساواة بين البشر و ترسيخ المقياس النبيل لمقاماتهم (**العمل و الأخلاق**) قُدمت فيه التضحيات الجسام و لمعت نجوم

كثيرة من ثوار و مفكرين و قادة بذلوا حياتهم لإرساء العدل على وجه الأرض.. راجين المولى أن نتمكن جميعاً من حمل هذه الشعلة عنهم كما فعل بروميثيوس و مواصلة الطريق لتحقيق **المساواة الشاملة** كأكبر أحلام البشرية جمعاء ..

أبراكا دابرا ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة الأصنام الفكرية (مطرقة نيتشه على رباعي بيكون)
- مغالطة قارّة الأحلام الذهبية (قناع ماسكيباثا)
- مغالطة عيد الحبّ (قلب يتسع للجميع)
- مغالطة وجه يسوع (أيقونة بلا أب)
- مغالطة فضائية (الكون تحت المجهر)
- مغالطة أبراكا دابرا (الكمّ و الحمامة)
- مغالطة شاتوراجا (يموت الجميع كي يحيا الملك)
- مغالطة ترويض النفس (فرويد الخيّال)
- مغالطة أكثر من عكّاز (و لي فيها مآرب أخرى)
- مغالطة مربّع ساتور (نسبية الصواب و الخطأ)
- مغالطة مسبحة التنازلات (أعظم النار من مستصغر الشرر)
- مغالطة المنايا خبط عشواء (من كتب له عمر لا تقتله شدة)
- مغالطة الأنا و الهوَ (تجربة القصر)
- مغالطة الشهر النسيء (اليوم استدار الزمان)
- مغالطة لعنة الفراعنة (خرافة الكارما)
- مغالطة داروين و التطوّر (وجه العلم و أوجه الدين)
- مغالطة أثر الكوبرا (الرمال المتحركة)
- مغالطة أصابع اليد (سواسية كأسنان المشط)